



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
عمادة الدراسات العليا
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

التثبت وأثره في الدعوة إلى الله

دراسة تحليلية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تخصص الدعوة الإسلامية
من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الطالب

حبيب الرحمن محمد ظاهر أسد الله

الرقم الجامعي (٤٢٨٨٠٣٣١)

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

عبدالرحمن بن جميل قصاص

الأستاذ في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين

العام الجامعي

١٤٣٥هـ



ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: التثبيت وأثره في الدعوة إلى الله.

الباحث: حبيب الرحمن محمد ظاهر.

الدرجة: الماجستير، تخصص الدعوة الإسلامية.

فكرة الموضوع: حاجة المجتمع المسلم للتثبيت، باعتباره عنصراً من عناصر تماسك المجتمع، ووحدة أفراده وقوة صفه، إذ به يتم حصن الدماء والأموال والأعراض، وأنه سبيلٌ لحسن الظن بين أفراده.

هدف الرسالة: عرض النصوص من الكتاب والسنة وبيان منهج التثبيت فيها، مع عرض نماذج من منهج التثبيت في حياة السلف الصالح، والوقوف على الوسائل المشروعة لتحقيق التثبيت، مع بيان الضوابط والمجالات، وإبراز الآثار الإيجابية للتثبيت، والآثار السلبية لعدمه، وفوائده في مجال الدعوة إلى الله.

موضوعها: إبراز صفة التثبيت ومنهجها للداعية؛ للتحلي به في دعوته، وبيان أن في التثبيت الأمان من زلة القدم ومن الاستسلام للشبهات، وأن في تحقيق التثبيت في الدعوة ضمناً للاجتماع والائتلاف بين الأمة. واحتوى البحث على:

المقدمة: وتناولت ما يلي: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة للموضوع، ومشكلة البحث، وتساؤلات البحث، وأهداف الموضوع، ومنهج البحث والباحث في الرسالة. **التمهيد:** وفيه مفهوم التثبيت، ودواعيه.

الفصل الأول: اشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: التثبيت في القرآن الكريم، المبحث الثاني: التثبيت في السنة النبوية، المبحث الثالث: التثبيت في منهج السلف الصالح.

الفصل الثاني: واشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: وسائل التثبيت، المبحث الثاني: ضوابط التثبيت، المبحث الثالث: مجالات التثبيت.

الفصل الثالث: واشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: الآثار الإيجابية للتثبيت، المبحث الثاني: الآثار السلبية لعدم التثبيت، المبحث الثالث: فوائد التثبيت في الدعوة إلى الله. **الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.**

النتائج: ١- إن التثبيت هو: الاستيثاق والتأكد من الأمور والأخبار المنقولة، واستيضاحها والتحقق منها، قبل الحكم لها، أو عليها، والتأمل والنظر إلى ما يؤول إليه الأمر في عاقبته.

٢- إن الالتزام بالمنهج الشرعي في التثبيت والتبيين منجاة للأمة، ووقاية لها من الأخطار والفتن.

٣- حياة الأنبياء والمرسلين مليئة بمعاني التثبيت والتأني للاقتداء بهم، والاستفادة منها في الدعوة.

التوصيات: ١- غرس حب التثبيت في قلوب الناشئة والشباب والفتيات.

٢- العمل على إقامة الدورات العلمية والتأصيلية في التثبيت لطلبة العلم وعمامة الناس.

Thesis Summary

Research Title: Verification of Authenticity and Its Impact on Practicing *Daw'ah* to Allah S.W.T

Researcher: Habbib Al-Rahman Mohammed Zaher

Degree: Master specialized in Islamic *Daw'ah*.

The Idea of the Research is the need of Muslim society for verification of Authenticity as an element of its social solidarity, strength and unity among its members. That is because of its vital role in protecting life, property and owner. It also plays vital role in establishing mutual trust and confidence between its members.

Research Objectives: To present the Qur'anic verses and prophetic traditions that indicate the Islamic methodology of verification, and to identify the methodology of verification indicated therein. In addition, to highlight the criteria of the legitimacy of such a methodology and to give examples of the ways in which the companion of prophet S.A.W and their followers have applied it. Moreover, to identify the scope of verification and the advantages that ensue from having been abided by and the disadvantages that ensue from having been ignored. Lastly, to indicate the benefits of applying the methodology of verification in practicing *Daw'ah* to Allah S.W.T

Research subject: This research is centered on emphasizing the characteristics of the methodology of verification that has to be followed by the Muslim preachers which is meant to save them from going astray or being deceived by the fallacies raised by the enemies of Islam. The research is also centered on emphasizing that applying the methodology of verification in practicing *Daw'ah* to Allah S.W.T is meant to safeguard a high degree of unity and solidarity among the Ummah.

The research contents: This study consists of an introduction, primarily chapter, three main chapters and conclusion and recommendation. Firstly, the introduction deals with the importance of the topic, the purpose of the study, research question, research problem, research objectives, literature review and research methodology. Whereas, the primarily chapter introduces the reader to the concept of verification of authenticity and its significant. The three main chapters consist of three chapters. First chapter includes three sections, section one: the verification of authenticity in Quran. Section two: the verification of authenticity in the prophetic traditions. Section three: the verification of authenticity according to the methodology of the companion of prophet S.A.W and their followers. Second chapter includes three sections, first section: the instruments of verifications. Section two: criteria of verification. Section three: the scope of verification. The third chapter includes three sections. First section: the positive effects of verification. Second section: the lack of verifications. Last section: the benefits of verification of authenticity in practicing *Daw'ah* to Allah S.W.T. The last chapter is conclusion and recommendations;

This study found that:

- The verification of authenticity is a process through which one makes sure of the reliability of reports, looks into them before passing judgment on them, and evaluates them so as to predict their future consequences.
- Following and obeying Islamic roles and regulations in verifying reports protects Muslim *Ummah* from all sorts of danger or disorder.
- Previous prophets and messengers were full of examples of verification of authenticity from which Muslim preaches must learn in practicing *Daw'ah* to Allah S.W.T.

This study recommends that:

- Inculcate the love of verification of authenticity in the mind of current and future generation.
- Conducting courses on verification of authenticity offers to both students and the public.

شكر و عرفان

أحمد الله تعالى أولاً وآخراً على توفيقه، وحسن رعايته وتسديده لي، حيث كتب لي أن أسلك طريق طلب العلم الشرعي منذ نعومة أظفاري، حيث ألحقني الوالد-حفظه الله وأطال عمره في طاعته - بحلقات تحفيظ القرآن الكريم بالمسجد الحرام، ثم أتممت التعليم النظامي في المعهد العلمي بمكة المكرمة، ثم يسر الله لي مواصلة الدراسة الجامعية، بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى. وبعد حمد الله تعالى وشكره، أتوجه بوافر الشكر وجزيل الامتنان، لكل من كان له الفضل علي بعد الله تعالى في إنجاز هذه الرسالة، وإظهارها على الوجه المقبول.

وأخص بالدعاء منهم والديين الكريمين، علي ما بذلوا من جهد في توجيهي للخير، فأسأل الله العلي القدير أن يمدّ لهما في العمر على الطاعة، وأن يديم عليهما لباس الصحة والعافية، كما أسأله سبحانه أن يثقل موازينهما، وأن يرزقهما الفردوس الأعلى في الجنة، إنه سميع قريب مجيب .

كما أتوجه بالشكر الجزيل، لمشرفي فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن جميل قصاص، الذي شرفت بإشرافه على رسالتي العلمية لنيل درجة الماجستير، والذي لم يأل جهداً في متابعتي عند الإشراف علي، بأسلوب الأب الحاني، والمرشد الناصح، فجزاه الله خيراً الجزاء، وجعل هذا العطاء المبارك رصيلاً في ميزان حسناته، وأثابه على ما قدم من إرشادات قيمة وجلييلة أثناء الدراسة.

كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن سليمان البراك، المشرف السابق، على إرشاداته العلمية القيمة، والتي استفدت منها أثناء دراستي لموضوع البحث، فجزاه الله خيراً وأجزل له المثوبة . وأشكر أصحاب الفضيلة المشايخ، على قبولهم لمناقشة هذه الرسالة، وأسأل الله العلي القدير، أن يجزيهم خيراً، وأن ينفعني الله بما يقدمونه للبحث من إرشادات قيمة ونافعة بإذن الله تعالى.

كما أتوجه بالشكر الجزيل؛ لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ممثلة بالقائمين على عمادة الدراسات العليا، وعمادة كلية الدعوة وأصول الدين، على ما هياؤوا لي من مواصلة الدراسات العليا، وأخص بالشكر عميد الكلية، فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن سعيد السرحاني، والشكر موصول لفضيلة الشيخ الدكتور/ حسن آل عبد الهادي، رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

كما أخص بالشكر، منسوبي مكتبة الحرم المكي الشريف، على ما قدموا لي من معاونة في تيسير مراجع البحث، والاستفادة من أجواء المكتبة، فكانوا خير عون لي؛ لإنجاز هذا البحث، فجزاهم الله خيرا الجزاء وزادهم الله توفيقا وتسديدا .

المقدمة

وفيها:

- ١ - أهمية الموضوع.
- ٢ - أسباب اختيار الموضوع.
- ٣ - الدراسات السابقة للموضوع.
- ٤ - إشكالية البحث وعلاقتها بالتخصص.
- ٥ - تساؤلات البحث.
- ٦ - أهداف الموضوع.
- ٧ - منهج البحث.
- ٨ - منهج الباحث.
- ٩ - هيكل البحث ومخططه العام.

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا ءَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣) ،^(٤) .

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله وظيفة جليلة، وقربة عظيمة، لها منزلة عالية في الشريعة، ويكفيها شرفاً

ومنزلة كونها وظيفة الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ؕ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ

وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ؕ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾^(٥)

.

وقال ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) .

(١) سورة آل عمران، آية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، آية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، آية: (٧٠-٧١).

(٤) خطبة الحاجة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتبة الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ، ص ١٠.

(٥) سورة النحل، آية: (٣٦).

(٦) سورة يوسف، آية: (١٠٨).

وإنَّ من البصيرة والحكمة في الدعوة إلى الله؛ التثبت والتبين في أمرها، والتأني والتروي في شأنها، وعدم العجلة والتسرع فيها، كما وجه ﷺ نبيه قائلًا:

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَارْتَعِبْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**، ﴿١٩﴾ (١).

فنهى الله سبحانه رسوله ﷺ عن العجلة عند تلقي الوحي، وتكفل له وعجلك أن يجمع له القرآن في صدره، وأن ييسر له بيانه، وكذلك بين ﷺ، أن العجلة من طبع الإنسان؛ لتنبهه على ضرورة العمل بضدها، وهي الأناة والتثبت، فقال ﷺ:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْجُولًا﴾ (١١) ﴿٢﴾.

كما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتأني في جميع الأمور، والتثبت منها، فقال ﷺ:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٩٤) ﴿٣﴾.

وقال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٤)

(١) سورة القيامة، آية: (١٦-١٩).

(٢) سورة الإسراء، آية: (١١).

(٣) سورة النساء، آية (٩٤).

(٤) سورة الحجرات، آية: (٦).

كما حث النبي ﷺ المؤمنين على خُلُقِ الحلم والأناة الذي هو التثبت، وذلك عندما أثنى عليه في قوله لأشج عبد القيس^(١) ﷺ: ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ))^(٢).
فالتثبت والتبين منهج شرعي، وصفة من صفات أهل اليقين، ودليل على نُضج العقل وكماله.

ومن هنا تبين للباحث الحاجة إلى إبراز هذا الموضوع، والكتابة فيه، وفق ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتجلية ما يتضمنه من الفوائد الدعوية التي لها أثرها الواضحة على الداعية والمدعو، وعرضها بشكل يساهم برقي الداعية المسلم، وخيره المنشود لإصلاح المجتمع، وتجنبيه عما لا تحمد عقباه، ومتابعة الدقيقة لسيرة إمام الدعاة ﷺ.

فكان من فتح الله ﷻك وتيسيره وتوفيقه لي؛ اختيار هذا الموضوع المبارك، وكان الفضل في ذلك بعد الله لمرشدي ، فضيلة الاستاذ الدكتور/ محمد عبد المولى جمعة ، أسأل الله أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يجزل له المثوبة .

وقد جعلت عنوان الرسالة: (التثبت وأثره في الدعوة إلى الله - دراسة تحليلية)، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، شعبة الدعوة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، من جامعة أم القرى، وفيما يلي مزيد بيان لذلك:

(١) الصحابي: المنذر بن عائد بن المنذر بن الحارث بن عبد القيس، والنبي ﷺ ناداه بيأشج، انظر: أسد الغابة، علي بن محمد الجزري المعروف بـ ابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، وغيره من المحققين، القاهرة: دار الشعب، دون ذكر تاريخ الطبعة، ٢٦٧/٥.

(٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث الإسلامي، بدون ذكر الطبعة وتاريخها ومكانها، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، ٤٨/١، رقم الحديث: ٢٦.

أولاً: أهمية الموضوع.

إنَّ شأن التثبث أمر قام عليه هذا الدين، ومن خلاله نقل إلينا القرآن والسنة النبوية، وبه تتحقق مصالح كثيرة، وبدونه تقع الأمة ، والأفراد في مفاسد عظيمة.

ولأهميته حثَّ الله ﷻ عليه في كتابه، وأكد عليه النبي ﷺ في سنته، واتخذ العلماء منهجاً في جميع شؤونهم، وهو من الأمور التي لا يستغني عنها الدعاة والعلماء، في أي زمان ومكان، كما لا يستغني عنه الحاكم أو المحكوم، كما يتأكد أهمية هذا الموضوع للدعاة في ميدان الدعوة إلى الله ، للأمور التالية:

١- إنه من خلال التحلي بصفة التثبث، تظهر شخصية الداعية المتوازنة، وسلامة منهجه، وذلك بما يحمله من علم يؤهله للقيام بهذا الواجب، والاستمرار والبقاء فيه.

٢- إن في التثبث الأمان- بإذن الله- للدعاة من أن تنزل أقدامهم، أو يسقطوا أمام شبه الخصوم لهذا الدين.

٣- إن في تحقيق التثبث في مجال الدعوة ضمان قدر كبير من الاجتماع والائتلاف بين الأمة، وذلك بإعمال الدعاة لوسائل الاجتماع، وحسمهم لذرائع الافتراق وتبصير الأمة بها.

٤- إن التثبث وسيلة إلى إقامة المجتمع الرباني القائم على توحيد الله، وتجريد المتابعة للنبي ﷺ ، وإتباع منهج السلف الصالح، وذلك بفضل الدعوة الصحيحة القائمة على المنهاج النبوي الشريف.

ولذا، رأيت أهمية جمع مادة هذا الموضوع من مصادرها المعتبرة، ودراستها دراسة موضوعية ودعوية، خاصة وأن حاجة الدعاة إلى ذلك لا تخفى على عوام الناس، فكيف بالعلماء، وحملة الدعوة إلى الله .

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع.

تبرز أسباب اختيار هذا الموضوع من خلال الأمور التالية:

١- أن الله ﷻ أمر المؤمنين بوجوب التحلي بصفة التثبت والتبين، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)، وقال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُفْرًا سَقُ بِنْيَا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢)

ولذا وجب على كل مسلم؛ الالتزام بصفة التثبت والتبين؛ امتثالاً لأمر الله ﷻ، خصوصاً إذا جاء الخبر عن الفاسق، كما دلّ عليه منطوق الآية الكريمة الثانية.

٢- حاجة المجتمع الإسلامي للتثبت بين أفرادهِ، باعتباره عنصر من عناصر تماسك المجتمع، ووحدة أفرادهِ، وقوة صفهِ، إذ به يتم ستر العورات، وأنه سبيل لحسن الظن بين أفرادهِ، والتماس الأعذار فيما بينهم.

٣- كذلك لما في هذه الدراسة من معالجة مظاهر العجلة، والتسرع والرعونة، التي ابتلي بها بعض من أبناء الأمة الإسلامية، خاصة في عصرنا الحاضر.

٤- الإنسان مفطور على سماع الأخبار ونقلها، وأكثر ما يتحرك منه لسانه، ومع ذلك فهو أحياناً لا يتورع في ما يحدث به، أو أن يمحص ما يسمعه، فالتثبت هو المخرج من ذلك باعتباره من آداب اللسان التي حثَّ عليها الإسلام.

٥- عدم توفر دراسة علمية جامعة ومستقلة في معالجة مثل هذا الموضوع المهم (حسب اطلاعي المتواضع) يتناول الجانب الدعوي فيها، وإبراز الوسائل، والمجالات، والضوابط، والآثار الإيجابية والسلبية والدعوية للتثبت.

(١) سورة النساء، آية (٩٤) .

(٢) سورة الحجرات، آية: (٦) .

فكانت هذه الأسباب وغيرها، دافعًا لي، بعد استخارة الله تعالى، في خوض غمار البحث، لما رأيت فيه؛ من أنه يهدف إلى غايات عظيمة، ويحتل مكانة وأهمية كبيرة، في ميدان الدعوة إلى الله، وفي حياة المجتمع المسلم.

ثالثًا: الدراسات السابقة.

لم أجد حسب وسائل البحث والاطلاع التي تيسرت لي، على رسالة علمية، تتطرق إلى موضوع (التثبث في الدعوة)، بشكل خاص وفق الخطة التي وضعتها لسير هذا البحث، وإن كنت قد وجدت كتابات في موضوع التثبث، من خلال تناول سورة الحجرات، وتفسيرها ودراستها دراسة موضوعية، حيث تناولها أصحابها من خلال رؤية علمية خاصة بهم .

والدراسات السابقة التي تيسر لي الاطلاع عليها ، هي:

١- رسالة ماجستير، بعنوان: سورة الحجرات منهج تربوي لمجتمع مثالي، للباحث عبد الحميد الأمين ، مقدمة لكلية الشريعة، بجامعة أم القرى ، عام (١٣٩٦ هـ) .

وكان من أهداف دراسة الباحث لرسالته:

أنه وجد في سورة الحجرات منهجًا مثاليًا للمجتمع الإسلامي، إذا ما تمسك بالكتاب والسنة، وأبرز هذا المنهج خلال دراسته للبحث.

ولم يحدد كاتب الرسالة المنهج الذي سار عليه في دراسته، ولم يذكر النتائج التي توصل إليها في بحثه .

كما أن الرسالة السابقة لم تتطرق لموضوع التثبث ، ودراسته دراسة تأصيلية، وإنما اكتفى في بيان موضوع التثبث ، من خلال جزء يسير يتعلق بعلم الجرح والتعديل ، وعدالة الرواة، وهذا لا يفي في تناول موضوع التثبث من جميع جوانبه .

٢- رسالة ماجستير ، بعنوان: منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، للباحث / محمد بن محمد الأنصاري ، مقدمة إلى المعهد العالي للدعوة الإسلامية ، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام (١٤٠٢ هـ) .

وقد تحدث الباحث في رسالته في الفصل الخامس عن التثبيت من النبا الإعلامي، وكيف أن الله ﷻ ربّي المسلمين على لزوم الصدق والتثبيت تجاه النبا الإعلامي.

وكان من نتائج الدراسة ما يلي:

١- أن القرآن الكريم يتضمن كلّ ما فيه إسعاد البشر وبناءهم الحضاري بناءً يربطهم بالله

ﷻ.

٢- أن هذه السورة من السور التي حوت وتضمنت نظاماً كاملاً ، ودستوراً شاملاً ،

لمجتمع فاضل وهو المجتمع المؤمن.

وأما دراستي للتثبيت وأثره في الدعوة إلى الله، فتختلف عن الدراستين السابقتين في

موضوعه، حيث يعالج التثبيت والتبيين في الدعوة إلى الله، كما تختلف عنها في شمولها وعمقها

العلمي الواسع، وذلك من خلال عرض منهج القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في التثبيت،

وبيان منهج التثبيت في حياة السلف الصالح، وتعيين المجالات والضوابط، والوسائل الموصلة

للتثبيت، وإبراز الآثار الايجابية والسلبية ، والفوائد الدعوية للتثبيت .

رابعاً: إشكالية البحث وعلاقتها بالتخصص.

إن العجلة تعترى بعض الناس في حياتهم اليومية ، وليس الدعوة بمنجاة من أن يعترى بعضهم التعجل ، وعدم الثبث والتبين في أثناء معاملتهم ودعوتهم للآخرين ؛ ولما هو مطبوع عليه الإنسان .

كما قال ﷺ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(١).

فكان ضرورياً التنبيه إلى صفة وخلق الثبث والتبين ليحل محل العجلة ، وعدم التأني عند طلبة العلم، ولاسيما الدعوة منهم، ويتحلوا بمنهج الثبث والتبين، وليكون نبراساً لهم في حياتهم اليومية وفي مجال دعوتهم.

وعليه، فإن هذا البحث أبرز أهمية منهج الثبث وبيان ماجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من الحث على هذا المنهج، وترك ونبد العجلة والتسرع، وبيان آثارهما الإيجابية والسلبية، وشرح الوسائل والأساليب الموصلة إليه، وغرس قيم الثبث في نفس الإنسان المسلم في حياته اليومية.

علاقة التبين بتخصص الدعوة إلى الله.

وأما علاقة الثبث والتبين بالدعوة فتعتمد على أمرين:

أحدهما: الجانب العلمي، والثاني: الجانب العملي.

أما الجانب العلمي: فيعني بجمع النصوص من الكتاب والسنة وأقوال العلماء، التي تؤكد على أهمية الثبث والتبين وتدعو إلى التمسك بها، والبعد من العجلة والتسرع.

وأما الجانب العملي: فيعني ببيان معالم منهج الثبث في الإسلام ، وتوظيفه من أجل المحافظة على شخصية ووحدة الأمة الإسلامية، ودعوة الدعاة للتمسك بمنهج الثبث والتبين في حياتهم الدعوية، وإيصال هذا المنهج إلى المدعوين للعمل بمقتضاه، والحذر من الانزلاق إلى ما لا تحمد عقباه، بسبب التسرع والعجلة في حياتهم العملية .

(١) سورة الإسراء، آية: (١١).

خامسًا: تساؤلات البحث.

- ١/ ما موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من التثبيت؟
- ٢/ ما هي وسائل التثبيت؟
- ٤/ ما هي ضوابط التثبيت؟
- ٥/ ما هي مجالات التثبيت؟
- ٤/ ما أثر التثبيت وعدمه، وما فوائده في الدعوة إلى الله؟

سادسًا: أهداف البحث.

يهدف البحث الإجابة عن تساؤلات البحث، وذلك من خلال:

- ١- عرض النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وبيان منهج التثبيت فيها، مع عرض نماذج من منهج التثبيت في حياة السلف الصالح.
- ٢- الوقوف على الوسائل والأساليب المشروعة لتحقيق التثبيت .
- ٣- معرفة ضوابط ومجالات التثبيت.
- ٤- إبراز الآثار الإيجابية للتثبيت، والآثار السلبية لعدمه، والفوائد التي يستفاد منها في الدعوة إلى الله .

سابعًا: منهج البحث.

لما كانت طبيعة موضوع البحث؛ تحدد للباحث المنهج الذي سيسلكه في بحثه، فإنه يظهر بوضوح مناسبة المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي ، من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم، ودراسة ما يتعلق بموضوع البحث دراسة متأنية، وتحليلها على ضوء التفاسير المعتمدة ، وما يتضمنها من أحكام وآداب، وكذلك الإطلاع والرجوع إلى كتب السنة المطهرة وشروحها، والاستفادة منها في ما تحويه من الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع التثبيت .

وقد يضطر الباحث لطبيعة بعض الفصول والمباحث إلى التنقل ما بين منهج وآخر من مناهج البحث العلمي المعروفة ، وذلك حسب مجريات البحث .

ثامناً: منهج الباحث.

- كان منهج الباحث في إعداد موضوع الرسالة وفق الخطوات التالي:
- ١- الرجوع إلى القرآن الكريم في كل ما هو متعلق بموضوع الدراسة والبحث.
 - ٢- الرجوع والاستفادة من مصادر وكتب التفاسير بالرواية والدراية في تفسير الآيات التي تتعلق بموضوع البحث.
 - ٣- الرجوع إلى الأحاديث النبوية في كتب السنة المعتمدة ، حول موضوع الدراسة، ودراستها، والرجوع إلى كتب شروحيها، والاستفادة منها.
 - ٤- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم، طبعة مصحف المدينة المنورة، مبيناً اسم السورة، ورقم الآية، وذلك في الهامش.
 - ٥- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة في مواضعها، من كتب السنة النبوية المعتمدة في الهامش، فما كان منها في صحيحي الإمامين البخاريّ ومسلم رضي الله عنهما أو أحدهما، فإنني أكتفي بإيراده فقط؛ مع ذكر الكتاب والباب، و الجزء والصفحة، ورقم الحديث، وأما ما كان في غيرهما من كتب السنة الأخرى، فأذكر موضعه من الكتاب، والباب، والجزء والصفحة، ورقم الحديث، متبعاً حكم أهل العلم عليه ، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، مع ذكر المرجع الذي نقلت منه الحكم.
 - ٦- كررت الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مواضع شتى، لأنها قد تدخل تحتها موضوعات عدة تشهد لها، ولكن في كل مرة يستنبط منه توجيه جديد يناسب الكلام.
 - ٧- عزو الكلام المنقول والمقتبس إلى مصادره ومراجعته في الهامش، وذلك بذكر عنوان الكتاب ومؤلفه، والمحقق إن وجد، ومكان الطبع، ودار النشر ، وسنة الطبع، والجزء ورقم الصفحة في الهامش، عند أول موطن ذكر للكتاب.
 - ٨- في حال تكرار المرجع في الهامش، اكتفي بذكر عنوانه، ومؤلفه، والجزء، ورقم الصفحة

فقط.

٩- وضعت الكلام المنقول والمقتبس من المصادر أو المراجع بين علامتي تنصيص

"... " لتمييزه عن غيره من الكلام.

١٠- شرح الكلمات الغريبة، والمصطلحات التي تحتاج إلى شرح وإيضاح ، في الهامش، ثم

ذكرت الكتاب الذي نقلت منه الشرح، وذلك بذكر عنوانه، ومؤلفه، مع إيراد

موضعه في الجزء والصفحة.

١١- عرفت بالأعلام الواردة في الرسالة عند أول ذكر للعلم، إلا الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام، والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم فلم أترجم لهم لشهرتهم، ومعرفتهم،

مع ذكر المرجع الذي نقلت منه الترجمة.

١٢- جعلت في نهاية البحث خاتمة، ضمنتها أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج

خلال البحث، والتوصيات التي يراها وفق اجتهاده.

١٣- قمت بعمل فهرس تفصيلية للرسالة، وهي كالآتي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

تاسعاً: هيكل البحث ومخططه العام.

ويتضمن هيكل البحث مايلي:

• أولاً: المقدمة، وتناولت مايلي:

- ١- أهمية الموضوع.
- ٢- أسباب اختيار الموضوع.
- ٣- الدراسات السابقة للموضوع.
- ٤- مشكلة البحث وعلاقتها بالتخصص.
- ٥- تساؤلات البحث.
- ٦- أهداف الموضوع.
- ٧- منهج البحث.
- ٨- منهج الباحث.
- ٩- هيكل البحث ومخططه العام.

• ثانياً: التمهيد، ويشتمل على ما يأتي:

- ١- التعريف بمصطلحات الدراسة
- ٢- دواعي التثبت.

• ثالثاً: فصول الدراسة.

الفصل الأول: التثبيت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وفي منهج السلف الصالح .

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التثبيت في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التثبيت في السنة النبوية.

المبحث الثالث: تطبيق السلف الصالح لمنهج التثبيت.

الفصل الثاني: وسائل التثبيت وضوابطه ومجالاته .

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وسائل التثبيت.

المبحث الثاني: ضوابط التثبيت.

المبحث الثالث: مجالات التثبيت.

الفصل الثالث: أثر التثبيت وفوائده في مجال الدعوة إلى الله.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الإيجابية للتثبيت.

المبحث الثاني: الآثار السلبية لعدم التثبيت.

المبحث الثالث: فوائد التثبيت في الدعوة إلى الله.

• رابعاً: الخاتمة.

وتتضمن ما يلي: ١- النتائج التي توصل إليها الباحث خلال الدراسة.

٢- التوصيات التي يراها الباحث.

• **خامساً: الفهارس.**

وتشمل الفهارس التالية:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث والآثار.
- ٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٤- فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.
- ٥- فهرس أبيات الشعر.
- ٦- فهرس المصادر والمراجع.
- ٧- فهرس الموضوعات.



وفيه :

أ - التعريف بمصطلحات الدراسة .

ب - دواعي التثبيت.

أولاً : مفهوم التثبت .

ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى: تعريف التثبت في اللغة وفي الاصطلاح.

أ - تعريف التثبت في اللغة:

التثبت مأخوذ من مادة: ثبت، ويطلق في اللغة على عدة معاني، منها:

المعنى الأول: التآني والتريث في الأمر وعدم الاستعجال.

يُقال للرجل: تثبت في رأيه وأمره، إذا لم يعجل وتآني فيه، ويقال: استثبت في أمره، إذا شاور وفحص عنه، ويقال: ثبت فلان بالمكان يثبت ثبوتًا، فهو ثابت إذا أقام به، ويقال للرجل ثبتٌ وثبتٌ إذا كان شجاعًا وقورًا^(١).

المعنى الثاني: طلب الدليل الموصل إلى الأمر.

يُقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة، فيقال: فلانٌ ثابت عندي، ونبوة النبي ﷺ ثابتة، والإثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل لما يخرج من العدم إلى الوجود، نحو أثبت الله كذا، وتارة لما يثبت بالحكم فيقال أثبت الحاكم على فلان كذا وثبته، وتارة لما يكون بالقول سواء كان ذلك صدقًا أو كذبًا، فيقال أثبت التوحيد، وصدق النبوة^(٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة، ل محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: يعقوب عبدالنبي، طبعة سجل العرب، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ٢٦٧/١٤، ولسان العرب، أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ، ١٩/٢، و تاج العروس من جواهر القاموس، ل محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ٤٧٦/٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصبهاني، إعداد وإشراف: محمد خلف الله، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، بدون رقم الطبعة وتاريخها، ص ١٠٩.

المعنى الثالث: فحص الدليل الموصل إلى الثبات في الأمر.

فيقال: رجل ثبت أي عاقل متماسك مثبث في أموره، ويُقال: ثبت من الإثبات إذا كان حجةً لثقتة في روايته، ويقال: رجلٌ ثبت في الأمور: مثبث، وثبت الشيء واستثبته، والأمر حقيقه وصححه، ويقال: أثبت الكتاب سجله، والحق أقام حجته، والشيء عرفه حق المعرفة^(١).

ب - تعريف التثبت في الاصطلاح:

للتعريف التثبت في الاصطلاح، تعريفات كثيرة، منها:

التعريف الأول: التثبت في كل الأحوال التي يقع للإنسان فيها نوع اشتباه، حتى يتضح له الأمر، ويتبين الرشد والصواب والحقيقة، وهو التبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد، حتى يتضح ويظهر، وهو تفريغ الوسع والجهد لمعرفة حقيقة الحال المراد^(٢).

التعريف الثاني: التأني والترثيث في كل ما يمس الإنسان من أحكام وتصورات، ومن تناقل وتداول لهذه الأحكام، وتلك التصورات، دون فهم دقيق للواقع، وما يحيط به من ظروف وملابسات، فهو إذن التدبر والروية في كل ما يأتي الإنسان ويذر، وعدم التسرع والعجلة في ذلك^(٣).

(١) انظر: أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، درا صادر، بيروت ١٣٨٥هـ، ص ٦٩، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، أحمد عبد القادر، محمد نجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، بدون رقم الطبعة، اسطنبول، تركيا: دار الدعوة، ١٤١٠هـ، ٩٣/١.

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، مصر- المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٥هـ ٦١/٥، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار مدني للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية - جدة، ١٤٠٨هـ، ٣٨٩/١، والموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى، دار الصفاة، مصر، ١٩٩٣م ١٤١٤هـ، ١٤٢/١٠.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد العمادي، دار الفكر، بيروت، دون رقم الطبعة وتاريخها، ٥٦٨/١، والجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، راجعه وضبطه: محمد إبراهيم الحفناوي، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ٣٣٨/٥.

التعريف المختار للتثبّت: التثبّت هو: بذل الجهد في التحري والتدقيق والاستيثاق والتأكد من الأمور، واستيضاحها والتحقق منها، للوصول إلى معرفة حقيقتها، والتأكد منها قبل الحكم لها أو عليها، والتأمل والنظر إلى ما يؤول إليه الأمر في عاقبته.

النقطة الثانية: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتثبّت.

يتضح من التعريف اللغوي والاصطلاح للتثبّت أن هناك ارتباط بين المعنيين: فالمعنى العام للتثبّت هو: التأني والتثبت عن الأمر، والمعنى الخاص هو: الاستيضاح عن الأمر والتحقق منه وذلك بالفحص عن حقيقته، وذلك بروية وتدبر، والتبصر عن حاله حتى يتضح ويظهر، وعدم التسرع والاستعجال في الحكم له أو عليه .

النقطة الثالثة: الألفاظ المرادفة والمضادة للتثبّت .

أ - ألفاظ مرادفة^(١) ذات صلة بالتثبّت، تتقارب معها في المعنى، ويمكن بيانها على

النحو التالي:

١ - التبين.

أ - تعريف التبين في اللغة:

مصدر تبين إذا تثبت في الأمر، التبين: التثبّت في الأمر والتأني فيه.

ويقال: تبينتُ الأمر أي تأملته وتوسمته، واستبنت الشيء، إذا تأملته حتى تبين لك، ومنه

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٢).

وبان الشيء بياناً: اتضح فهو بين، وكذلك أبان الشيء فهو مبين، وأبنته أي: أوضحتها،

واستبان الشيء: ظهر، واستبنته أنا: عرفتته، وتبين الشيء ظهر^(٣).

(١) المترادف ما كان معناه واحداً، وأسماءه كثيرة وهو ضد المشترك، انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد

الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ، ص ٣٦٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: (٥٥).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ٦٢/١٣، مادة: بين.

ب- تعريف التبين في الاصطلاح:

التعريف الأول: يعتبر التبين مرتبة من مراتب وصول العلم، يراد بها ما يحصل من العلم بعد الالتباس .

قال الكفوي^(١): "اعلم أن مراتب وصول العلم إلى النفس: الشعور ، ثم الإدراك ، ثم الحفظ، ثم التذكر ، ثم الذكر ، ثم الرأي: وهو استحضار المقدمات وإجالة الخاطر فيها ، ثم التبين: وهو علم يحصل بعد الالتباس ، ثم الاستبصار: وهو العلم بعد التأمل"^(٢).

التعريف الثاني: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"^(٣).

٢- التُّؤدَة.

أ- تعريف التُّؤدَة في اللغة:

" التُّؤدَة بمعنى التأيي في الأمر فأصلها وؤدة فقلبت الواو تاء ومنه يقال : اتئد يا فتى وقد أتاد يتئد اتأدا ، إذا تأنى في الأمر "^(٤).

(١) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، كان من قضاة الاحناف، ولي القضاء في بتركيا، وبالقدس، وبيغداد، وعاد إلى استانبول فتوفي بها، سنة (١٠٩٤هـ)، انظر: الأعلام، ل خير الدين الزركلي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ٣٨/٢.

(٢) الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، إعداد: عدنان درويش و محمد المصري، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ، ص ٦٧.

(٣) البيان والتبيين، عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، بدون رقم الطبعة وتاريخها، ٧٦/١.

(٤) تهذيب اللغة، للأزهري ، ١٠٥/١٤ .

"أتأد في مشيه وتوآد في مشيه وهو افتعل وتفعل من التؤدة وأصل التاء في أتأد واو يقال اتعد في أمرك أي تثبت، والتؤدة بمعنى التأني"^(١)، "أتأد في الأمر يتعد وتوآد إذا تأنى فيه وتثبت"^(٢).

ب- تعريف التؤدة في الاصطلاح:

"التأني في جميع الأمور"^(٣).

٣- الثاني.

أ- تعريف التأني في اللغة:

لفظ التأني مصدر تأنى، ومعناه ترفق وانتظر، وله أربعة معاني:

الأول: البطء وما أشبهه من الحلم وغيره.

الثاني: ساعة من الزمان.

الثالث: إدراك الشيء.

الرابع: ظرف من الظروف.

والتأني هنا مأخوذ من المعنى الأول، ويروى: وتأيي، ويقال للتمكث في الأمور التأني.

ويقال: تأنى في الأمر أي ترفق، واستأنى به، أي: انتظر^(٤).

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٧٤/٣ - ٤٤٢/٣، مادة: وأد، ومادة: أود.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد محمد الفيومي، تصحيح مصطفى السقا، مصر: مطبعة مصطفى البابي، ٤٦٥/١٠، مادة: [و أ د].

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، راجعه وضبطه: عبد الرحمن عثمان، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة الفحالة الجديدة، ١٣٨٥هـ، ١٥٠/٦.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٤١/١، ولسان العرب، لابن منظور، ٤٨/٤، مادة: أني.

ب- تعريف التأني في الاصطلاح:

التعريف الأول: التأني عدم العجلة في طلب شيء من الأشياء والتمهل في تحصيله والترفق فيه.

التعريف الثاني: التأني السكينة والوقار، والترصص والتثبت، وترك الطيش والعجلة، وضبط النفس عند الهوى^(١).

٤- التدبر.

أ- تعريف التدبر في اللغة:

مصدر تدبر وهو مأخوذ من مادة: [د ب ر]، والدبر خلاف القبل، وفي الحديث قوله ﷺ: ((لا تَدَابِرُوا))^(٢)، وذلك أن يترك كل واحد منهما الإقبال على صاحبه بوجهه^(٣).
وقيل: "دبر الأمر وتدبره: نظر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تقول إليه عاقبته، والتدبر: التفكير فيه، والتدبير: أن يتدبر الرجل أمره، ويدبره أي: ينظر في عواقبه، والرأي الدبري الذي يعين النظر فيه^(٤)."

(١) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد، الطبعة الأولى، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ، ص ٦٠، المنهاج على شرح صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، راجعه واعتنى به خليل مأمون، الطبعة السادسة، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٠هـ، ١/١٨٩، وشرح السنة، للإمام حسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٣/١٧٥، فتح القدير للإمام الشوكاني، ٥/٦٠، التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٧/١٤٥ - ١٤٦، زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون رقم الطبعة وتاريخها ومكانها، ص ٣٨٨٠.

(٢) مسند الأمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ، مسند أنس بن مالك، ٢١/٤١٦، رقم الحديث: ١٤٠٦، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢/٣٢٤، مادة: دبر.

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤/٢٧٦، مادة: دبر.

ب- تعريف التدبر في الاصطلاح:

النظر في عواقب الأمور وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب^(١).

٥- التبصر.

أ- تعريف التبصر في اللغة:

مصدر قولهم: تبصر الشيء وهو مأخوذ من مادة: [ب ص ر]، التي تدل على العلم بالشيء، والتبصر في الشيء: التأمل والتعرف، واستبصر الطريق: استبان^(٢).

أما التبصير فهو: التعريف والإيضاح، ويقال: بصره الأمر تبصيرا وتبصرة: فهمه إياه.

وتبصر في رأيه واستبصر: تبين ما يأتيه من خير وشر^(٣).

وقيل: "واستبصر في أمره ودينه: إذا كان ذا بصيرة وتحقيق من أمره"^(٤).

وقيل أيضاً: "البصيرة هي قوة القلب المدركة، ويقال لها: بَصَرٌ أَيْضًا، ومنه قوله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾^(٥) أي: على معرفة وتحقيق^(٦).

(١) انظر: التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، درا النفائس،

بيروت، ١٤٢٤هـ، ص ١١٧.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ٢٠٧/١٠، مادة: بصر.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ٦٤/٤.

(٤) المحيط في اللغة، اسماعيل ابن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ،

١٣٦/٨، مادة صبر.

(٥) سورة يوسف، آية: (١٠٨).

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، الطبعة

الثالثة، مطبعة الأهرام التجارية، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٢٣/٢.

ب- تعريف التبصر في الاصطلاح:

قال الجرجاني^(١): البصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وبواطنها^(٢).

٦- التأمل.**أ- تعريف التأمل في اللغة:**

مصدر تأمل وهو مأخوذ من مادة [أم ل] التي تفيد التثبث والانتظار، والتأمل: التثبث في النظر^(٣).

ويقال: "تأملت الشيء، أي: نظرت إليه متثبثا له، وتأمل الرجل: تثبث في الأمر والنظر"^(٤).

ب- تعريف التأمل في الاصطلاح:

قال الكفوي: التأمل هو استعمال الفكر، ومعنى تأمل: أن في هذا المحل دقة، ومعنى فتأمل أن في هذا المحل أمرا زائدا على الدقة بتفصيل، ومعنى فليتأمل هكذا مع زيادة اللام والفاء، أي: تأمل ما سبق مع زيادة في الدقة، بناء على أن كثرة الحروف تدل على كثرة في المعنى^(٥).

(١) علي بن محمد بن علي، المعروف الجرجاني، فيلسوف ومن كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفا، منها: شرح السراجية في الفرائض، والكبرى والصغرى في المنطق، الحواشي على المطول للتفتازاني، ورسالة في فن أصول الحديث، توفي سنة (٨١٦هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/٥).

(٢) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ١٠٥.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ١/١٤٠، مادة: أمل.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، ٢٧/١١، مادة: أمل.

(٥) انظر: الكليات، للكفوي، ص ٢٨٧.

٧- التفكير .

أ- تعريف التفكير في اللغة:

"التفكير مأخوذ من مادة [ف ك ر] ، التي تدل على تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرا"^(١).

ب- تعريف التفكير في الاصطلاح:

قال الجرجاني: تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب^(٢).

وقيل: الفكر: التأمل وإعمال الخاطر في الشيء^(٣).

ب - ألفاظ مضادة للتثبّت، ومخالفة له في الصفة، وهي على النحو التالي:

١- العجلة.

أ- تعريف العجلة في اللغة:

"العين والجيم واللام أصلان صحيحان، يدل على الإسراع، والعجلة في الأمر"^(٤).

العجل والعجلة: خلاف البطء، والعجلة في الأمر، والعاجل والعاجلة: نقيض الآجل والآجلة^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾^(٦)، أي: ما حملك على أن تسبقهم،

واستعجلته، أي: تقدمته فحملته على العجلة^(٧).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤/٤٤٦، مادة: فكر.

(٢) التعريفات، ص ١٢٧.

(٣) لسان العرب ٥/٦٥، مادة: فكر.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤/٢٣٧، مادة: عجل.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية دار العلم للملايين بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ٥/١٧٥٩-١٧٦٠ مادة: عجل.

(٦) سورة طه، آية: (٨٣).

(٧) انظر: تاج العروس، للزبيدي ٢٩/٤٣٣، مادة: عجل.

والاستعجال والإعجال والتعجل واحد، بمعنى: الاستحاثا وطلب العجلة^(١).

وقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٢)، أي: "طبعه العجلة، فيعجل بسؤال الشر كما يعجل بسؤال الخير"^(٣).

ب- تعريف العجلة في الاصطلاح:

التعريف الأول: قال الإمام المناوي^(٤) رَحِمَهُ اللهُ: العجلة فعل الشيء قبل وقته اللائق به^(٥).
التعريف الثاني: وقال الراغب الأصبهاني^(٦) رَحِمَهُ اللهُ: العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه^(٧).

٢- الغفلة.

أ- تعريف الغفلة في اللغة:

الغفلة: "السهو عن الشيء، وهو مصدر غفل يغفل غفلة وغفولا، والغين والفاء واللام أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهوا، وربما كان عن عمد"^(٨).

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٤٢٥/١١.

(٢) سورة الإسراء، آية: (١١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٢٢٦/١٠.

(٤) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، ولد سنة (٩٥٢هـ)، له كثير من التصانيف، منها: التيسير بشرح الجامع الصغير، كنوز الحقائق، توفي في القاهرة سنة: (١٠٣١هـ)، انظر: الأعلام للزركلي ٢٠٤/٦.

(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي، ص ٥٠٤.

(٦) الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، أبو القاسم، المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من مصنفاته: محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، وأخلاق الراغب، وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٥٠٢هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق بإشراف شعيب الأرنؤوط، الطبعة الحادية عشر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ١٢٠/١٨، والأعلام للزركلي ٢٥٥/٢.

(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصبهاني، ص ٤٨٤.

(٨) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٣٨٦/٤، مادة: غفل.

والغفلة: "غيبية الشيء عن بال الإنسان، وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالا، وإعراضا، كما في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(١)"^(٢).

وفي لسان العرب: يقال وأغفل الشيء: تركه وسها عنه، والتغفيل: أن يكفيك صاحبك وأنت غافل لا تعنى بشيء، والمغفل: الذي لا فطنة له^(٣).

ب- الغفلة في الاصطلاح:

التعريف الأول: قال المناوي: فقد الشعور بما حقه أن يشعر به^(٤).

التعريف الثاني: قال الراغب الأصبهاني: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ^(٥).

التعريف الثالث: قال الكفوي: الغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه^(٦).

٣- الطيش.

أ- تعريف الطيش في اللغة:

الطيش مصدر قولهم: طاش الشيء يطيش، وهو مأخوذ من مادة [ط ي ش]، التي تدل على الخفة، ومن ذلك طاش السهم عن الهدف إذا لم يصبه، كأنه خف وطاش وطار. وفي لسان العرب الطيش: خِفَّةُ العقل، وقد طاش يطيش طيشا، وطاش الرجل بعد رزاقته، وقال بعضهم: ورجل طاش من قوم طاشة، وطياش من قوم طياشة، خفاف العقول، وطاش السهم عن الهدف يطيش طيشا، إذا عدل عنه^(٧).

(١) سورة الأنبياء، آية: (١).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد محمد الفيومي، تصحيح مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ٤٧/٧، مادة: غ ف ل.

(٣) انظر: لسان العرب ١١/٩٧٧ مادة: غفل.

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٥٤٠.

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصبهاني، ص ٥٤٣.

(٦) انظر: الكلبيات، للكفوي، ص ٥٠٦.

(٧) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣/٤٣٧، ولسان العرب، لابن منظور، ٦/٣١٢، مادة: طيش.

ب- الطيش في الاصطلاح:

الطيش هو: هو استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي، وكما لا ينبغي^(١).

٤- التفريط.

أ- تعريف التفريط في اللغة:

مصدر قولهم: فرط في الأمر يفرط فرطاً، أي: قصر فيه وضيعه حتى فات،^(٢) وهو مأخوذ من مادة [ف ر ط] التي تدل على إزالة شيء عن مكانه، وتنحيته عنه، يقال: فرطت عنه ما كرهه، أي نحيته، وقيل: أفرط، إذا تجاوز الحد في الأمر، يقولون: إياك والفرط، أي لا تجاوز القدر، وهذا هو القياس، لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن جهته، وكذلك التفريط، وهو التقصير، لأنه إذا قصر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له^(٣).

والفرط محرّكة: العجلة، وأفرطه: أعجله، وقيل: فرطك إذا كنت تحذره من بين يديه شيئاً، أو تأمره أن يتقدم، والإفراط: الزيادة على ما أمرت، وأفرط في القول: أكثر، والفرط محرّكة: الأمر الذي يفرط فيه صاحبه^(٤).

والفارط: المتقدم السابق، والفرط: الأمر يفرط فيه، وقيل: هو الاعجال، وقيل: الندم،

وفرط عليه يفرط، عجل عليه وعدا وآذاه، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعِنَا ﴾^(٥)، والإفراط: اعجال الشيء في الأمر قبل التثبث.

يقال: "أفرط فلان في أمره أي عجل فيه، وفرط الشهوة والحزن: غلبتهما، وأفرط عليه:

حمله فوق ما يطيق، وكل شيء جاوز قدره فهو مفرط"^(٦).

(١) انظر: تهذيب الاخلاق، أحمد بن محمد بن محمد بن مسكويه، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص 60.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ١١٤٨/٣، مادة: فرط.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٤/٤٩٠، مادة: فرط.

(٤) تاج العروس، الزبيدي، ٥٤٠/١٩، مادة [ف ر ط].

(٥) سورة طه، آية: (٤٥).

(٦) لسان العرب، لابن منظور، ٣٦٦/٧، مادة: فرط.

ب- التفريط في الاصطلاح:

العرف الأول: قال الكفوي: الإفراط: التجاوز عن الحد ويقابله التفريط^(١).

التعريف الثاني: وقيل: التفريط في الأمر التقصير فيه، وتضييعه حتى يفوت^(٢).

ج- الفرق بين الإفراط والتفريط:

قال الجرجاني: الفرق بين الإفراط والتفريط، أن الإفراط: يستعمل في تجاوز الحد من جانب

الزيادة والكمال، والتفريط: يستعمل في تجاوز الحد من جانب النقصان والتقصير^(٣).

هـ- الجهل.

أ- تعريف الجهل في اللغة:

الجهل مصدر قولهم جهل يجهل، وهو مأخوذ من مادة [ج ه ل]،

وتدل على معنيين: المعنى الأول: خلاف العلم، المعنى الثاني: الخفة وخلاف الطمأنينة^(٤).

وتجاهل، أي: أرى من نفسه ذلك، وليس به، واستجهله: عده جاهلاً^(٥).

ويقول الراغب: "والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم وهو الأكثر، وتارة لا على سبيل الذم

نحو قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾^(٦)، أي: من لا يعرف حالهم

وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم"^(٧).

وفي لسان العرب: الجهل نقيض العلم، والجهل ضد الخبرة، يقال: هو يجهل ذلك أي: لا

يعرفه، ويقال: مثلي لا يجهل مثلك، وقد جهله فلان جهلاً وجهالة، وجهل عليه وتجاهل:

(١) انظر: الكليات، للكفوي، ص ١٥٥.

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ١١٤٨/٣.

(٣) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ٨٩.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤٨٩/١، مادة: جهل.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ١٦٦٤/٤، مادة: جهل.

(٦) سورة البقرة، آية: (٢٧٣).

(٧) المفردات في غريب القرآن، للأصبهاني ص ١٤٣.

أظهر الجهل، واستجهله: عده جاهلا واستخفه، والتجهيل: أن تنسبه إلى الجهل، وأجهلته، أي: جعلته جاهلا، والجهالة: أن تفعل فعلا بغير العلم، والجهلة: ما يملك على الجهل. والجاهلية: هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه، ورسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر والتعجب، وغير ذلك^(١).

ب- الجهل في الاصطلاح:

التعريف الأول: قال الجرجاني: الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، واعترضوا عليه بأن الجهل قد يكون بالمعدوم، وهو ليس بشيء، والجواب عنه أنه شيء في الذهن^(٢).

التعريف الثاني: قال المناوي: الجهل هو التقدم في الأمور المبهمة بغير علم^(٣).

التعريف الثالث: قال الراغب الأصبهاني: الجهل على ثلاثة أضرب:

- ١- وهو خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضيا للأفعال الخارجة عن النظام، كما جعل العلم معنى مقتضيا للأفعال الجارية على النظام.
 - ٢- اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.
 - ٣- فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا.
- (٤).

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٢٩/١١، مادة: جهل.

(٢) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ١٤٢.

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص ١٢٣.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصبهاني، ص ١٤٣.

النقطة الرابعة: ورود كلمة التبين في القرآن الكريم، واختلاف القراء في قراءة قوله:

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾.

وردت كلمة التبين في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

أ- الموضع الأول، قوله تعالى:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتَّغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١)، حيث وردت كلمة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ مرتين، وذلك في سياق بيان أهمية التبين والتثبت من الأمور، والتريث والتأني في الحكم عليها.

ب- الموضع الثاني، في قوله تعالى:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢)، وذلك في معرض سياق التثبت من الأخبار ومن ناقلها.

واختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ على وجهين:

الوجه الأول: قراء الجمهور ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، منهم أبي عبيد^(٣)،

(١) سورة النساء، آية (٩٤).

(٢) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٣) القاسم بن سلام بن عبد الله، أبو عبيد، الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أخذ القرآن عرضًا وسماعًا عن أبي الحسن الكسائي، وإسماعيل بن جعفر، وشجاع بن أبي نصر البلخي، قال الداني: إمام أهل دهره في جميع العلوم، صاحب سنة، وقال الدار قطني: أبو عبيدة ثقة، إمام جبل، من كتبه: فضائل القرآن وكتاب الطهور، وكتاب الأموال، غريب الحديث، توفي بمكة سنة (٢٢٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩٠، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. طيار آتي قولا، الطبعة الأولى، طبعة مديرية النشر، أنقرة - تركيا، ١٤١٦هـ، ١/٣٦٠.

أبي حاتم^(١)، وقالوا: من أمر بالتبين فقد أمر بالتثبت، يقال: تبينت الأمر وتبين الأمر بنفسه، فهو متعدد ولازم.

الوجه الثاني: قراء حمزة^(٢) والكسائي^(٣) ﴿فَتَثَبُّوا﴾ من التثبت بالثاء مثلثة وبعدها باء واحدة. قال الإمام الشوكاني^(٤) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: المراد من التبيين: التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر^(٥).

(١) سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري، أبو حاتم، المقرئ النحوي اللغوي عروضي مقرئ، قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي، من تصانيفه: اختلاف المصاحف، إعراب القرآن، ما يلحن فيه العامة، القراءات، المقصور والممدود، القراءات، المقاطع والمبادئ، اختلاف المصاحف، توفي سنة (٢٥٥هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٦٨/١٢، و معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، للذهبي، ٤٣٤/١.

(٢) حمزة بن حبيب ابن عمارة بن إسماعيل الكوفي الزيات، أبو عمارة التيمي، الإمام القدوة، شيخ القراءة، كان إماماً حجة، قرأ القرآن عرضاً على الأعمش، وحمران بن أعين، وابن أبي ليلى، وطائفة، قال الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وعنه أخذ القرآن عدد كثير: منهم سليم بن عيسى، والكسائي، وعابد بن أبي عابد، والحسن بن عطية وغيرهم، توفي سنة (١٥٦هـ) وقيل سنة (١٥٨هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٩٠/٧، و معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، للذهبي، ٢٥٠/١.

(٣) علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن، إمام في اللغة والنحو والقراءة، قرأ القرآن وجوده على حمزة الزيات، وعلى عيسى بن عمر المقرئ، وتلا على ابن أبي ليلى عرضاً، وله عدة تصانيف منها: معاني القرآن، وكتاب في القراءات، وكتاب النوادر الكبير، ومختصر في النحو، وغير ذلك، توفي سنة (١٨٩هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٣١/٩، و معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، للذهبي، ٢٩٦/١.

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. وولي قضاءها سنة (١٢٢٩هـ)، ومات حاكماً بها، من تصانيفه الكثيرة: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، والدرر البهية في المسائل، وفتح القدير في التفسير، وإرشاد الفحول في أصول الفقه، توفي سنة (١٢٥٠هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي ٢٩٨/٦.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٣٣٧/٥، وفتح القدير، للإمام الشوكاني، ٦١/٥.

وقال الإمام فخر الرازي^(١) رَجَحَ التَّثْبِيثَ، قال: إنه خلاف الإقدام، والمراد في الآية التأيي وترك العجلة، ومن رَجَحَ التَّيْيِينَ، قال: المقصود من التثبث التبيين، فكان التبيين أبلغ وأكمل^(٢).

وقيل: "إنَّ اختيار التبين؛ لأن التثبث إنما هو للتبين، والتثبث إنما هو سببُ له"^(٣). وفي هذا يقول الإمام ابن جرير الطبري^(٤) رَجَحَ التَّثْبِيثَ: والقول عندنا في ذلك أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ، لأن المثبث متبين، والمتبين مثبت، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك^(٥).

(١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، قال الإمام الذهبي: كان يتوقد ذكاءً، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً، من تصانيفه الكثيرة: مفاتيح الغيب، ولوامع البيئات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، و معالم أصول الدين، وأسرار التنزيل و أساس التقديس رسالة في التوحيد، والمطالب العالية ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في البلاغة، و الأربعون في أصول الدين، وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٦٠٦هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٠٠/٢١، والأعلام، للزركلي، ٣١٣/٦.

(٢) انظر: التفسير الكبير، للإمام محمد بن عمر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ٢/١١.

(٣) أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٢٢٦/٣.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، أبو جعفر، إمام ومؤرخ و مفسر، من تصانيفه: أخبار الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، واختلاف الفقهاء، وجزء في الاعتقاد، وغير ذلك من التصانيف، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقلاتاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، توفي ببغداد، سنة (٣١٠هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٦٧/١٤، والأعلام، للزركلي، ٦٩/٦.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ، ٢٢٥/٥.

ثانياً: تعريف الأثر.

أ- تعريف الأثر في اللغة:

يُعرّف علماء اللغة الأثر، بأنه "الأثر بقية الشيء، والجمع آثار وأثور، والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، والآثار الأعلام"^(١).

وقيل: "العلامة، وأثر الشيء بقيته، وجاء في أثره: في عقبه، وما خلفه السابقون، والخبر المروي، والسنة الباقية"^(٢).

وقيل: "الهمزة والشاء والراء، له ثلاثة أصول: تقدم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء

الباقى، والآثار: البقية من الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾^(٣)"^(٤).

ب- تعريف الأثر في الاصطلاح:

قال الجرجاني: "الأثر له ثلاثة معان:

الأول: بمعنى النتيجة وهو الحاصل من شيء .

الثاني: بمعنى العلامة .

الثالث: بمعنى الجزء"^(٥).

ويُقصد بآثار التثبت: النتائج المحمودة المترتبة من التثبت، أو المذمومة من عدم التثبت .

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٥/٤، ماد: أثر.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، ٥/١، مادة: الأثر.

(٣) سورة الأحقاف، آية: (٤).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥٣/١-٥٥، مادة: أثر.

(٥) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ٦٥.

ثالثاً: تعريف الدعوة

أ- تعريف الدعوة في اللغة:

"دعا الرجل دعوا ودعاء، أي: ناداه، والدَّعوة المُرّة الواحدة من الدُّعاء، وتداعى القوم دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأُدخِلت الهاءُ فيه للمبالغة"^(١).

وفي المصباح المنير: "دعوتُ الله أدعوه دعاءً ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً ناديتُه وطلبت إقباله. والجمع دعاة وداعون مثل قضاة وقاضون، والنبِيُّ ﷺ داعي الخلق إلى التوحيد"^(٢).

وفي المعجم الوسيط: "دعاه إلى الشيء حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب، حثه على اعتقاد وساقه إليه"^(٣).

وفي تاج العروس: "ودعا الرجل دعواً: ناداه وصاح به"^(٤).

وفي تهذيب اللغة: "المؤذن داعي الله، والنبِيُّ ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته، ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَقَوَّمْنَا أَلِيْبُوا دَاعِيِ اللَّهِ﴾"^(٥)^(٦).

ب- تعريف الدعوة في الاصطلاح:

تعدد تعريف الدعوة في الاصطلاح إلى تعريفات كثيرة، منها:

التعريف الأول: الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين،

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٢٥٨/١٤-٢٥٩.

(٢) المصباح المنير، أحمد الفيومي، ص ٢٠٨.

(٣) المعجم الوسيط ٢٨٦/١.

(٤) تاج العروس، للزبيدي، ٥١/٣٨.

(٥) سورة الأحقاف، آية: (٣١).

(٦) تهذيب اللغة، للأزهري، ١٢٠/٣.

وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه^(١).

التعريف الثاني: السَّعي لدعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام، وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته^(٢).

التعريف الثالث: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمُهُمُ إِيَّاهُمْ، وتطبيقُهُ في واقع الحياة^(٣).

التعريف الرابع: "حثَّ الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزا بسعادة الآجل والعاجل"^(٤).

التعريف الخامس: هداية الناس إلى طريق الخير، وجمعهم على الخير، وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهالة، وفوضى النظم والتشريعات، إلى نور العقيدة الصحيحة والإيمان الحق^(٥).

التعريف السادس: قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعًا لاقتفاء أثر الرسول ﷺ قولًا وعملاً واعتقادًا بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمانٍ ومكان^(٦).

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٥/١٥٧-١٥٨.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله الرسالة الوسيلة الهدف، توفيق الواعي، الطبعة الثالثة، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٦هـ، ص ١٧.

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ، ص ٤٠.

(٤) انظر: هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابه، علي محفوظ، الطبعة الرابعة، دار الاعتصام، ص ١٧.

(٥) انظر: فقه الدعوة والداعية، إبراهيم النعمة، دار الفرقان، الأردن، بدون رقم الطبعة وتاريخها، ص ١٣.

(٦) انظر: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي الحبيب، الطبعة الأولى، دار الوفاء، جدة - المملكة العربية السعودية، ١٤٠٦هـ، ص ٢٧.

التعريف المختار للدعوة من مجموع ما تقدم: دعوة الناس على بصيرة إلى الخير، وحثهم عليه، وإرشادهم إلى طريق النور والهداية، وإلى الدين الإسلام الحنيف، وتبصيرهم به على الوجه الصحيح، مع استخدام الوسائل والأساليب الدعوية المناسبة لهم في كل زمان ومكان، مقتدين بذلك سنة رسول الله ﷺ، قولاً وعملاً وتطبيقاً في واقع الحياة.

ج- المعاني اللغوية للفظ الدعوة في القرآن الكريم.

يطلق لفظ الدعوة في اللغة على عدة معان، من هذه المعاني التي جاء ذكرها في القرآن الكريم:

١- النداء، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾^(١) أي: نادوهم، لينفعوكم، ويخلصوكم من الشدائد فلم يستجيبوا لهم^(٢).

٢- السؤال، ومنه قوله تعالى:

﴿ قَالُوا أَدْعُنَا لِرَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظْرِينَ ﴾^(٣) أي: اسأل واستفسر ربك يا موسى، يبين لنا مواصفات ولون البقرة التي أمرنا بذبحها؟.

٣- الاستغاثة، ومنه قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤) أي: إذ تأكم عذاب الله من تدعون وتستغيثون! أهتكم وأصنامكم، أم تدعون الله وتستغيثون به .

٤- التوسل، ومنه قوله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾^(١) أي: توسلوا إلى الله وتقربوا إليه بالدعاء.

(١) سورة الكهف، آية: (٥٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، للسعدي، ١٦٥/٣.

(٣) سورة البقرة، آية: (٩٦).

(٤) سورة الأنعام، آية: (٤٠).

٥- الدعاء والطلب، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴾^(٢)، أي: "فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه، ووعدهم بالإجابة"^(٣).

٦- الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾^(٤)، أي:

والرسول يأمركم أن تؤمنوا بالله ربكم .

٧- العبادة، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِن دُونِهِ ۗ إِنَّهَا لَفَقَدْنَا

إِذَا شَطَطًا ﴾^(٥)، أي: "لن نعبد معبودًا آخر غير الله، لا اشتراكًا، ولا استقلالًا"^(٦).

٨- التبليغ والبيان، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾^(٧)، وقوله تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(٨).

هذه بعض معاني استعمال لفظ الدعوة في اللغة، كما وردة في القرآن الكريم، وإذا نظرنا

إلى هذه المعاني بتمعن وبتحقيق نجد أنها كلها تدل وتعود جميعها إلى معنى واحد وهو الطلب.

فالنداء هو طلب الحضور والمجيء، والسؤال هو طلب العلم والمعرفة بالشيء، والاستغاثة

طلب دفع ضرر ورفع، والدعاء هو الطلب من الله ﷻ الخير ودفع الشر، والأمر هو طلب

إتيان الفعل، والعبادة هو طلب الرب والخالق من خلقه وعباده وعبادته وحده ﷻ.

(١) سورة الأعراف آية: (٥٥).

(٢) سورة غافر، آية: (٦٠).

(٣) فتح القدير، للشوكاني، ٦/٣٣٢.

(٤) سورة الحديد، آية: (٨).

(٥) سورة الكهف، آية: (١٤).

(٦) فتح القدير، للإمام الشوكاني، ٤/٤٧٣.

(٧) سورة نوح، آية: (٥).

(٨) سورة يوسف، آية: (١٠٨).

دواعي التثبث^(١)

إن الأسباب الداعية والباعثة إلى التثبث، كثيرة، من تلك الأسباب:

١- الغفلة التي تعتري الإنسان.

لقد أرشد الله ﷻ أَنَّ الْبَشَرَ غَيْرَ مَعْصُومِينَ مِنَ الْوَقُوعِ فِي الْغَفْلَةِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢).

والغفلة: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والתיقظ^(٣).

وقيل: فقد الشعور بما حقه أن يشعر به^(٤).

والوقوع في مثل هذه الحال؛ يؤدي إلى تبليد الذهن، وسد أبواب المعرفة، وعدم التثبث من الأمور، كما أنها تجعل المرء في حالة من الجهل والذهول عن التأمل في أمور حياته.

ونتيجة لهذه الغفلة؛ يقع الإنسان في الخطأ والنسيان، فلا يتثبت، ولا يتأمل في أمر دينه وديناه، أو أن يرجع عن خطأه ويتوب، قال ﷺ: ((كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))^(٥).

ولهذا على المسلم أن يجاهد نفسه، في أن لا يقع في مثل هذه الأحوال، التي تدفعه في كثير من الأمور التي هو في حاجة أن يتثبت منها.

(١) دواعي: جمع داع، وهي المطالب، والتداعي: أن يدعو القوم بعضهم بعضاً، والداعي: نحو المساعي، ودعاه: ناداه، والاسم الدعوة، انظر: لسان العرب، لابن منظور ٢٧٥/١٤، وتاج العروس، للزبيدي، ٤٧/٣٨، وتهذيب اللغة، للأزهري، ٧٨/٣.

(٢) سورة الأنبياء، آية: (١).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصبهاني، ص ٥٤٣.

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص ٥٤٠.

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٤٩، ٥٦٩/٤، رقم الحديث: ٢٤٩٩، قال الإمام أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي، ٦٠٤/٢، رقم: ٢٤٩٩.

٢- قبول الأخبار والأقوال دون التثبت منها.

إنه لما غفل كثير من الناس عن المنهج الصحيح للتثبت، أغتر كثير منهم بتداول الأخبار، فتجد المرء بمجرد أن يصل سمعه خبر أو حادثة من خلال وسائل التواصل الجماعي، أو أن حادثة الخبر بثته وسائل الإعلام المتعددة، تجده ينقل ذلك الخبر دون تثبت أو تحري، لأنه خبر شاع بين الناس، فلا يقبل المناقشة أو الجدل، وذلك لكثرة ناقله .

قال صاحب كتاب وسائل التحقق من الأخبار: "فإنه اليوم مع توفر وسائل الإعلام الكاسحة أصبحت قضية التواتر تختلط في أذهان الناس بسهولة، بسبب التعدد السطحي لوسائل الإعلام التي تذيب الخبر الواحد، وبالصيغة الواحدة، فعندما ترد جميع وسائل الإعلام الخبر نفسه، فإنها توحى إلى مستقبله أن هناك إجماع يؤكد صحة الخبر"^(١).

وبهذا يقع كثير من الناس في قبول الأخبار والأحداث بدون تثبت ولا تمحيص وتدقيق وأخذها جزافاً دون تمحيص أو نقد .

٣- الحماس الزائد والانفعال.

إن النفس البشرية مفضولة في حياتها بالحماس الزائد، والمنفعل، فلا بد لها من التوازن في الأمور، حماس مع تثبت وعاطفة مع أناة وتؤدة في الأمور.

ولكي لا ينقلب هذا الحماس إلى ندم وحسرة، والذي قد يكون بسببه إزهاق الأنفس وإراقة دماء، وهتك أعراض، وسلب أموال، لا بد من أن يكون الحماس منضبطاً في حدوده وأن تكون العاطفة الإنسانية متروية ومتأنية غير متسرفة، فعن أسامة بن زيد^(٢) أنه قال: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ

(١) وسائل التحقق من الأخبار في ضوء الكتاب والسنة، اسماعيل سعيد، الطبعة الأولى، دار المجتمع للنشر، جدة- المملكة العربية السعودية، ص ١٣-١٤.

(٢) الصحابي: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب، أبا محمد، وقيل: أبو زيد، كان يسمى حب رسول الله، أمه أم أيمن حاضنة النبي، توفي بالجرف وحمل إلى المدينة سنة (٥٨هـ)، وقيل: توفي سنة (٥٤هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١/٢٩-٨٠.

الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحٍ حتى قتلتها، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، قال: فقال لي: ((يا أسامة أقتلتها بعد ما قال لا إله إلا الله)) قال: قلت يا رسول الله إنما كان متعوداً، قال: ((أقتلتها بعد ما قال لا إله إلا الله)) قال: فما زال يُكرِّرها عليّ حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم^(١).

وهكذا أوقع الحماس الزائد أسامة بن زيد رضي الله عنه في عدم التثبت والتبين من صدق إيمان الرجل، مما جعله متسرعاً يعاجل الرجل بقتله، فأوقعه ذلك في الموقف العصيب، والذي سبب له الحسرة والندامة في تسرعه، وعدم تثبته وتبينه من صدق إيمان الرجل.

٤- الاغترار بالألفاظ البراقة.

إنَّ حُسن الكلام ورونقه وجمال أسلوبه يدفع الإنسان للإغترار به، فعندما يسمع كلاماً أو خبراً يحمل هذه المعاني يُسارعُ إلى تصديقها والثوق بها، ويمنعه ذلك من البحث والنظر فيما ينقل إليه.

والقرآن الكريم حذر ونبه من الاستماع إلى المنافقين لأنهم يملكون قدرة الحديث، وقد يلبسون على المستمعين وخاصة السذج والرعا من الناس، قال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾^(٢).

ولذا يجب على المسلم؛ أن لا يغتر ببريق الألفاظ والمعاني، وليتثبت ويتحرى من الكلام الذي يسمعه وينقل إليه، فيكون بذلك جنّب نفسه عن التسرع في الحكم على كلام الناس دون تثبت وتبين.

(١) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ضبطه د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة، دمشق-بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: {من أحيائها}، ٢٥١٩/٦، رقم الحديث ٦٤٧٨، واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ٩٦/١، رقم الحديث: ١٥٩.

(٢) سورة المنافقون، آية: (٤).

٥- التنافس بين الأقران.

القاعدة التي قررها علماء هذه الأمة: كلام الأقران لا يلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى، وخاصة إذا كان الدافع إلى ذلك الحسد بين الأقران.

قال الإمام الذهبي^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد"^(٢).

والسبب أن الحامل على ذلك ما قد يفضيه من عدم الإنصاف والعدل فيه .

فيلزم من ذلك التآني والتثبت في ذلك، كما قال الإمام الذهبي: "كلام النظر والأقران ينبغي أن يُتأمل ويُتأني فيه"^(٣).

ولذا وجب على المسلم؛ إذا بلغه كلام الأقران بعضهم في بعض؛ أن يتنبه لذلك لئلا يغتر به؛ فيقع في عدم التثبت، فقد يتبين له أن هذا الكلام دافعه الحسد والحقد والتنافس المذموم .

وبهذا يتبين أن الحقد والحسد سبب دافع إلى التثبت .

٦- عدم إدراك عواقب الأمور والتي قد ينتج منها آثار سلبية.

إن عدم النظر في عواقب الأمور، سببه التسرع والتهاون فيها، وعدم إدراك خطورة عاقبتها إذا لم يتثبت فيها، ولو أدرك المسلم الآثار السلبية التي قد يجلبها التسرع في الأمور ، وعدم التثبت منها، في حياته وحياته من حوله من الأفراد والمجتمعات، لتمسك بالتثبت منهجًا وسلوكًا في حياته اليومية.

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، الملقب بشمس الدين، أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، مولده ووفاته في مشق، له مصنفات كثيرة، منها: الكنى والألقاب في التاريخ، تاريخ الإسلام الكبير، سير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال في نقد الرجال تجريد أسماء الصحابة، توفي سنة (٧٤٨هـ)، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبدالفتاح محمد، ومحمود الطناحي، الطبعة الأولى، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ، ١٠٠/٩، الأعلام للزركلي ٣٢٦/٥.

(٢) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، ١١/١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٨١/٣.

ومن تلك الآثار السلبية:

أ- هتك الأعراض واتهام الأبرياء دون سند شرعي، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

ب- كشف خصوصيات المجتمعات العائلية، وإشاعة الفاحشة والأفكار الهدامة في البلاد
وبين العباد،

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

ج- الخلل والاضطراب في الأمة المسلمة، وحصول الفوضى بين أفراد المجتمع، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٣).

د- حصول الندم والحسرة، إذا لم يتثبت ويتبين، قال تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ جَاءَهُمْ قَوْمٌ بِنِيٍّ فَسَاقُوا بِنْيَاهُ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٤)

هـ- الوقوع في الزلل والتعرض لغضب الرب جلَّ وعلا، قال ﷺ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا
يَتَّبَعُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ)) (٥).

(١) سورة النور، آية: (٤).

(٢) سورة النور، آية: (١٩).

(٣) سورة النساء، آية: (٨٣).

(٤) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٥) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ٢٣٧٧/٥، رقم الحديث: ٦١١٢، ومسلم

في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار، ٢٢٩٠/٤، رقم الحديث: ٦، واللفظ

والمسلم إذا تأمل في هذه الآثار السيئة التي تترتب على عدم التثبت، علم أن الذين يقعون فيها ، إما أنهم لا يعلمون عواقب الأمور المترتبة على عدم التثبت، وذلك بسبب قلة العلم، أو أنهم يعلمون تلك الآثار السيئة فيقدمون عليها عن قصد وتعمد، وذلك بسبب جهلهم المركب بعواقب الأمور.



منهج التثبيت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وتطبيق السلف الصالح لمنهج التثبيت .

وفيه :

المبحث الأول : التثبيت في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : التثبيت في السنة النبوية .

المبحث الثالث : تطبيق السلف الصالح لمنهج التثبيت .

المبحث الأول

منهج التثبيت في القرآن الكريم

وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: الأسلوب القرآني في الدعوة إلى التثبيت والتبين في الأمور.
- المطلب الثاني: الأسلوب القرآني في بيان أن التثبيت يكون بالتعلم.
- المطلب الثالث: الأسلوب القرآني في بيان وسطية التثبيت بين العجلة والتباطؤ.
- المطلب الرابع: الأسلوب القرآني في الثناء على صفة الصدق وأهله الصادقين.
- المطلب الخامس: الأسلوب القرآني في الحث على حسن الظن بالمؤمنين.
- المطلب السادس: الأسلوب القرآني في التحذير من الشائعات والحد منها.
- المطلب السابع: الأسلوب القرآني في تحريم القذف وعقوبة فاعله.
- المطلب الثامن: نماذج من المنهج القرآني في توجيه الله ﷻ لأنبيائه وتربيتهم على التثبيت.

المبحث الأول : منهج التثبت في القرآن الكريم .

تمهيد :

لقد كرم الله الإنسان بالدين الإسلامي الذي رفع الله به البشر إلى أعلى مستويات الإنسانية . وكرمه بالإمعان والتدبير في القرآن الكريم، ونجد هذا التكريم واضحا، حيث قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ^(١)، ومن يقف عند ملامح هذا التكريم للإنسان، يلاحظ أنه يتصل بكل جزئية من جزئيات هذا الدين.

وعند الحديث عن التثبت في القرآن الكريم، وبيان أهميته في حياة المسلمين، نقف عند معلم بارز من معالم تكريم الله للإنسان؛ ذلك لأن الله جل وعلا خلق العقل في الإنسان، وبه يستطيع أن يحكم على الأشياء، وأن يتصرف بمقتضى ذلك الحكم الذي حكم به العقل، ولا يمكن ذلك، إلا بالاستعانة بأدوات العقل ، من سمع وبصر وعلم.

ولأجل أن تكون الأحكام صائبة؛ شرع الله لنا أن نثبت فيما ترسله تلك الأدوات إلى العقل، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ^(٢).

والتثبت في القرآن الكريم يتأتى من خلال الأساليب التي اعتمدت بالتثبت والتبين في القرآن الكريم، وما تحملها من معاني وصفات حسنة، والتي تصب في مصلحة المسلم، لتكون منه إنساناً سوياً، بعيداً عن الأهواء.

وسياتي عرض تلك الأساليب أثناء الحديث عن المطالب التي يتضمنها البحث، وهي كالتالي:

(١) سورة الإسراء، آية: (٧٠).

(٢) سورة الإسراء، آية: (٣٦).

المطلب الأول: الأسلوب القرآني في الدعوة إلى التثبت والتبين في الأمور.

وضَّح القرآن الكريم للمؤمنين أهمية وضرورة التبين في الأمور، حتى لا يندفعوا أو يتصرفوا بتصرف يندموا عليه، بعد أن يسبق السيف العذل - كما يقال-، كما أن القرآن الكريم يدعو إلى الانتفاع بالبينات ومظاهر التبيين، لتمييز الحق من الباطل، والخير من الشر، والضلال من الهدى، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبُوا لَوْلَا يُفْقَهُوا لَمَنِ الْقَىٰ إِلَيْكُمْ أَسَلْتُمْ لَسَتْ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَبَيِّنُوا إِنِ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾^(١).

ففي الآية عتابٌ من الله ﷻ على أفضل خلقه بعد الأنبياء، وهم الصحابة رضوان الله عليهم، لما وقعوا فيه من التسرع الذي لا يقره الله ﷻ.

كما أنَّ في الآية بيانٌ لحكم من أحكام الجهاد والقتال، وخطابٌ من الله تعالى للمؤمنين إذا ساروا في الأرض لجهاد الأعداء؛ أن يتأنَّوا ويتثبتوا في من أشكل عليهم أمره وحاله من الأعداء، ولم يعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، وذلك تجنبًا من أن يقع سفكُ دم حرام بتأويل ضعيف .

فكان في الآية الكريمة ؛ إرشادٌ إلى أنَّ من أظهر الإسلام والتوحيد، أو شعيرة من شعائر الإسلام، وجب الكفُّ عنه ، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، ويكونُ الحكم عليه بالظاهر لا بالباطن، كما قال الإمام القرطبي: "والأحكام تُنَّاط بالمظانِّ والظواهر لا على القطع واطلاع لسرائر"^(٢).

والأصل في ذلك؛ أنَّ من نطق الشهادتين، أصبح معصومًا، يُحَقَّنُ دمه ، ويحفظُ عرضه وماله ، ويُعَظَمُ له حقه.

(١) سورة النساء، آية (٩٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٣٣٩/٥.

قال ﷺ: ((أُمرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَهَا ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ ، إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ))^(١).

قال العلامة السعدي^(٢) ﷺ في تفسيره للآية: "يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله، وابتغاء مرضاته؛ أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة، فإن الأمور قسمان: واضحة، وغير واضحة، فالواضحة البيّنة، لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشككة غير الواضحة، فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها، والتبين منها، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟

فإن التثبت في هذه الأمور؛ يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشور عزيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزاقته، بخلاف المستعجل للأمر في بدايتها، قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي"^(٣).

وفي سبب نزول الآية الكريمة، وردت أقوال متعددة، تبين سبب نزولها، ويمكن توضيحها على النحو التالي:

القول الأول: ما رواه ابن عباس^(٤) قال: مرّ رجلٌ من بني سليم بنفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو يسوقُ غنمًا له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلّم علينا إلا ليتعوّذ منا، فعمدوا

(١) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ٥٠٧/٢، رقم الحديث: ١٣٣٥، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ٥١/١، رقم الحديث: ٣٢.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي النجدي، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، متكلم واعظ، ولد سنة (١٣٠٧هـ) في عنيزة- تقع في شمال شرق المملكة العربية السعودية- من مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، القواعد الحسان في تفسير القرآن، طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة (١٣٧٦هـ)، انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى، بيروت: مكتبة المثني و دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ/١٣٩٦-٣٩٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ٣٨٨/١.

(٤) الصحابي: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشي الهاشمي، كان يسمى البحر؛ لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، وقد دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللهم علمه الحكمة))، روى الحديث عن النبي ﷺ، وعن كبار الصحابة عن عمر وعلي ومعاذ بن جبل وأبي ذر الغفاري، توفي بالطائف، سنة: (٦٨هـ)، وقيل سنة: (٧٠هـ)، أنظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٣/٢٩٠-٢٩٤.

إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١).

القول الثاني: وقيل أنها نزلت بشأن أسامة بن زيد رضي الله عنه ، ففي رواية، أنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَرَّةِ^(٢) مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ، فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا عَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرُحْيٍ حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ لِي:

((يَا أُسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِمَّا كَانَ مُتَعَوِّدًا، قَالَ: ((أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَيَّ لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ^(٣).

القول الثالث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، فِيهَا الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ^(٤)، فَلَمَّا أَتُوا الْقَوْمَ، وَجَدُوهُمْ قَدْ تَفَرَّقُوا، وَبَقِيَ رَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ لَمْ يَبْرَحْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ الْمُقْدَادُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: قَتَلْتَ رَجُلًا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهِ لَيُذَكِّرَنَّ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ رَجُلًا شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَتَلَهُ الْمُقْدَادُ، فَقَالَ: ادْعُوا لِي الْمُقْدَادَ، فَقَالَ: ((يَا مُقْدَادُ، قَتَلْتَ رَجُلًا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَيْفَ لَكَ بِلَا إِلَهَ اللَّهُ؟))^(٥)، ونزلت الآية.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، ٤٦٧/٣، رقم الحديث: ٢٠٢٣، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) الحرة: بضم الحاء المهملة وفتح الراء وبالقاف قبيلة من جهينة، انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للإمام محمود بن أحمد العيني، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، بدون رقم ومكان الطبعة، ٣٦/٢٤.

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿من أحيها﴾، ٢٥١٩/٦، رقم الحديث: ٦٤٧٨، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ٩٦/١، رقم الحديث: ١٥٩.

(٤) الصحابي: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، المعروف بالمقداد بن الأسود، من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا وأحدا، توفي في خلافة عثمان بن عفان، سنة (٣٣هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٢٥١/٥-٢٥٤.

(٥) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ١٤٠٦، ٢٤/١٢، رقم الحديث: ١٢٣٧٩، قال الإمام الهيثمي: إسناده حسن، انظر: مجمع الزوائد =

القول الرابع: ما رواه عبد الله بن أبي حردد الأسلمي^(١) قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى إِضْمٍ^(٢)، قَالَ: فَلَقِينَا عَامِرَ بْنَ الْأَضْبَطِ^(٣)، قَالَ: فَحَيَّا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَزَعَمْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلَّمُ بْنُ جَثَامَةَ^(٤) فَفَقَتَلَهُ، فَلَمَّا قَتَلَهُ سَلَبَهُ بَعِيرًا لَهُ، وَأُهْبَبَّا، وَمُتَمِعًا كَانَ لَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا، جِئْنَا بِشَأْنِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ بِأَمْرِهِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ^(٥).

قال الإمام القرطبي^(٦) معللاً لاختلاف الروايات في سبب نزول الآية: "ولعل هذه الأحوال جرت في زمان متقارب فنزلت الآية في الجميع"^(٧).

وقال أيضاً: "والتبين والتثبت في القتل واجب حضراً وسفراً ولا خلاف فيه، وإنما خصَّ السفر بالذكر لأن الحادثة التي فيها نزلت الآية وقعت في السفر"^(٨).

ولقد تكرر في الآية قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، للتأكيد عليهم لكونه واجباً لا فسحة فيه ولا رخصة^(٩).

= ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق: حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي للنشر ، القاهرة ، ١٤١٤هـ ، ٨/٧ .

(١) الصحابي: عبد الله بن سلامة بن عمير بن هوزان الأسلمي، أبا محمد، كانت أول مشاهدته الحديبية وخبير وما بعدها، توفي سنة (٧١هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٢٦٥/٣.

(٢) إضم: موضع ماء بين مكة واليمامة، انظر: تاج العروس، للزبيدي، ٢١٩/٣١.

(٣) عامر بن الأضببط الأشجعي، قُتِلَ حين أسلم ، وقبل أن يلقي رسول الله ﷺ ، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١١٧/٣.

(٤) الصحابي: محلم بن جثامة، قيل اسمه: يزيد بن قيس بن ربيعة الكناني الليثي، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٧٦/٥ - ٧٧.

(٥) المصنف لابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، تحقيق: محمد عوامه، الطبعة الأولى، دار قرطبه، بيروت، ١٤٢٧هـ، ٥٥٤/٢٠ - ٥٥٥، رقم الحديث: ٣٨١٦٨، قال الإمام الهيثمي: رجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد

ومنبع الفوائد، ٨/٧ .

(٦) محمد بن أحمد بن أبي بكر الخرزجي الأندلسي القرطبي من كبار المفسرين، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكار في أفضل الأذكار، توفي سنة (٦٧١هـ)، انظر: الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٣٣٧/٥.

(٨) المرجع السابق، ٣٣٨/٥.

(٩) فتح القدير، للإمام الشوكاني، ٥٩٢/١.

كما أنَّ في تكرارها تنبيه وإنذار من الله سبحانه بأنه خير بما يعملون، وخير بخلقه وبنواياهم التي يضمرونها وراء أعمالهم .

كما بيَّنت الآية: أنَّ الصارف للمؤمنين عن التبين والتثبت هو الطمع في المغام، وفي عرض الحياة الدنيا، والذي كان فيه إغواءً لهم عن اتباع الحق، فأوقعهم ذلك في فعل ندموا عليه، فكان في الآية إرشادًا وتأديبًا وتذكيرًا لهم؛ بأن عند الله مغام كثيرة دنيوية وأخروية، لمن كان مخلصًا منهم.

والقرآن الكريم حين يدعو إلى التثبت والتبين، إنما يريد ذلك لكي يكون المتبين على بصيرة من أمره، وعلى وضوح من طريقه، وليس معنى هذا أن يصير وينتج من تثبته وتبينه العناد أو التعنت أو المكابرة، لأن القرآن الكريم يكره للمؤمن ذلك.

ولذلك يعني أشد النعي على أولئك الذين لا يتثبتون، أو لا ينتفعون بثمره التبين بعد أن تجلى لهم التبيان، ولذلك قال ﷺ:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^(١).

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۗ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴾^(٢).

(١) سورة النساء، آية: (١١٥).

(٢) سورة محمد، آية: (٢٥).

المطلب الثاني: الأسلوب القرآني في بيان أن التثبت يكون بالتعلم .

لقد كان أول ما دعا إليه القرآن الكريم ، هو تحصيل العلم والمعرفة، وكان في بداية نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ ، الدعوة إلى التعلم وتحصيل المعرفة ، والحث عليه، قال ﷺ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ (١).

وعندما يبذل الإنسان من جهد ، في سبيل تحصيل العلم، الذي مصدره الله ﷻ ، حيث علمه ما لم يعلم، فإنه يصبح ملكة تترسخ في نفسه .
وتحصيل هذا العلم، مرتبط بما يبذله الإنسان من تضيق مصادر الظن والأهواء .
وتلك المنزلة التي أعطاها الله للعلماء والتمجيد الذي مجد به العلم وأهله، بمثابة الدعوة إلى التثبت، لأنه بالتثبت والتفكير يتحصل العلم .
قال الله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢).

فكان هذا العلم الراسخ الذي جعله الله وسيلة للتخلص من الزيغ المترسب في القلوب، والمؤدي إلى الفتنة ، والتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار .
قال الإمام الزمخشري (٣) ﷺ في تفسير قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾

(١) سورة العلق، الآيات: (١-٥).

(٢) سورة آل عمران، آية: (٧).

(٣) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري المعتزلي، أبو القاسم ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخش من قرى خوارزم، وسافر إلى مكة ، فجاور بها زمنا ، فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، =

أي: لا يهتدي إلى تأويله الحق ، الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله ، وعباده الذين رسخوا في العلم، أي ثبتوا فيه ، وتمكنوا ، وعضوا فيه بضرس قاطع^(١).

فالراسخون زال عنهم الجهل والريب ، وأنواع الشبهات ، وردوا المتشابه من الآيات إلى المحكم منها، وقالوا: آمننا بالجميع، فكلها من عند الله، وهكذا وصفهم في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿لَنْ كُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢).

وعلى هذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم، وقفوا بعقولهم عند حدها، ولم يخوضوا بها في الأمور الغيبية، ولم يدخلوا في التفكير في ذات الله، ولا في كنهه وكيفية صفاته، وزجروا عن ذلك ومنعوا منه ؛ فسلموا من الشكوك والشبهات ، واطمأنت قلوبهم بالإيمان واليقين.

ثم حتم الله تبارك وتعالى الآية الكريمة، بان الذين يتذكرون هم ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ، أي: أصحاب العقول الذين استفادوا من عقولهم، وفي هذا؛ سر لطيف، وهو: "إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة"^(٣).

كما أن فيه مدحٌ للراسخين لما كان منهم، من إلقاء الذهن، وحسن التأمل^(٤).

وفي قول الله تعالى:

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اُنشُرُوا

فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٥)،

بين الله ﷻ أنه رفع شأن ومكانة أهل العلم والإيمان.

= من مصنفاته: أساس البلاغة ومقدمة الأدب في اللغة، والفائق في غريب الحديث، والمستقصى في الأمثال، وأعجب العجب في شرح لامية العرب، توفي سنة (٥٣٨هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٥١/٢٠، والأعلام، للزركلي، ١٧٨/٧.

(١) انظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الرمخشري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ٥٢٩/١.

(٢) سورة النساء، آية: (١٦٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الريان، ١٤٢٥هـ، ١٢/٢.

(٤) الكشف، للرمخشري، ٥٢٩/١.

(٥) سورة المجادلة، آية: (١١).

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: يرفع الله المؤمنين منكم ، أيها القوم بطاعتهم ربحهم ، ورفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم ، درجات ؛ إذا عملوا بما أمروا به (١).

وإكرم الله لأهل العلم ، يكون بالثواب في الآخرة ، وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم (٢).

كما بينت الآية الكريمة، فضل العلم وأهله ، وأن الله سبحانه خصهم بالرفعة فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات، بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان، وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه (٣).

وعندما يضطرب الناس يوم القيامة؛ لرؤيتهم العذاب، يتميز أصحاب العلم عن غيرهم، لعلمهم أنهم على موعد مع هذا الموقف الذي أعدوا له عدته، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (٤).

قال الإمام فخر الرازي في بيان هذه الآية: أن المجرم إذا حشر، علم أن مصيره إلى النار ، فيستقل مدة اللبث، ويختار تأخير الحشر والإبقاء في القبر، والمؤمن إذا حشر، علم أن مصيره إلى الجنة، فيستكثر المدة، ولا يريد التأخير، فيختلف الفريقان: ويقول أحدهما إن مدة لبثنا قليل، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، ويقول الآخر لبثنا مديداً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾، يعني كان في كتاب الله ضرب الأجل إلى يوم البعث، ونحن صبرنا إلى يوم البعث

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٩/٢٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٢٩٩/١٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ١٩٦/٥.

(٤) سورة الروم، الآيات: (٥٥-٥٦).

﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني طلبكم التأخير، لأنكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به، فصار مصيركم إلى النار فتطلبون التأخير^(١).

حيث أن الكافرين يسألون أو يُسألون عن مدة لبثهم في الدنيا، فلا يُقدِّرون حقيقتها، فالكفار يظنون أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، وأما الذين يعلمون حقيقة هذه المدة، فهم الذين أوتوا العلم من المؤمنين، الذين عملوا بالعلم النافع المفيد، وطبقوه في حياتهم، فكان أن اطمأنت قلوبهم في يوم الفرع الأكبر، حيث أَمَّنَ اللهُ روعهم، وسكنت قلوبهم، وقالوا بكل راحة نفس، واطمئناناً قوي، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال العلامة السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾، أي: مَنْ اللهُ عليهم بهما، وصارا وصفا لهم العلم بالحق، والإيمان المستلزم إثبات الحق، وإذا كانوا علمين بالحق مؤثرين له، لزم أن يكون قولهم مطابقاً للواقع مناسبا لأحوالهم^(٢).

كما أن التَّدْبُؤَ وعدم التثبت يؤديان بالمرء إلى الشرك وزرع النفاق في القلب، والعلم واليقين، والتوقفي يؤدي بالمرء إلى الإحبات، والخضوع لرب العزة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمِّيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

ذكر العلامة السعدي في تفسير قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ لطائفتين من الناس، لا يبالي الله بهم، وهم الذين ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: ضعف وعدم إيمان تام وتصديق جازم، فيؤثر في قلوبهم أدنى شبهة تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب

(١) انظر: التفسير الكبير، للإمام فخر الرازي، ١١٢/٢٥.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٧٩/٤.

(٣) سورة الحج، الآيات: (٥٢-٥٤).

والشك، فصار فتنة لهم، وأما الطائفة الأخرى ﴿وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الغليظة، التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقسوتها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، جعلوه حجة لهم على باطلهم، وجادلوا به، وشاقوا الله ورسوله، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي: مشاققة لله، ومعاندة للحق، ومخالفة له، بعيد من الصواب، فما يلقيه الشيطان، يكون فتنة لهؤلاء الطائفتين، فيظهر به ما في قلوبهم، من الخبث الكامن فيها.

وأما الطائفة الثالثة، فإنه يكون رحمة في حقها، وهم المذكورون بقوله: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، لأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، ولتعلموا أن الله حكيم، يقيض بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كمائن النفوس الخيرة والشريرة، ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بسبب ذلك، ويزداد إيمانهم عند دفع المعارض والشبه.

﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: تخشع وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بسبب إيمانهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ علم بالحق، وعمل بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعبده (١).

وهكذا يكون المرض الجاثم على قلوب المنافقين، كيف جعل من إلقاء الشيطان فتنة لهم، ووبالا عليهم، وصددهم عن ذلك الخير العظيم، وانظر إلى العلم، كيف جعل من إلقاء الشيطان ذاته وسيلة من وسائل العلم، والتثبت طريقا إلى الإجابات والإذعان لمشية الله رب العالمين.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٣/٣٣٠-٣٣١.

والعلماء هم الطائفة المرجوة في تحقيق شرع الله جل وعلا ، وأنهم هم الذين يعرفونه حق معرفته ، وبالتالي فهم الذين يخشونه حق خشيته، قال تعالى:

﴿الْمُرْتَدَّانَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُا وَعُرَيْبٌ سَوْدٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١﴾﴾.

واستشهد الله تعالى بأهل العلم على أجل مشهود به، وهو توحيد الله، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة الملائكة ، وفي هذا تركية لهم ، وتعديل وتوثيق؛ لأن الله تعالى لا يستشهد بمجروح، قال تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾﴾.

فأشهد الله ﷻ أهل العلم على وحدانيته، ولم يشهد من سواهم لما للعلم من فضيلة وشرف.

(١) سورة فاطر، الآيات، (٢٧-٢٨).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٨).

المطلب الثالث: الأسلوب القرآني في بيان وسطية التثبث بين العجلة

والتباطؤ.

لقد دعت الشريعة الإسلامية إلى الوسطية، وتفعيلها في حياة البشرية، وذلك من خلال تحلية النفس بالتثبث؛ والذي هو وسط بين العجلة، التي حذرَّ منها رسول الله ﷺ، وذكر أنها من الشيطان، فعن أنس بن مالك^(١) رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((التَّائِي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ))^(٢)، وبين التباطؤ، الذي هو دليل الكسل، وعدم التصرف الحكيم تجاه الأمور.

والأناة هي السلوك المطلوب، وهي ليست تعجلاً ومساابقة لأوقات الأشياء، ولا تباطؤاً وكسلاً، وكل من العجلة والتباطؤ، يضيعان على أصحابهما الجهد والزمن، وما بذلوه، وفي الأناة تحقيق للمطلوب، وتفادي للخسارة، وقد ذم الإسلام الاستعجال، ونهى عنه، وذم التباطؤ، ونهى عنه، ومدح الأناة والتثبث، وأمر بها، و عمل على تدريب المسلمين على الأناة، وعلى التريث الحكيم في القيام بالأعمال، وفي تصريف الأمور^(٣).

والأناة: عُرِّفَتْ بأنها: "التصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ"^(٤).

(١) الصحابي: أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، من بني عدي بن النجار، خادم رسول الله ﷺ، كان من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، روى عنه خلق كثير منهم ابن سيرين، وحميد الطويل، وقتادة، وحسن البصري، والزهري، توفي بالبصرة سنة: (٩٣هـ) انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١/١٥١-١٥٢.

(٢) السنن الكبرى، للإمام أحمد بن حسين بن علي البيهقي، كتاب آداب القاضي، باب التثبث في الحكم، دار الفكر، بدون مكان وتاريخ الطباعة، ١٠/١٠٤، ومسند أبي يعلى، أحمد بن علي التميمي الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٦هـ، ٧/٢٤٨، رقم الحديث: ٤٢٥٦، ورواه الترمذي في الجامع الصحيح في سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، بدون رقم الطبعة والتاريخ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التائي والعجلة بلفظ: ((الأناة من الله والعجلة من الشيطان))، ٤/٣٢٢، رقم الحديث: ٢٠١٢، وحسنه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١/٥٧٨، برقم: ٣٠١١.

(٣) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن بن حسن بن حنبل، الطبعة الثالثة، دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ٢/٣٦٩، بتصرف.

(٤) المصدر السابق، ٢/٣٦٧.

وقيل: التأني في الأمور وعدم العجلة، هو: أن لا يأخذ الإنسان الأمور بظاهرها فيتعجل، ويحكم على الشيء، قبل أن يتأني فيه وينظر^(١).

فالعجلة يجني صاحبها منها الندامة والحسرة، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بعدم الاستعجال، وترك العجلة في مسابقة الملك في قراءته، حيث قال سبحانه:

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**^(٢)، وهذا فيه تربية لرسول الله ﷺ وتعليمًا له؛ لترك العجلة، وقال في موضع آخر:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة^(٤) **رحمته الله**: والعجلة في الإنسان ظاهرة ناتجة عن اجتماع عدة عوامل لديه وهي:

العامل الأول: توجه دافع من دوافع النفس، لتحقيق مطلب من مطالبها، أو رغبة من رغائبها.

العامل الثاني: عدم التبصر بالأمور تبصرًا شاملاً.

العامل الثالث: ضعف الإرادة، وضمورها، أمام قوة الدوافع النفسية^(٥).

والإنسان قد يسمع خبرًا، أو حادثة ما " فيسارع إلى تصديقه، دون أن يلتزم بالمنهج الشرعي للتثبت، ودون أن يتدبر الأمور، ومن ثم تتكشف الحقائق، أن هذا الخبر أو تلك

(١) انظر: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، الرياض - المملكة العربية السعودية: مدار الوطن للنشر، ١٤٢٥هـ، ٣/٥٧٣.

(٢) سورة القيامة، الآيات: ١٦-١٧.

(٣) سورة طه، آية (١١٤).

(٤) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ولد في دمشق، ونشأ في بيت علم ودعوة، درس في بلده، ثم التحق بالأزهر في مصر، ثم عمل باحثًا ومدرسا في كثير من الجهات البحثية والأكاديمية، من مؤلفاته الكثيرة، العقيدة الإسلامية وأسسها، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، بصائر للمسلم المعاصر، الحضارة الإسلامية، وغيرها من المؤلفات توفي بدمشق سنة (١٤٢٥هـ)، انظر: موقع ويكيبيديا الإلكتروني.

(٥) انظر: انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ١/٣٩٠.

الحادثة كانت غير صحيحة، أو مبالغاً في الأمر، فيجني المتسرع العجول الندم، والحسرة، كما أخبر ﷺ: ﴿فَنُصِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١) (٢).

وليعلم أن العجلة وإن كانت مذمومة في مواضع، فهي أيضاً مطلوبة وممدوحة في مواضع أخرى، ففي أعمال البرّ والخير والإصلاح والإحسان، العجلة مطلوبة ومحبوذة، قال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وقال

تعالى ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ﴾^(٤)، فالمسارعة والمسابقة في طاعة الله وأمور الآخرة مطلوب.

ومن قبل أسرع موسى ﷺ للقاء ربه فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٥)، وامتح الله

تعالى عبده زكريا ﷺ وأثنى عليه وعلى أهله فقال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾^(٦).

ويتأكد أمر العجلة، وسرعة الأخذ به، عند ظهور الحق، وعدم التواني والتأخر في قبوله،

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٧)، وقال ﷺ: ((التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ))^(٨).

(١) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٢) انظر: الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع، محمد بن دغيش القحطاني، الرياض، دار طويق، ١٤١٨ هـ ص ١٦١.

(٣) سورة آل عمران، آية: (١٣٣).

(٤) سورة الحديد، آية: (٢١).

(٥) سورة طه، آية: (٤٨).

(٦) سورة الأنبياء، آية: (٩٠).

(٧) سورة الأحزاب، آية: (٣٦).

(٨) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الريان،

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م كتاب الأدب، باب في الرفق، ٢٧٩/٥، رقم الحديث: ٤٧٧٧، و صححه الألباني، =

فالتأني والتروي، وعدم العجلة، في أمر من أمور الدنيا، خير ومحمود، إلا ما كان من أمر الآخرة، فتكون المسارعة والمسابقة فيه، لأنه مما يحبّه الله ويرضاه، وحثّ عليه عباده المؤمنين.

يقول الشيخ عبدالرحمن حينكّه رحمته الله: وكذا التباطؤ في الأمور والكسل فيها، قد يفوّت المقصود، فإنّ بعض الأمور تتطلب فيها السرعة، والتأخر، قد يكون مفسدة، كحال الجريح المشرف على خطر الموت، قد يتطلب إسعافه، مقداراً كبيراً من السرعة، والتخفيف منها توانٍ وتباطؤ.

واستطرد الشيخ قائلاً: وهكذا يظهر منهج التثبت، وسط بين الأمرين، حيث يقدر لكل موقف قدره من العجلة فيه والتريث، فالمسألة نسبية، حيث إن الأشياء مرهونة بأوقاتها، والعجلة فيها خلق مذموم، يدل على ضعف خلق الصبر، والتباطؤ، يدل على ضعف الهمة، والإخلاد إلى الراحة، والتثبت هو السلوك المطلوب، وهو المواءمة بين مقدار السرعة في الحركة وبين الحاجة الحقيقية التي تستدعيها النتائج المطلوبة، فهو ليس تعجلاً ومسابقة لأوقات الأشياء، ولا تباطؤاً وكسلاً^(١).

=انظر: صحيح سنن أبي داود، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض

، السعودية، ١٤١٩ هـ. ١٨٢/٣، رقم: ٤٨١٠.

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ٣٦٨/٢-٣٦٩، بتصرف.

المطلب الرابع: الأسلوب القرآني في الثناء على صفة الصدق وأهلها

الصادقين .

إن الصدق خلق عظيم، وسلوك ممدوح، وصف الله ﷻ به أنبياءه عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٢).

وقال أيضاً: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٣).

وبهذه السجية والطبع المبارك، عرف نبينا محمد ﷺ منذ نعومة أظفاره، واشتهر بين قومه وعشيرته، بأنه الصادق الأمين، ولقب بذلك، فعن عبد الله بن عباس^(٤) رضي الله عنه، قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥) صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: ((يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ)) لِيُطَوِّنَ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ، أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو هَبٍ وَفُرَيْشٌ، فَقَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَرْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: ((فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ))^(٦).

(١) سورة مريم، آية: (٤٥).

(٢) سورة مريم، آية: (٤١).

(٣) سورة مريم، آية: (٥٦).

(٤) الصحابي: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشي الهاشمي، كان يسمى البحر؛ لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، وقد دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللهم علمه الحكمة))، روى الحديث عن النبي ﷺ، وعن كبار الصحابة عن عمر وعلي ومعاذ بن جبل وأبي ذر الغفاري^(٥)، توفي بالطائف، سنة: (٦٨هـ)، وقيل سنة: (٧٠هـ)، أنظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٣/٢٩٠-٢٩٤.

(٥) سورة الشعراء، آية: (٢١٤).

(٦) رواد البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ٤/١٧٨٧، رقم

الحديث: ٤٤٩٢.

وقد نفى الله ﷻ عن نبينا محمد ﷺ الكذب، ورد على المشركين القائلين بأنه يفترى على الله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(١).

وقال تعالى في موضع آخر:

﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِيلِ﴾^(٤٤) ﴿لَا خِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾^(٤٥) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(٢).

والصدق؛ خلافه الكذب، وهو أساس السيئات، ويؤدي بصاحبه إلى إضعاف إيمانه: "إن من قواعد منهج الدعوة الإسلامية، تربية المجتمع على الصدق والتزامه، لأنه مبدأ الحسنات، وركيزة القوة والقيادة، وخلاف ذلك الكذب، الذي هو أساس السيئات، والطريق المؤدي إلى الضعف والإيمان، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: الفارق بين الإنسان والدواب؛ هو المنطق، فإذا فسد بالكذب، كان أسوأ حالاً من البهائم.

الوجه الثاني: الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق؛ هي الصدق، لقوله ﷻ: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ))^(٣).

الوجه الثالث: الصدق هو أصل البر، والكذب أصل الفجور، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ، قال: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا))^(٤).

(١) سورة الشورى، آية: (٢٤).

(٢) سورة الحاقة، الآيات: (٤٤ - ٤٦).

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، ٢١/١، رقم الحديث: ٣٣، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث ٧٨/١، رقم الحديث: ١٠٧.

(٤) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصادقين﴾ ٢٢٦١/٥، رقم الحديث: ٥٧٤٣، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبج

الكذب وحسن الصدق وفضله، ٢٠١٢/٤، رقم الحديث: ١٠٥، واللفظ له.

الوجه الرابع: الصادق تنزل عليه الملائكة مؤيد له، والكذب تنزل عليه الشياطين، وتزيده رهقاً، قال تعالى:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾^(١).

الوجه الخامس: الصدق مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين في الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾^(٢).

الوجه السادس: العارفون بالله اتفقوا على أن أساس الطريق إلى الله هو الصدق والإخلاص، ودل على ذلك إجماع الأمة، والمجتمع المسلم، لا يثبت إلا إذا بنيت أسسه على الصدق، وهو المطلوب منه،

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^{(٣) (٤)}.

تعريف الصدق.

والصدق في اللغة:

الصدق: نقيض الكذب، يقال: صدّقه: قبل قوله، وصدّقه الحديث: أنبأه بالصدق، وصدقت القوم: قلت لهم صدقا، ورجل صدوق أبلغ من الصادق، والصديق الدائم التصديق، ويكون أيضا، الذي يصدق قوله بالعمل^(٥).

وفي الاصطلاح:

الصدق: مطابقة الحكم للواقع، وهو ضد الكذب^(٦).

(١) سورة الشعراء، الآيات: (٢٢١ - ٢٢٣).

(٢) سورة الحج، الآيات: (٣٠ - ٣١).

(٣) سورة التوبة، آية: (١١٩).

(٤) انظر: منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، محمد بن الأمين الأنصاري، الطبعة الأولى الرياض: مكتبة الأنصار، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ٣٤٢-٣٤٣.

(٥) لسان العرب، لابن منظور، ١٠/١٩٣.

(٦) انظر: كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، ص ٢٠٧.

وقيل الصدق: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً^(١).

وقيل: أنه مطابقة الكلام للواقع^(٢).

وامتدح الله ﷻ صحابة رسوله ﷺ، وأثنى على حقيقة صدق إيمانهم، ووفاءهم بعهودهم، التي عاهدوا به الله ﷻ فقال تعالى:

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾

(٣)، والصدق، صدق قول اللسان، وصدق الفعل والعمل، قال تعالى:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٤).

قال الإمام مجاهد^(٥) رحمه الله: أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة، فيقولون: هذا ما أعطيتمونا، فعملنا فيه بما أمرتمونا^(٦).

وقال الإمام ابن كثير^(٧) رحمه الله: وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين، فإن المؤمن يقول الحق، ويعمل به^(٨).

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، إعداد وإشراف محمد خلف الله، الناشر مكتبة الأجلو القصرية بدون رقم الطبعة وتاريخها، ص ٤٠٩.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، أحمد عبد القادر، محمد نجار، إشراف عبد السلام هارون، تحقيق مجمع اللغة العربية مطبعة مصر، ١٣٨٠هـ، ص ١١٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: (٢٣).

(٤) سورة الزمر، آية: (٣٣).

(٥) مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج، مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قال سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك، توفي سنة: (١٠٢هـ)، وقيل سنة: (١٠٤هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/٤٤٩، وانظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي، ٥/٢٧٨.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٧/٩٩.

(٧) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصريي، أبو الفداء، حافظ ومؤرخ وفقه، من مؤلفاته: البداية والنهاية، والباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، ورسالة في الجهاد، والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، توفي سنة: (٧٧٤هـ)، انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج المزني، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢، ١/٦٤، وانظر: الأعلام للزركلي، ١/٣٢٠.

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٧/٩٩.

وعقب الإمام ابن القيم الجوزية^(١) رَحِمَهُ اللهُ عَلَى الآية السابقة قائلاً: فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، فالصدق في هذه الثلاثة:

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلوب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامه بها، تكون صديقيته^(٢).

ومناط البحث في هذا المطلب هو الصدق في الأخبار، لأن الكذب فيها:

وظهورها بمظهر مخالف للواقع فيه تغيير للأمر، وقلب الحقائق، مما يجعل الحق باطلاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وينسب للناس خلاف ما قالوه وما فعلوه^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) رَحِمَهُ اللهُ: ومن هذا المنطلق؛ فإن أهم صفات المؤمنين الصادقين، التورع والتحري في أقوالهم، وتبث الأمور حتى لا يقعوا في الخطأ والكذب،

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن القيم الجوزية، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن تصنيفاته الكثيرة، أعلام الموقعين، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، مفتاح دار السعادة، زاد المعاد في هدي خير العباد، وغيرها من المصنفات، توفي بدمشق، سنة: (٧٥٠هـ)، انظر: المعجم المختص بالمحدثين، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الطبعة الأولى، الطائف، المملكة العربية السعودية: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ، ص ٢٦٩، وانظر: الأعلام، للزركلي، ٥٦/٦.

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العربي، ١٣٩٢هـ، ٢/٢٧٠.

(٣) انظر: سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية، ناصر العمر، الطبعة الثانية، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الوطن، ص ٢٨٤.

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، شيخ الإسلام، ولد في حران سنة: (٦٦١هـ) من مصنفاته الكثيرة: السياسة الشرعية، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام، ومنهاج السنة، الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، وغيرها من المصنفات، توفي سنة: (٧٢٨هـ) معتقلاً بقلعة دمشق، انظر: المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، ص ٢٥، والأعلام للزركلي، ١/١٤٤.

ولهذا قال الإمام حسن البصري^(١) - رحمه الله - : "المؤمن وقاف متبين"^(٢).

ولعظم منزلة الصدق، جعلها الله بعد منزلة النبوة، الذين هم في أرفع درجات العالمين، قال

تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣).

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة:

من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقا للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين، وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم^(٤).

وقد أمر الله سبحانه المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥).

وفي تفسير هذه الآية مسألتان، كما قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره:

المسألة الأولى: قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٦) هذا الأمر بالكون مع أهل

الصدق حسن بعد قصة الثلاثة، حين نفعهم الصدق، وذهب بهم عن منازل الصادقين.

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، من كبار التابعين، كان إمام أهل البصرة وحرير الأمة في زمانه، ولد بالمدينة وسكن البصرة، وتوفي بها سنة (١١٠هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/٥٦٣، والأعلام للزركلي ٢/٢٢٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم، وابنه محمد، المدينة المنورة: طبعة مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، ١٤١٦هـ، ١٠/٣٨٢.

(٣) سورة النساء، آية: (٦٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن، العظيم، لابن كثير، ٢/٣٥٣.

(٥) سورة التوبة، آية (١١٩).

(٦) سورة التوبة، آية (١١٩).

قال مطرف: ^(١) سمعت مالك بن أنس ^(٢) - رضي الله عنه - يقول: قلما كان رجل صادقاً لا يكذب؛ إلا مُتّع بعقله، ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخوف .

المسألة الثانية: حق من فهم عن الله وعقل عنه أن يلزم الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، والصفاء في الأحوال، فمن كان كذلك، لحق الأبرار، ووصل إلى رضا الغفار ^(٣).

ولعظم أمر الصدق وفضله أثنى الله به على أنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ^(٤)، وقال تعالى:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ^(٥).

ويكفي الصدق مدحاً وشرفاً؛ أن الله ﷻ وصف كلامه بالصدق في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ^(٧).

وأخيراً؛ فإنه لا ينفع العبد يوم القيامة، وينجيه من عذاب الله إلا الصدق، قال تعالى:

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ^(٨).

(١) مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار اليساري الهلالي، أبو مصعب ويقال: أبو عبد الله، مولى ميمونة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ روى عن مالك، وقال بن حنبل: كانوا يقدمونه على أصحاب مالك صحب مالكاً سبع عشرة سنة، توفي بالمدينة سنة (٢٢٠هـ)، انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ، ٣٢١/٢.

(٢) مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، من مصنفاته الموطأ، ورسالة في الوعظ، ورسالة في الرد على القدرية، وتفسير غريب القرآن، توفي سنة: (١٧٩هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٨/٨، والأعلام للزركلي ٢٥٧/٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، ٢٦٧/٨-٢٦٨.

(٤) سورة مريم، آية: (٥٦).

(٥) سورة مريم، آية: (٤١).

(٦) سورة النساء، آية: (٨٧).

(٧) سورة النساء، آية: (١٢٢).

(٨) سورة النساء، آية: (١١٩).

ومما سبق؛ يتضح لنا مدى مدح القرآن للصدق وأهله، لأن الكذب خاتم من خوارم عدالة الرواة، الذين ينقلون الأخبار، وبسببه ينتقل الراوي من عداد الرواة العدول، إلى المجروحين، الذين تُردُّ أخبارهم.

ومن هنا يظهر أن هناك علاقة قوية بين الصدق في الأقوال والأفعال، وبين التثبت، إذ لا يمكن أن يكون الإنسان مثبِتًا في الأخبار والحوادث وهو لا يتحرى الصدق.

المطلب الخامس: الأسلوب القرآني في الحث على حسن الظن بالمؤمنين.

إن الدعوة إلى دين الله ﷻ، المتمثلة في توجيهات القرآن الكريم، تدعو المسلم إلى حسن الظن بأخيه المسلم، ومن اجتناب سوء الظن به، قال الله تعالى:

﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(١).

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

نهى الله ﷻ عن كثير من الظن السيئ بالمؤمنين، حيث قال: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾ وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول مالا ينبغي، ويفعل مالا ينبغي، وفي ذلك أيضًا إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلافها منه^(٢).

وذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره:

والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمانة صحيحة، وسبب ظاهر، كان حرامًا، واجب الاجتناب، وذلك؛ إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث^(٣).

فالظن السيئ، يبدأ بخاطرة تنقدح في النفس، ثم ما يلبث صاحبها يبنى عليها أحكامًا وتصورات، فتتغير معاشرته لمن ظن به ظن السوء.

ويبدأ يستثقله ويعرض عنه، ويتطور به الأمر إلى أن يسعى لإثبات ذلك الظن السيئ، على أخيه المسلم، عن طريق التجسس عليه، وهو يتمنى في نفسه لو تحقق ذلك الظن السيئ بأخيه المسلم، لا لشيء، وإنما ليشبع رغبات النفس، ووسوسة الشيطان.

(١) سورة الحجرات، آية: (١٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٧٣/٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ٣١٥-٣١٦.

والواجب على المسلم أن يحسن الظن بإخوانه المسلمين، حتى في حال نقل الأخبار السيئة إليه عنهم، ولا يتسرع في إساءة الظن بهم، طالما أنه لم يتثبت ويتبين من تلك الأخبار، قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١)، فالتربية الربانية تلزم المسلمين بإحسان الظن بعضهم إلى بعض، ففي هذه الآية ملمح وفائدة لطيفة، في قوله تعالى: ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وكأن الإنسان إذا ظن بأخيه المسلم السوء إنما ظن بنفسه ذلك السوء، لأن الرسول ﷺ أخبر عن المؤمنين بقوله: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى))^(٢).

ومن لوازم حسن الظن بالمسلمين، أن تلتمس لهم الأعذار، لأنه من طبيعة البشر الوقوع في الخطأ، والأصل في المسلم براءة الذمة، وحسن الظن، وإذا ظهر منه قول أو فعل تكرهه، فينبغي حمله على أحسن المحامل، والتماس العذر له، كما قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه "ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن، إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً"^(٣).

وذكر ابن القيم الجوزية رحمته الله في كتابه مدارج السالكين: والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد به الآخر محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه وينظر عنه^(٤).

قال أبو قلابة عبد الله بن زيد رحمته الله^(٥): إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس له العذر، فإن لم تجد له عذر، فقل في نفسك لعل لأخي عذراً لا أعلمه^(٦).

(١) سورة النور، آية: (١٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٤/١٩٩٩، رقم الحديث: ٦٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/٢٠٥.

(٤) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٣/٥٢١.

(٥) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري، أبو قلابة، عالم بالقضاء والأحكام، كان من رجال الحديث الثقات، توفي بالشام سنة: (١٠٤هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/٤٨٦، والأعلام للزركلي، ٤/٨٨.

(٦) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، ٢/٢٨٥.

فحسن الظن بالمسلمين، فيه سلامة للنفس من الوقوع في الظن، والتجسس المنهي عنهما، ثم سلامة للمجتمع، لكي لا يتهم الأبرياء، وتنال أعراضهم، وتقع فيها دون تثبت ولا تأني.

المطلب السادس: الأسلوب القرآني في التحذير من الشائعات والحد منها.

إن أعداء الأمة الإسلامية، لا يألون جهداً ولا يدحرون وسعاً في سبيل تحقيق مآربهم وأهدافهم التي يصبون إليها، من أجل تفريق الصف، وتشتيت الكلمة في المجتمع المسلم، فقاموا إلى تحقيق ذلك، من خلال إيجاد الثغرات وفتح الجبهات التي استطاعوا من خلالها، نشر الأخبار والأقوال، وإشاعتها في المجتمع، وترويجها بينهم، وأصبح في المجتمع من يتقبل تلك الأقوال والأخبار الشائعة، من غير أن يتثبت ويتبين منها.

تعريف الإشاعة:

الإشاعة في اللغة: هذا خبر شائع، وقد شاع في الناس معناه: قد اتصل بكل أحد فاستوى علم الناس به، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض^(١)، وشاع الخبر يشيع شيعوعة، أي: ذاع^(٢).

والإشاعة في الاصطلاح:

قيل إن الإشاعة هي: الخبر ينتشر غير مثبت منه^(٣)، وقيل أنها: عبارة عن أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلفها البعض لأغراض خبيثة، ويتناقلها الناس بحسن النية، دون التثبت من صحتها، ودون التحقق من صدقها^(٤).

وجاء القرآن الكريم محذراً المؤمنين من الشائعات، وتبعاتها، قال تعالى:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٥).

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٨٨/٨، مادة: شيع.

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ٣/١٢٤٠، مادة: شيع.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، أحمد عبد القادر، وغيرهم، ١/٥٠٦.

(٤) انظر: وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، عبد الباقي زيدان، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ٤٤٦.

(٥) سورة التوبة، آية: (٤٧).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره، أي: ولأسرعوا السير والمشى بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ أي: مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحوهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير^(١). وقد عاتب الله أولئك النفر من الصحابة الكرام الذين تلقوا شائعة الإفك^(٢) دون التثبث وروجوا لها، قال تعالى:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(٣).

قال سيد قطب^(٤) رحمه الله:

وهي صورة فيها الخفة والاستهتار، وقلة التحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها، بلا مبالاة، ولا اهتمام ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبر ولا ترو، ولا فحص ولا إمعان نظر، حتى لكأن القول لا يمر على الآذان، ولا تتملاه الرؤوس، ولا تتدبره القلوب! ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ بأفواهكم لا بوعيككم، ولا بعقلكم، ولا بقلبيكم، إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول^(٥).

ثم يحذرهم الله تعالى من العودة إلى الوقوع في الشائعات مرة أخرى، بعد تلقيهم لهذا الدرس القاسي الذي رباهم الله تعالى به، قال تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٦).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/١٦٠.

(٢) الإفك: الكذب، ويقال أفك كذب وأفك الناس كذبهم وحدثهم بالباطل، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣٩٠/١٠، مادة: أفك.

(٣) سورة النور، آية: (١٥).

(٤) سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي، ولد بمصر، سنة: (١٣٢٤هـ)، وعمل في جريدة الأهرام، وكانت له كتابات في مجلتي الرسالة والثقافة، انضم لحركة الأخوان المسلمين، فتم سجنه، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، وهو في سجنه، من مؤلفاته الكثيرة: في ظلال القرآن، والعدالة الاجتماعية في الإسلام، والتصوير الفني في القرآن، و مشاهد القيامة في القرآن، والمستقبل لهذا الدين، ومعالم في الطريق، وغيرها من المؤلفات، و صدر الأمر بإعدامه فأعدم سنة: (١٣٨٧هـ)، انظر الأعلام للزركلي: ٣/١٤٧، بتصرف.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الخامسة عشر، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٨هـ، ٤/٢٥٠٢.

(٦) سورة النور، آية: (١٧).

وتؤيد السنة النبوية موقف القرآن في التحذير من الشائعات، فعن أبي هريرة^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ))^(٢).

قال الإمام ابن حبان^(٣) رحمه الله: في هذا الخبر الزجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم على اليقين صحته ثم يحدث به دون ما لا يصح^(٤).
وفي قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٥).

يظهر كيف وضع القرآن الكريم، قاعدة عظيمة، في تلقي الأخبار، وهي: الرد إلى الرسول ﷺ في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، وإلى أولي الأمر، لأن الاجتهاد وتقدير المصالح للمجتمع ليس حقاً لكل فرد.

(١) الصحابي: أبو هريرة الدوسي، صاحب رسول الله ﷺ، وأكثرهم حديثاً عنه، وهو دوسي من دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران، بن الأزدي، اختلف في اسمه فقيل: عمير بن عامر، وقيل: عبد الله بن عامر، وقيل: عبد شمس، وسماه الرسول ﷺ، بعد إسلامه: عبد الرحمن، أسلم عام خيبر، ولازم رسول الله ﷺ في العلم، وقال في سبب كنيته: وجدت هرة فحملتها في كمي، فقيل لي: أنت أبو هريرة، وقيل: رآه رسول الله ﷺ وفي كفه هرة: فقال: يا أبا هريرة، روى عن أبي هريرة أكثر من ثمانمائة رجل من أصحاب وتابع، واستعمله عمر على البحرين ثم عزله، سكن المدينة، وتوفي بها سنة (٥٧هـ)، انظر: أسد الغابة ٦/٣١٩-٣٢١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ١/١٠، رقم الحديث: ٥.

(٣) محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، أبو حاتم، مؤرخ، محدث، ولد في بستان من بلاد سجستان، وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة، وتولى قضاء سمرقند مدة، وهو أحد المكثرين من التصنيف، من كتبه: المسند الصحيح، كتاب الصحابة، وكتاب التابعين، وكتاب أتباع التابعين، وغرائب الاخبار، توفي سنة: (٣٥٤هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦/٩٢، والأعلام للزركلي ٦/٧٨.

(٤) انظر: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، حلب، سوريا: دار الوعي، ١٣٩٦هـ، ١/٩.

(٥) سورة النساء، آية: (٨٣).

قال سيد قطب رحمته الله:

والصورة التي ترسمها الآية السابقة، هي صورة جماعة لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمة الإشاعة، في خلخلة المجتمع الإسلامي، أو ربما؛ لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المجتمع، وهكذا لا يعينهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة، والجري بها هنا وهناك، وإذاعتها حين يتلقاها لسان عن لسان، سواء كانت إشاعة أمن، أو إشاعة خوف، فكلاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة..، والقرآن يدل الجماعة المسلمة على الطريق الصحيح ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ لأن القيادة المؤمنة هي التي تمتلك استنباط الحقيقة، كما تمتلك تقدير المصلحة في إذاعة الخبر - حتى بعد ثبوته - أو عدم إذاعته ^(١).

والناس إزاء الشائعات التي تثار حول شخص، أو هيئة ما، ينقسمون حسب تعاملهم مع هذه الشائعات، إلى ثلاثة أصناف:

الصف الأول: من يقبل هذه الشائعات على علاقتها، ويكتمها في نفسه، ويرتب عليها أموراً ومواقف من غير تثبت ولا تبين.

الصف الثاني: من يقوم بالتناجي بها، بعيداً عن صاحب الشأن فيها، ومعلوم ما في ذلك من الوقوع في الغيبة، وإذكاء الشائعات وانتشارها.

الصف الثالث: من يسارع إلى التثبت من الشائعة، ممن أثرت حوله مباشرة، ولا يذهب مع الظنون والوساوس النفسية، أو المناجاة، التي تحزن المسلم ^(٢).

ومعلوم: أن الصنفين الأول والثاني، خالف المنهج الشرعي للتثبت، وأما الصنف الثالث، فهو الصنف المتثبت، الملتزم للمنهج الشرعي في ذلك.

وقد توعد الله عز وجل الذين يسعون إلى إشاعة الفاحشة، في الذين آمنوا بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وذلك لاختلاقهم الأكاذيب، من دون تثبت وتبين، فقال تعالى:

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد إبراهيم قطب، ٧٢٣/٢ - ٧٢٤، بتصرف.

(٢) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز بن ناصر الجليل، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر، ٤٥/١.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

فالشائعات خطر فتاك، تهدم أسوار الأمن في المجتمعات، فتحولها إلى خراب ودمار، وتهتك حجاب الفضيلة، فتحوله إلى عرضة للطعن والقذف.

ونظرًا لخطورة الإشاعة على وحدة الصف، اهتمت بها الدول في عصرنا الحاضر، فأصبحت وسيلة من وسائل غزو الدول لبعضها، والسيطرة عليها، وإضعاف معنوياتها، ومما ساعد على ذلك، وجود أجهزة الإعلام في زمننا، وانتشارها، بحيث أذكت الشائعات، وزادت من سرعة وصولها إلى الأفراد والجماعات.

والمنهج القرآني يملي على المجتمع المسلم إزاء الشائعات، على سلوك موقفين والسير عليهما.

الموقف الأول: أن يثق المؤمنون بأنفسهم، والثبات على الصدق، ولا يتزعزعوا، ويجتهدوا في الوصول إلى الدلائل الواقعية، بالأسلوب الأصح، والمنهج الصادق، قال تعالى:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(٢).

الموقف الثاني: الحد من الشائعات، وتضييق الأبواب عليها، فلا تنتقل وتنتشر بين المجتمع ولا يخوض أحد فيها، قال تعالى:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتْرِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(٣).

فالواجب على المجتمع أن يكون في الموقفين دائمًا حذرًا ومتيقظًا، وملتبسًا بالصدق والعدالة، قال تعالى: ﴿يَعْظَمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤) (٥).

(١) سورة النور، آية: (١٩).

(٢) سورة النور، آية: (١٢).

(٣) سورة النور، آية: (١٥).

(٤) سورة النور، آية: (١٧).

(٥) انظر: منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي، محمد بن الأمين الأنصاري، ص ٣٤٥.

المطلب السابع: الأسلوب القرآني في تحريم القذف وعقوبة فاعله.

القذف ما هو إلا مظهر من مظاهر العجلة والتسرع، وعدم التثبت والتأني في الأمور، وتناول أخطر الأمور وأعظمها، بلا مبالاة ولا تدبر.

تعريف القذف:

القذف في اللغة: قذف بالشيء يقذف قذفاً فانقذف رمى، والتقاذف الترامي، وقذفه به أصابه، وقذفه بالكذب (١).

وقذف بالحجر، وبالشيء قذفاً: رمى به بقوة، وقذف فلاناً بقوله: تكلم من غير تدبر ولا تأمل، وقذف فلاناً بالشيء: أصابه، يقال: قذفه بالكذب، وقذفه بالمكروه، نسبه إليه.. وقذف المحصنة: رماها بالزني (٢).

وفي الاصطلاح:

القذف هو: الرمي بالفاحشة، كأن يقول امرؤ لآخر: يا زان، أو يقول: إنه رآه يزني، أو يأتي فاحشة كذا... من زنا أو لواط (٣).

ولقد بيّن المنهج القرآني، أنّ القذف كبيرة من كبائر الذنوب، مرتكبها ساقط العدالة، بل سماه الله فاسقاً في كتابه حتى يتوب، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ (٤).

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٧٦/٩.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، وغيرهم، ٧٢٨/٢.

(٣) انظر: منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، الطبعة الحادية عشرة، جدة، المملكة العربية السعودية: دار الشروق،

١٤١٢هـ-١٩٩١م، ص ٦٦٦.

(٤) سورة النور، آية: (٤-٥).

وشرع الله عقوبة القاذف ثمانين جلدة، من أجل المحافظة على سلامة عرض المسلم، وصيانة كرامته، والمحافظة على طهارة المجتمع، من إشاعة الفواحش فيه، وانتشار الرذائل بين المسلمين^(١).

وقال تعالى مبيناً سخطه وغضبه ولعنته على القاذف:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣)

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

كما جاءت السنة النبوية، داعمة للمنهج القرآني في تحريم القذف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ ((قَالَ: الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ))^(٣)، فأمر الرسول باجتنابه واعتباره من الكبائر، وتشديد العقوبة عليه، كما جاء في الآيات السابقة.

ومن العرض السابق؛ يظهر للمسلم، مدى حرص الشارع الحكيم على صيانة الأعراض، وسلامة المجتمع المسلم، وبالتالي يظهر مدى الانسجام والارتباط بين الحذر من الشائعات، وتحريم القذف، ووجوب التثبت في الأقوال والأفعال، لأن الذي لا يتثبت ولا يتبين فيما يصله من أخبار، وينقلها مباشرة، هو ممن يساهم في نقل الشائعات، ويروجها في المجتمع، وإذا كانت بحق امرئ مسلم، فهي تمس عرضه، فإن المروج لها يقع في قذف المسلمين الغافلين من دون التنبه لذلك.

(١) انظر: منهاج المسلم، ص ٦٦٦، بتصرف.

(٢) سورة النور، الآيات: (٢٣ - ٢٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، ٦/٢٥١٥، رقم الحديث: ٢٦١٥.

ولقد وقع هذا الأمر؛ لجماعة من الصحابة، حينما نشروا وأشاعوا حديث الإفك، دون تثبت، فساهموا في إشاعة الإفك، المتناول لعرض أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، فأقام عليهم الرسول ﷺ حد القذف، حيث نزلت براءة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) من عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(١)، وهؤلاء الصحابة سموا في رواية أبي داود^(٢) بأنهم حسان بن ثابت^(٤)، ومسطح بن أثاثه^(٥)، وحمنة بن جحش^(٦)، ولا يشك أحد في فضل هؤلاء الأخيار، ولكن التسرع في نقل الأخبار دون تروٍّ وتأنٍ، أوقعهم في المساهمة على قذف أشرف بيت في الإسلام.

ذكر الإمام البخاري^(٧) تحت باب قوله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(٨):

(١) الصحابية أم المؤمنين: عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، أم عبد الله، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه، تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بستين، وهي بكر، وكان عمرها لما تزوجها رسول الله ﷺ ست سنين، وقيل: سبع سنين. وبني بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة، روت عن النبي ﷺ كثيرا، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض، توفيت سنة (٥٧هـ)، وقيل: سنة (٥٨هـ) ودفنت بالبقيع، أنظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١٩٢-١٨٨/٧.

(٢) سورة النور، آية: (١١).

(٣) رواه أبي داود في سننه، كتاب الحدود، باب في حد القذف، (١١٨/٥)، رقم الحديث: (٤٤٧٠).

(٤) الصحابي: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر رسول الله ﷺ، توفي في خلافة علي بن أبي طالب سنة (٤٠هـ) وقيل سنة (٥٠هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير (٢/٥-٦).

(٥) الصحابي: عوف بن أثاثه بن عباد بن المطلب، ومسطح لقبه، شهد صفين مع علي بن أبي طالب، توفي سنة (٣٧هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير (٤/٣٠٨-٣٠٩).

(٦) الصحابية: حمنة بنت جحش الأسدية، كانت زوج مصعب بن عمير، فقتل في أحد، فتزوجها طلحة بن عبيد الله، كانت من المبايعات وشهدت أحدا، انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ٦٩/٧-٧٠.

(٧) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام، وحافظ حديث رسول الله ﷺ، ولد في بخارى، ونشأ يتيما، رحل في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق برواته، له من المصنفات: الجامع الصحيح الذي هو أوثق الكتب الستة والمعول عليها، وأيضا من مصنفاته التاريخ، والضعفاء في رجال الحديث، وخلق أفعال العباد، و الأدب المفرد، توفي في سمرقند، سنة: (٢٥٦هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٩١/١٢، والأعلام، للزركلي، ٣٤/٦.

(٨) سورة الشورى، آية: (٣٨).

وشاور النبي ﷺ علياً^(١) وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة رضي الله عنها، فسمع منهما حتى نزل القرآن، فجالد الراميين، ولم يلتفت إلى تنازعهم، ولكن حكّم بما أمره الله^(٢).

ولذا فعلى المسلم أن يتحلى في أقواله وأفعاله، بالتثبت والتأني، وأن يجعل لنفسه حصناً يحمي به من قالة السوء، الذين لا يتثبتون في أقوالهم، ولا يتورعون في نقل ما يصل إليهم من الأخبار، فحينما نزل حد القذف ثمانون جلدة، توقفت الألسن عن الحديث في الأعراس دون بينة وتثبت، وهذا مما امتاز به الدين الإسلامي العظيم.

(١) الصحابي: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أبو الحسن، ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، رابع الخلفاء الراشدين، هو أول الناس إسلاماً، شهد جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك؛ فإن رسول الله خلفه على أهله، وأعطاه رسول الله اللواء في مواطن كثيرة بيده، أكثر الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه خلق كثير، قتل شهيداً سنة (٤٠هـ)، أنظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٣/٩١-١٢٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: {وأمرهم شورى بينهم}، مقدمة الباب.

المطلب الثامن: نماذج من المنهج القرآني في توجيه الله ﷻ لأنبيائه وتربيتهم على التثبيت.

النموذج الأول: التثبيت في قصة نبي الله داود عليه السلام.

في قصة داود عليه السلام، عندما اختبره الله تعالى بإرسال ملكين في صورة رجلين متخاصمين يحتكمان إليه، واستعجاله في إصدار الحكم على أحدهما قبل سماع جواب المدعى عليه، بيان لأهمية التثبيت في الحكم على الناس، قال تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٢٥﴾﴾ (١).

قال سيد قطب - رحمه الله - بيانا لقصة نبي الله داود عليه السلام:

إن القضية كما عرضها أحد الخصمين، تحمل ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، ومن ثم اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثاً، ولم يطلب إليه بياناً، ولم يسمع له حجة، ولكنه مضى يحكم، قائلاً: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخُلطاء - أي: الأقوياء المخالطين بعضهم لبعض - ليبغي بعضهم على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم.

ويبدو أنه عند هذه المرحلة اختفى عنه الرجلان: فقد كانا ملكين جاءا للامتحان! امتحان

النبي الملك الذي ولاه الله أمر الناس، ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم، وقد اختار أن يعرض عليه القضية في صورة صارخة مثيرة، ولكن القاضي عليه ألا يتعجل، وألا يأخذ بظاهر قول واحد، قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحقته، فقد

(١) سورة ص، الآيات: (٢١-٢٥).

يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً!

عند هذا تنبه داود إلى أنه الابتلاء ﴿وَطَنَ دَاوُدُ أَنْمَا فَنَنَّهُ﴾ فأدرسته طبيعته وأناب،

﴿فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّي، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤) ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾، والتعقيب

القرآني الذي جاء بعد القصة، يكشف كذلك عن طبيعة الفتنة، ويحدد التوجيه المقصود بها من الله لعبده الذي ولاه القضاء والحكم بين الناس، كما قال تعالى:

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ

يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (١).

فهي الخلافة في الأرض، والحكم بين الناس بالحق، وعدم إتباع الهوى، والسير مع الانفعال

دون تريبث وتثبت وتبين، مما ينتهي مع الاستطراد إلى الضلال (٢).

وفي تفسير فتح القدير نقلاً عن النحاس (٣):

يقال: "إن خطيئة داود هي قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾، لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت" (٤).

ويتبين من هذا العرض لقصة داود عليه السلام مع الخصمين، وامتحان الله له، يظهر مدى رحمة

الله بأنبيائه، وتربيته وتوجيهه لهم، على فضائل ومكارم الأخلاق، ومن تلك المكارم والأخلاق،

التثبت في القول، والحكم بين الناس وفق البيئة، وبعد السماع من كل الأطراف.

(١) سورة ص، آية: (٢٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ٣٠١٨/٥.

(٣) أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر المصري، كان مرجعاً في العربية، من كتبه: كتاب المعاني، الكافي في النحو،

الناسخ والمنسوخ، توفي سنة (٣٣٨هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٠١/١٥، والأعلام للزركلي، ٢٠٨/١.

(٤) فتح القدير، للإمام الشوكاني، ٤١١/٤.

قال الشيخ الجزائري^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ولذا كان من هداية هذه الآية حرمة إصدار القاضي أو الحاكم الحكم قبل أن يسمع الدعوى من الخصمين معاً، إذ هذا محل الفتنة التي كانت لداود عليه السلام^(٢).

ولذا، وجب على كل مسلم، أن يتثبت ويتأني في كل ما يصدر منه تجاه الآخرين، مقتدياً بالأنبياء والمرسلين في ذلك كما قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آقَدَةٌ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

النموذج الثاني: التثبت في قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع الهدهد.

قال تعالى:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّي ۗ قَالَ أَحَطُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ۖ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ ﴿٢١﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ أَأَلَيْسَ جَدُّوَاللَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٤).

إن صفة التثبت واضحة في قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع الهدهد، حيث:

(١) جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري، ولد في الجزائر، سنة (١٩٢١م)، وانتقل إلى المدينة المنورة، واستقر بها، من كتبه: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، منهاج المسلم، المرأة المسلمة، وغيره من الكتب، انظر: موقع ويكيبيديا الالكتروني.

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، الطبعة الثالثة، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ، ٤/٤٤٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: (٩٠).

(٤) سورة النمل، الآيات: (٢٠-٢٧).

سليمان عليه السلام الملك الحازم يتهدد الجندي الغائب المخالف ﴿لَأُعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ﴾، ولكن سليمان ليس ملكًا جبارًا في الأرض، إنما هو نبي، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاءً نهائيًا قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة النبي العادل: ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة قوية توضح، عذره وتنفي المؤاخذه عنه ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، ولا يتسرع سليمان في تصديقه أو تكذيبه، ولا يستخفه النبا العظيم الذي جاء به؛ إنما يأخذ في تجربته للتأكد من صحته، شأن النبي العادل والملك الحازم

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧) ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (١)، (٢).

إن الأناة والتثبت صفة جميلة يحبها الله، وتكون أجمل، إذا جاءت من القادر على العقاب، واتخاذ القرار، ولهذا قال الشاعر ابن هانئ المغربي (٣):

وكل أناة في المواطن سؤدد ولا كأناة من قدير محكم
ومن يتبين أن للصفح موضعاً من السيف يصفح عن كثير
الرأي إلا بعد طول تثبت ولا الحزم إلا بعد طول تلؤم (٤)

وتثبت سليمان عليه السلام من خبر الهدهد مليءً بالدروس والعبر التي نحن بأمس الحاجة إليها، لا سيما في هذا العصر، ففي قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ

(١) سورة النمل، الآيات: (٢٧-٢٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/٢٦٣٨-٢٦٣٩.

(٣) محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، أبو القاسم، ولد بإشبيلية، في شعره نزعة إسماعيلية بارزة، رحل إلى إفريقية والجزائر ومصر، قتل برقة غيلة سنة ٣٦٢ هـ، انظر: والأعلام للزركلي ٧/١٣٠.

(٤) تبين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي، ل زاهد بن علي، مطبعة المعارف المصرية، ١٣٥٢ م، ص ١٢٣.

أَمْكُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾، إرشاد إلى البحث عن الأخبار، والكشف عن الحقائق، وعدم قبول خبر المخبرين، تقليدًا لهم واعتمادًا عليهم^(١).

إن التثبيت من الأخبار والأمور والتبين منهج واضح في حياة الأنبياء، لأنهم موضع القدوة لأمتهم، فهو مطلوب منهم، ولقد حصل بالتثبيت في قصة نبي الله سليمان مع الهدهد ما لم يحصل بغيره، فإن طول تثبته عليه السلام من الخبر الذي جاء به الهدهد، وعدم تسرعه فيه حصل به: أولاً: نجاة الهدهد من العقوبة التي كادت أن تنزل به.

ثانياً: قاد ملكة سبأ إلى الإسلام وعبودية الله صلى الله عليه وسلم ولو أن سليمان عليه السلام، بمجرد سماع الأخبار من الهدهد، حرك جيوشه، ودخل على ملكة سبأ، ومدينتها، لربما أنه حصل غير ما حصل بالتثبيت.

ذكر أبو الفرج الجوزي^(٢)، في صيد الخاطر: أشد الناس تفريطاً من عمل مبادرة في واقعة من غير تثبت ولا استشارة، خصوصاً فيما يوجب الغضب، فإنه بنفسه طلب الهلاك، واستتبع الندم العظيم، فالله الله، التثبت التثبت، في كل الأمور، والنظر في عواقبها، خصوصاً الغضب المثير للخصومة^(٣).

النموذج الثالث: ما جاء في القرآن الكريم من تربية الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بصفة التثبيت والتأني

وعدم العجلة .

لقد جاء القرآن الكريم بالتوجيهات الربانية، لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره فيها بالتأني، وعدم العجلة، والتثبت في الأمور، من هذه التوجيهات الربانية:

(١) انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ١٣٢/٤.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبي الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، منها: تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، ومناقب عمر بن عبد العزيز، والمدهش في المواعظ، وتبليس إبليس، وفنون الأفتان في عيون علوم القرآن، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، = ومناقب عمر بن الخطاب، ومناقب أحمد بن حنبل، ومناقب بغداد، توفي ببغداد سنة (٥٩٧هـ)، انظر: شذرات الذهب، للعكري، ٣٢٩/٤، والأعلام، للزركلي، ٣١٦/٣.

(٣) انظر: صيد الخاطر، للإمام عبد الرحمن بن علي الجوزي، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون رقم الطبعة وتاريخها، ص

١- قال ﷺ لنبيه ﷺ مريبًا له على التريث والتأني وعدم العجلة:

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١).

ذكر العلامة السعدي في تفسيره: ففي هذه الآية، أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم للعلم، قبل أن يفرغ المعلم في المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها، سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام، ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادره برده أو قبوله، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهمًا، يتمكن فيه من الكلام فيه، على وجه الصواب.^(٢)

٢- ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾^(٣).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري:

يُعَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ كَيْفِيَّةَ تَلْقَى الْوَحْيَ عَنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُرْشِدُهُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْجَلَ فِي قِرَاءَةِ الْآيَاتِ، وَلَا فِي إِمْلَائِهَا عَلَى أَصْحَابِهَا، وَلَا فِي الْحُكْمِ بِهَا، وَلَكِنْ يَتَرَيِّثُ وَيَتَمَهَّلُ، -وهذا الأدب- يحتاجه علماء الأمة، فلاستعجال في القُتيا، وفي إصدار الحكم، كثيرًا ما يخطئ صاحبها"^(٤).

٣- وقال تعالى أيضًا أمرًا نبيه ﷺ، وأمته من بعده، بالتثبت والتبين من

الأخبار ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُفْرًا فَاسِقٌ مُبِينًا فَتَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٥).

(١) سورة القيامة، آية: (١٦).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٣٤١/٥.

(٣) سورة طه، آية: (١١٤).

(٤) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٣٨٢/٣.

(٥) سورة الحجرات، آية: (٦).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط رضي الله عنه ^(١)، حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، وقد روى من طرق، أحسنها ما رواه الإمام أحمد ^(٢) في مسنده، أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه ^(٣) قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَخَلْتُ فِيهِ وَأَقْرَرْتُ بِهِ، فَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ فَأَقْرَرْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْجِعْ إِلَى قَوْمِي فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ، فَيُرْسَلُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَسُولًا لِإِبَانِ كَذَا وَكَذَا لِيَأْتِيكَ مَا جَمَعْتُ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لَهُ وَبَلَغَ الْإِبَانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِ، احْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَلَمْ يَأْتِهِ، فَظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخَطَةٌ مِنَ اللَّهِ عز وجل وَرَسُولِهِ، فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسَلُ إِلَيَّ رَسُولُهُ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْخُلْفُ وَلَا أَرَى حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ سَخَطَةٍ كَانَتْ، فَاذْطَلِقُوا فَنَاتِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ فَرَّقَ فَرَجَعَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْحَارِثَ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ وَأَرَادَ قَتْلِي، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْبَعْثَ إِلَى الْحَارِثِ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ إِذِ اسْتَقْبَلَ الْبَعْثَ وَفَصَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ لَقِيَهُمُ الْحَارِثُ، فَقَالُوا: هَذَا الْحَارِثُ فَلَمَّا عَشِيَهُمْ قَالَ لَهُمْ: إِلَى مَنْ بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْكَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، فَزَعَمَ أَنَّكَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ. قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُبَّةً وَلَا أَتَانِي، فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنَعْتَ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَ

(١) الصحابي: الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، أبا وهب، أسلم يوم الفتح، توفي بالرفقة في خلافة معاوية، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٤٥١/٥ - ٤٥٣.

(٢) أحمد محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، أبو عبد الله، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة ولد ببغداد، ونشأ منكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كثيرة، وسجن أيام المعتصم، لامتناعه عن القول بخلق القرآن، من مصنفاته: المسند، فضائل الصحابة، المناسك، الرد على الزنادقة فيما ادعت به من مشابهة القرآن، وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٢٤١هـ)، أنظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، 1/178، والأعلام، للزركلي، ٢٠٣/١.

(٣) الصحابي: الحارث بن أبي ضرار بن الحارث الخزاعي، المصطلق، أبو جويرية، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، انظر: أسد الغابة، ٤٠٠/١.

رَسُولِي)) قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ، وَلَا أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ كَانَتْ سَخَطَةً مِنَ اللَّهِ ﷻ وَرَسُولِهِ فَنَزَلَتْ الْحَجَرَاتُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١) ، (٢)، (٣).

هذه الآية الكريمة هي الأصل في موضوع التثبت، وهي تقرر مبدأ التثبت من الأخبار وعدم الجري وراء الشائعات .

يقول صاحب كتاب معالم المجتمع المسلم:

إن هذا المبدأ يجب على المسلمين جميعاً أن يأخذوا أنفسهم به، فكم من فتنة حدثت بسبب خبر، نقله فاسق فاجر، وكم من دماء أريقت، وأرواح أزهقت بسبب أخبار كاذبة لا أساس لها من الصحة، اختلقها أعداء الإسلام، وأعداء هذه الأمة، ليقضوا بتلك الأخبار الكاذبة على وحدة الأمة، ويمزقوا شملها ويثيروا فيها العداوة والبغضاء.. والله سبحانه اللطيف الخبير يضع لهذه الأمة القاعدة التشريعية، لصيانة المجتمع من التمزق، وصيانته من التفرق، وصيانته من أن تشتغل فيه نار الفتنة فلا تطفأ أبداً (٤).

وفي هذه الآية أيضاً: إرشاد إلى مكارم الأخلاق، وإلى التعقل في جميع الأمور، والتثبت فيها، وعدم التعجل، وارتكاب السبل المؤدية إلى سوء النتائج، وقبح العواقب وسوء

(١) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، ٣٠/٤٠٣-٤٠٥، رقم الحديث ١٨٤٥٩، قال الشيخ الألباني: هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، ولذلك قال الحافظ ابن كثير في التفسير: إنه من أحسن طرق الحديث، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ١٤٢٢هـ، ٧/٢٣٤، رقم: ٣٠٨٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤/٢٦٦-٢٦٧.

(٤) انظر: معالم المجتمع المسلم كما بينتها سورة الحجرات، عبد العظيم بدوي، الطبعة الأولى، جدة، دار الشروق، ص

الظنون.. فإن دين الإسلام هو دين السلام والوئام، ودين المحبة والوفاق، لا دين البغضاء والشقاق، ودين التثبت والتعقل، لا دين الطيش والتعجل^(١).

قال الشيخ محمد بن محمود الصواف^(٢) رَحِمَهُ اللهُ:

ولله در رجال حينما فهموا هذا القرآن وطبقوه واقعًا عمليًا حيًا في حياتهم، لأن مسألة التنظير مسألة سهلة يخوض فيها الكثير، ولكن المعاول تتحطم على صخرة التطبيق العملي، روي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز^(٣) رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: إذا جاء الخصم وفي يده عينه مفرغة - أي: مخلوعة - لا أحكم وأقول إنه مظلوم، حتى أسمع لخصمه وأثبت منه، فلعل هذا، قد أفرغ وخلع عيني ذاك^(٤).

وتبين من خلال العرض السابق الفوائد والآثار الربانية التي أوضحتها آية سورة الحجرات والتي تجلت في حياة المصطفى ﷺ، من تلك الآثار والفوائد:

الفائدة الأولى: تبين من ملامح التوجيه الرباني في هذه الآية الكريمة، أنه عند طلب أمرًا أو تقديم نصح وإرشاد، ينبغي ذكر العلة لذلك الأمر أو النصح والإرشاد، ما أمكن ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَتَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٥).

لأنه: لما أمر سبحانه بالتبين في الأنباء، والتثبت في الأخبار، بين علة ذلك فقال جلا وعلا: ﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾، وتقدير ذلك على مذهب الكوفيين: لثلا تصيبوا، وعلى مذهب البصريين: كراهة أن تصيبوا، وعلى كلٍّ فالمعنى: فتبينوا صحة النبأ، لأجل كراهة أن تصيبوا بأذى

(١) انظر: حول تفسير سورة الحجرات، عبد الله سراج الدين، الطبعة الأولى: حلب، سوريا: مكتبة دار الفلاح، ص ٧٢.
(٢) محمد بن محمود الصواف، ألتحق بالجامع الأزهر لتحصيل العلوم الشرعية، عمل في مجال التدريس والدعوة، له كثير من المؤلفات منها: بين الرعاة والدعاة، أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، نداء الإسلام، توفي سنة: (١٤١٣هـ)، انظر: موقع وكيبيديا الإلكتروني.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد أمير المؤمنين، قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، تولى الخلافة (٩٩هـ)، له أخبار كثيرة بينت عدله وحسن سياسته، توفي سنة (١٠١هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١١٤/٥، والأعلام، للزركلي ٥٠/٥.

(٤) انظر: نظرات في سورة الحجرات، محمد محمود الصواف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤، ص ٧٤.

(٥) سورة الحجرات، آية: (٦).

قومًا براء مما بلغكم عنهم، ولكن صدر ذلك الأذى منكم بجهالة حالهم - أي: والحال أنتم جاهلون بحالهم -^(١).

الفائدة الثانية: في الآية الكريمة تطبيق عملي لمبدأ التثبت والتبين في حياة النبي ﷺ، وبيان حكمته ورحمته بالمؤمنين إذ تثبت من الخبر، فحينما جاءه الوليد بن عقبة رضي الله عنه بالخبر، غضب النبي ﷺ، ومع هذا لم يتعجل في الأمر، ولم يأخذ أحد بالظنّة، وإنما ضرب إليهم البعث، ليتثبت من صحة الخبر .

فتبين من الحادثة مدى حكمة النبي ، وبالع رافته بأتمته، إذ إنه تثبت وتحرى حتى في قبول قول مستور الحال، وهذا هو دأب الأنبياء، الذين اصطفاهم الله ﷻ، ولذلك نزلت الآية القرآنية، تأمر بالتثبت والتبين، كما فعل الرسول ﷺ، فكان في ذلك الخير كلّ الخير لأصحابه ولأُمَّته من بعده .

فعندما "بعث النبي ﷺ الوليد بن عقبة رضي الله عنه، مصدقًا إلى بني المصطلق، فلما أبصروه، أقبلوا نحوه، فهاجمهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه^(٢)، وأمره أن يتثبت ولا يتعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونهم، فلما جاؤوا أخبروا خالدًا أنهم مستمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد، فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر ^(٣).

الفائدة الثالثة: هذه الآية قاعدة أصولية، ومنهج في التثبت، تستنير بها الأمة المحمدية إلى يوم القيامة، لأن العبرة في كتاب الله بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فإن كان ورود الآية لسبب خاص فهي عامة لبيان التثبت، قال الإمام الحسن البصري رضي الله عنه، في هذه الآية: فو الله

(١) انظر: حول تفسير سورة الحجرات، عبد الله سراج الدين، ص ٧٠.

(٢) الصحابي: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي، أبو سليمان، أسلم سنة (٧هـ)، شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، توفي في حمص، وقيل في المدينة، سنة (٢١هـ) في خلافة عمر بن الخطاب، انظر أسد الغابة، لابن الأثير، ١٠٩/٢ - ١١٠.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري، ٣٤/٧، بتصرف يسير.

لئن كانت الآية - يقصد آية سورة الحجرات - نزلت في هؤلاء القوم خاصة، إنها لمرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء^(١).

الفائدة الرابعة: تبين من النتائج العملي لآية سورة الحجرات ، أعظم منهج عرفته البشرية، وهو علم الجرح والتعديل وعلم الرجال، ومصطلح الحديث ومنهج المحدثين في نقد الروايات والرواة وتمحيصها، وهو منهج تميزت به الأمة الإسلامية، عن غيرها ، مما حفظ عليها دينها، وسنتها النبوية المطهرة ، من تحريف أعداء الدين المتربصين ، ودس الوضاعين الدجالين وكيدهم وافترائهم .

وقد ضرب سلفنا الصالح في منهجهم العلمي أروع مثل، امتثالاً لهذا التوجيه من الله تعالى في تحري الصدق، والتثبت في الرواية، وتقبل الأخبار، ونعت الرواة ورواياتهم، والمخبرين وأخبارهم، بأوصاف وشروط وضوابط، تنزل كل واحد منهم منزلته، وتوضح لغيره محاسنه ومساوئه، في الصدق والضبط في موضوعية ومنهجية لم تفرق بين الراوي وروايته، والمخبر وخبره، بل تناول النقاد المسلمون كل ذلك بأسلوب ومنهج دقيق، وبالأمانة التي لم تعرف لغيرهم^(٢).

(١) انظر: نظرات في سورة الحجرات، محمد محمود الصواف، ص ٦٧.

(٢) انظر: منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي، محمد بن الأمين الأنصاري، ص ٣٤٤.

المبحث الثاني

منهج التثبت في السنة النبوية

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: الأسلوب النبوي في الترغيب على صفة التآني ، والتحذير من العمل بـضدها .

المطلب الثاني: الأسلوب النبوي في إبراز صفة التثبت في حياة النبي ﷺ .

المطلب الثالث: الأسلوب النبوي في بيان خطوات التثبت في قصة حاطب بن أبي بلتعة .

المطلب الرابع: الأسلوب النبوي في الترغيب على صفة التؤدة والأناة، ودعوة الصحابة لتتحلي بها .

المطلب الخامس: الأسلوب النبوي في توضيح كيفية تعامل النبي مع عجلة الخباب بن الأرت .

المطلب السادس: الأسلوب النبوي في تربية أصحاب النبي ﷺ على التثبت والتبين

المطلب السابع: الأسلوب النبوي في التثبت عند إقامة الحدود .

المبحث الثاني : منهج التثبت في السنة النبوية .

تمهيد :

بعد الحديث عن التثبت في القرآن الكريم، رأينا أنه يشمل جزءا كبيرا من حياة المسلمين، فليس عجيبا بعد ذلك؛ أن نجد أن التثبت والدعوة إليه، ضاربة الأطناب في السنة النبوية، ذلك لأنه؛ ما من أمر في القرآن الكريم، ولا نهي ولا حض ولا تحذير؛ إلا وللنبي ﷺ قصب السبق في ذلك، ثم إن السنة النبوية ما هي إلا تطبيق عملي، وبيان قولي للقرآن الكريم على واقع الحياة، سواء بما أمر به النبي أو نهي عنه.

والذي يمعن النظر في واقع السنة المشرفة؛ يجد أن التثبت والتبين في الأمور كان منهجًا متبعًا لدى النبي ﷺ في سياسة أمته في القضاء بالحقوق وإقامة الحدود، وفي جهاده في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد، وذلك على وفق ما أمر الله تعالى به من التثبت في الأمور.

فمن أجل أن يكون المؤمن مثبتا في حياته، جاءت السنة النبوية من خلال عدة أساليب، توضح له أهمية التثبت في حياة الإنسان ، وتدعوه إلى التحلي بالمعاني الحميدة للتثبت والتبين ، التي أظهرتها تلك المناهج النبوية ، والاستفادة منها في الحياة العملية .

ويمكن إجمال هذه المناهج في المطالب التالية:

المطلب الأول: الأسلوب النبوي في الترغيب إلى صفة التآني، والتحذير من

العمل بضدها.

لقد جاءت السنة النبوية حافلة بالثناء على التآني والتي هي من مرادفات التثبيت والتبين، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: ((التَّائِيٌّ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ))^(١).

قال الإمام المناوي رحمته الله: أي التآني من الله تعالى: أي مما يرضاه ويشيب عليه، والعجلة من الشيطان: أي هو الحامل عليها بوسوسته، لأن العجلة تمنع من التثبيت والنظر في العواقب^(٢).
ويكفي مدحًا للتثبيت أن الله وَعَزَّ وَجَلَّ، جعل المتثبت والمتآني لعواقب الأمور، موفقًا بتوفيقه، مهتديًا إلى الصواب، كما في الحديث السابق، وأن المتسرع العجول تأخذه نزغات الشيطان وتوهمه ليوقع في المهالك.

ومن مدح السنة النبوية للتثبيت: أن النبي ﷺ قال: ((السَّمْتُ الْحَسَنُ^(٣)، وَالتُّؤَدَةُ، وَالْإِقْتِصَادُ^(٤)، جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ))^(٥).

قال المباركفوري^(٦) رحمته الله: والمراد أن الخصال التي وردت في الحديث من شمائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا بهم فيها، وتابعوهم عليها،

(١) سبق تخريجه في ص ٦٥.

(٢) انظر: فيض القدير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ٢٥٥٦/٥.

(٣) السميت الحسن: السيرة المرضية والطريقة المستحسنة، انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، ١٥٠/٦.

(٤) القصد في الشيء: ضد الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة: أن لا يسرف ولا يقتصر، وقصد في الأمر: لم يتجاوز فيه الحد، ورضي بالتوسط، انظر: تاج العروس للزبيدي، ٣٦/٩.

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التآني والعجلة، ٣٢١/٤-٣٢٢، رقم الحديث: ٢٠١٠، قال عنه الترمذي هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي، للألباني، ٣٨١/٢، رقم: ٢٠١٠.

(٦) محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، محدث، ولد بالهند سنة (١٢٨٣هـ)، من آثاره: تحفة الأحوذى في شرح جامع الترمذي، توفي سنة (١٣٥٣هـ) انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٣٩٤/٣.

وليس معناه أن النبوة تتجزأ، ولا أن من جمع هذه الخصال كان نبياً، فإن النبوة غير مكتسبة، وإنما هي كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده.

ويحتمل أن يكون معناها: أن هذه الخصال مما جاءت به النبوة، ودعا إليه الأنبياء.

وقيل معناها: أن من جمع هذه الخصال، لقيه الناس بالتوقير والتعظيم، وألبسه الله لباس التقوى، الذي ألبسه أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، فكأنها جزء من النبوة^(١).

وكان ﷺ يحذر أصحابه ويأمرهم بالتبين، وخصوصاً في الكلمات التي تخرج من اللسان، فربَّ كلمة يجني الإنسان من آثارها الندامة والحسرة طوال حياته، وتكون سبباً في دخوله النار يوم القيامة، فلذا لا يقول اللسان كلمة إلا بعد أن تمر على القلب، فيتدبرها، وعلى العقل فينظر فيها، هل هناك فائدة من ذكرها وقولها، فتقال، أم أن السكوت أولى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُ فِيهَا، يَزُلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ))^(٢).

قال الإمام النووي^(٣) في شرحه للحديث:

معناه: لا يتدبرها ويفكر في قبحها، ولا يخاف ما يترتب عليها، وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة، وكالكلمة تقذف، أو معناه: كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم، ونحو ذلك.

(١) انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، ٦/١٥٠ - ١٥١.

(٢) سبق ترجمته ص ٤٩ . .

(٣) يحيى بن شرف بن مري النووي، أبو زكريا، علامة بالفقه والحديث، ولد في حوران من سوريا سنة، (٦٣١هـ) من مصنفاته الكثيرة: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، التبيان في آداب حملة القرآن، تهذيب الأسماء واللغات، منهاج الطالبين، توفي سنة (٦٧٦هـ)، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٨/٣٩٥، والأعلام للزركلي،

وهذا كله حثٌّ على حفظ اللسان، كما قال ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُفْلِحْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتْ))^(١)، ثم قال: وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام، أن يتدبره في نفسه قبل نطقه، فإن ظهرت مصلحته تكلم، وإلا أمسك^(٢).

وفي الحديث التالي دليل كاف على حرص السنة النبوية على التثبت، والاهتمام بهذا الأمر:
عن أم المؤمنين صفية بنت حبيبي^(٣) قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أُرُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي^(٤)، وَكَانَ مَسْكُنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((عَلَى رَسُولِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُبَيْبٍ)) فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَفْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا، أَوْ قَالَ شَيْئًا))^(٥).

الفوائد الدالة على فضل التثبت من الحديث:

الفائدة الأولى: ينبغي للإنسان أن لا يضع نفسه موضع الريبة، وإذا حصل ذلك واطلع عليه أحد، فليبادر بالبيان، لكي يسلم من ظن السوء، كما قال ﷺ: ((إِنَّهَا صَفِيَّةٌ)).

الفائدة الثانية: لما شاهد الرسول ﷺ عجلة الصحابين أمرهما بترك العجلة، وأمرهما بالسير على هيتئتهما الأولى ((عَلَى رَسُولِكُمَا))؛ لأن العجلة مظنة عدم التثبت في الأمور، وقد تكون سبباً في الظن السيئ بالرسول ﷺ، وبذلك يهلكا.

(١) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ٢٣٧٦/٥، رقم الحديث: ٦١١٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بالبحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت، ٦٨/١، رقم الحديث: ١٩، واللفظ له.

(٢) المنهاج على شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ٣١٧/١٨ - ٣١٨.

(٣) الصحابية: صفية بنت حبيبي بن أخطب بن الخزرج، كانت زوج سلام بن مشكم اليهودي، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل عنها كنانة يوم خيبر، ثم اصطفاها النبي ﷺ، وأعتقها وتزوجها، توفيت سنة (٣٦هـ) وقيل سنة (٥٠هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ١٦٨/٧.

(٤) أي: يردني إلى منزلي، انظر: المنهاج على شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٣٨١/١٤.

(٥) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ١١٩٥/٣، رقم الحديث: ٣١٠٧، ومسلم في صحيحه كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رآه خاليا بامرأة وكانت زوجة أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، ١٧١٢/٤، رقم الحديث: ٢٤، واللفظ له.

الفائدة الثالثة: إخبار الرسول ﷺ بمن كان واقفًا معها، دليل على تربيته ﷺ لأصحابه على التثبث من الأمور، لكي لا يقع ظن السوء.

وهكذا يظهر من مجموع النصوص السابقة، مدى اهتمام السنة النبوية بالتثبث، والثناء على موافقه، وتربية أولئك الصحب الكرام على لزوم مواطن التثبث والتبئين من الأمور، واجتناب العجلة.

المطلب الثاني: الأسلوب النبوي في إبراز صفة التثبت في حياة النبي ﷺ.

الأنبياء - عليهم السلام- أفضل الناس خلقاً، والنبي محمد ﷺ أكملهم أخلاقاً فهو القائل: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))^(١).

وكما قالت عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلقه ﷺ، قالت: ((فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ))^(٢).

ومما يدل على أن التثبت كان من صفاته ﷺ وأخلاقه، أنه لما قال أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها ما قالوا، لم يحسم الأمر بما كان يطمئن إليه من براءة زوجها، بل استشار وتثبت، وبقي شهراً كاملاً لم ينزل عليه الوحي، وهو يشاور أصحابه، ويتثبت من القضية، حتى نزل الوحي ببراءة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ومن مشاورته في ذلك وتثبته، ما ذكره الإمام البخاري في قصة الإفك، من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبَتِ الْوَحْيُ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ أَشَارَ عَلِيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَبْرَةَ^(٣)، فَقَالَ: ((أَيُّ بَرِيرَةٍ هَلْ رَأَيْتِ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ))، قَالَتْ لَهَا بِرِيرَةٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَعْمِصُهُ، غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ^(٤)

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، ٥١٣/١٤، رقم الحديث: ٨٩٥٢، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ٥١٢/١، رقم الحديث: ٣٩.

(٣) الصحابية: بريرة، مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كانت مولاة لبعض بني هلال، وقيل: كانت مولاة لأبي أحمد بن جحش، فكاتبوها ثم باعوها من عائشة، فأعتقتها، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٣٩/٧.

(٤) الداجن: هي الشاة التي تلعفها الناس في منازلهم، وقد تقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها، انظر: تاج العروس للزبيدي ٣٦/٩.

فَتَأْكُلُهُ^(١).

قال الإمام ابن القيم الجوزية، معلقاً على حديث الإفك:

فما بال رسول الله ﷺ، توقف في أمرها، وسأل عنها وبحث واستشار، وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده، وبما يليق به، وهلاً قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، كما قال فضلاء الصحابة.

فالجواب: أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها، وامتحاناً وابتلاءً لرسول الله ﷺ، ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، ليرفع بهذه القصة أقواماً، ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً وإيماناً، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها، ولا يوحى في ذلك شيء، لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله، وأهل بيته والصديقين من عباده^(٢).

وهكذا يظهر خلق رسول الله ﷺ في التثبت من الأمور، حتى في أحلك الظروف وأشدّها وقعاً عليه، ولكن ذلك لا يزيده إلا أناةً وتثبتاً.

لقد كان صفة التثبت متأصلاً في خلق النبي ﷺ، و كان يواجه أصحابه بالابتعاد عن كل ما فيه مظاهر الخفة والطيش وعدم التثبت، قال ﷺ: ((إِبَاكُمُ وَالظَّنُّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ))^(٣).

وقال ﷺ: ((بِئْسَ مَطِيئَةُ الرَّجُلِ رَعْمُوا))^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب في حديث الإفك، ١٥١٧/٤، رقم الحديث: ٣٩١٠.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الرابعة عشر، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ، ٢٦١/٣ - ٢٦٢.

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ

بعض الظن إثم ولا تجسسوا﴾، ٢٢٥٣/٥، رقم الحديث: ٥٧١٩، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة

والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش، ١٩٨٥/٤، رقم الحديث، ٢٨.

(٤) رواه أبي داود في سننه، كتاب الأدب، باب قول الرجل زعموا، ٣٤٣/٥، رقم الحديث: ٤٩٣٣، وصححه الألباني،

انظر: صحيح سنن أبي داود، ٢٢١/٣، رقم: ٤٩٧٢.

قال الإمام البغوي^(١) معلقاً على الحديث: إنما ذم هذه اللفظة، لأنها تستعمل غالباً في حديث لا سند له، ولا ثبت فيه، إنما يحكى عن الألسن، فشبّه النبي ﷺ ما يقدمه الرجل أمام كلامه ليتوصل به إلى حاجته من قولهم، فأمر النبي ﷺ بالتثبت فيما يحكيه، والاحتياط فيما يرويه^(٢).

وقال الإمام الخطابي^(٣):

وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما هو شيء يحكى على الألسن، على سبيل البلاغ، فذم النبي ﷺ من الحديث ما كان هذا سبيله، وأمر بالتثبت فيه، والتوثق لما يحكيه من ذلك، فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت ومروياً عن ثقة^(٤).

فدلت تلك الأحاديث على بيان وكمال خلق التثبت والأناة في حياة النبي ﷺ، وأن التثبت منهجه في القول والعمل، وتطبيقاً عملياً في كافة أمور حياته ﷺ.

(١) الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، أبو محمد، فقيه ومحدث ومفسر، من مصنفاته، لباب التأويل في معالم

التنزيل، مصابيح السنة، توفي سنة (٥١٠هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٣٩/١٩، والأعلام للزركلي، ٢٥٩/٢.

(٢) انظر: شرح السنة، للإمام حسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي،

بيروت، لبنان الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ٣٦٢/١٢.

(٣) حمد بن محمد بن سليمان البستي الخطابي، أبو سليمان، فقيه محدث، ولد سنة (٣١٩هـ)، في بست من بلاد كابل،

له مصنفات كثيرة منها: بيان إعجاز القرآن، معالم السنن بشرح سنن أبي داود، توفي سنة (٣٨٨هـ)، انظر: سير

أعلام النبلاء، ٢٣/١٧، والأعلام للزركلي، ٢٧٣/٢.

(٤) انظر: معالم السنن بشرح سنن أبي داود، حمد بن محمد الخطابي، ضبطه: عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٢١/٤.

المطلب الثالث: الأسلوب النبوي في التحقق من قصة حاطب بن أبي

بلتعة^(١).

إن قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه تظهر فيها، الصورة التطبيقية المثالية للمصطفى صلى الله عليه وسلم في معالجة الخطأ، وبيان كمال تثبته وأناته صلى الله عليه وسلم، فقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة، عن سبب وقوعه في خطئه، فلم يجرحه أو يعنفه، والتمس له العذر، وذكر عظيم فضله، لما تبين له من صدق إيمانه، مما ترك أثراً، يتبين من خلالها المراحل والخطوات الصحيحة لمعالجة الخطأ .

ولكي تتضح خطوات التثبث من القصة، لا بد من عرضها كاملة، للتوضح سيرته صلى الله عليه وسلم في معالجة الأخطاء، فلنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسوة الحسنة.

روى الإمام مسلم بن الحجاج^(٢) في صحيحه، عن علي رضي الله عنه، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَا وَالزُّبَيْرُ^(٣)، وَالْمِقْدَادُ فَقَالَ: ((انطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخ^(٤)، فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً^(٥) مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا))، حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي

(١) الصحابي: حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة، حليف بني أسد، وكنيته أبو عبد الله، وقيل أبو محمد، كان من مشاهير المهاجرين، شهد بدرًا، وشهد الحديبية، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب مصر، توفي سنة (٣٠هـ) في ولاية عثمان بن عفان رضي الله عنه، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٤٣١/١-٤٣٣.

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور سنة: (٢٠٤هـ)، من مصنفاته: الجامع الصحيح - وهو أحد الكتب الستة المعول عليه في الحديث-، المسند الكبير في أسماء الرجال، والجامع الكبير، وكتاب أوهام المحدثين، توفي سنة (٢٦١هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٦٨/١، والأعلام للزركلي، ٢٢١/٧.

(٣) الصحابي: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب القرشي، حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ابن عمه رسول الله، صفية بنت عبد المطلب، وابن أخي خديجة بنت خويلد، أسلم وهو ابن ١٥ سنة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة (٣٦هـ) انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٢٤٩/٢-٢٥٣.

(٤) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة المنورة وأقرب إلى المدينة، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، ٢٧٢/١٥.

(٥) الظعينة: الجارية وأصلها الهودج، وسميت بها الجارية؛ لأنها تكون فيه، واسم هذه الظعينة، سارة، مولاة لعمران بن أبي صيفي القرشي، انظر: المرجع السابق، ٢٧٢/١٥-٢٧٣.

كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتَلْقِيَنَّ النَّيَّابَ، قَالَ: فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ عِقَاصِهَا^(١)، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ هُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ إِزْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ)).

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: ((إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَيَّ مِنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ))^(٢).

ومن خلال هذه الحادثة، اتضحت ثلاث خطوات، اتبعها النبي ﷺ للتثبت مع من وقع منه الخطأ، وهي:

الخطوة الأولى: التثبت والتحري من وقوع الحادثة والخطأ.

وهذه الخطوة تعني التأكد من صحة سند الحادثة أو الخبر، وفي هذه الحادثة كان التثبت عن طريق الوحي من الله ﷻ إلى رسول الله ﷺ، وهو أوثق المصادر، الأمر الذي يدل على معجزة الرسول ﷺ، وأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فسند الحادثة عالٍ، والقصة وقعت كما أخبر الرسول ﷺ، فأرسل بعض الصحابة لإحضار الخطاب من المرأة، فكان الدرس في ذلك لأمته ﷺ، من أنه لا بد من التحري الدقيق، وعدم الأخذ بالشبهات، إنما الأخذ بالأسباب، وبذل الجهد والمشقة في التحري والتدقيق، لمعرفة الحقيقة .

(١) العقاص، أي: شعرها المظفور، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، ٢٧٣/١٥.

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ١٥٥٧/٤، رقم الحديث: ٤٠٢٥، واللفظ

له، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، ١٩٤١/٤، حديث رقم: ١٦١.

الخطوة الثانية: البحث في الأسباب والدوافع التي أدت إلى الوقوع في الخطأ.

ويتمثل هذا في قوله ﷺ: ((يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟))، وهي خطوة يظهر فيها تثبته ﷺ في الأمور، بعد أن تثبت من قوع الأمر.

وهذه الخطوة سبب إثارها أمران:

الأمر الأول: أنه يمكن أن يكون الكتاب ملصقًا إلى حاطب، كتبه شخص آخر، ووضع اسم حاطب ﷺ عليه، ولكن زال هذا الشك حينما اعترف حاطب بذلك، فإحضار الشخص وسؤاله يزيل هذا اللبس.

الأمر الثاني: معرفة الدوافع والأسباب للقيام بمثل هذا العمل، فقد تكون تلك أسباب والدوافع تنفي المؤاخذة عنه، وبالفعل شرع حاطب ﷺ بشرحها للنبي ﷺ، فقال: أردت بهذا الكتاب أن يدفع الله به عن مالي وعن أهلي، وليس ارتدادًا عن دينه، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، مع غلبة ظنه واجتهاده، وهو يعلم أن قدر الله نافذ، وأن الله ناصر رسوله ومعز دينه، ومعل كلمته، وأن هذا الكتاب لن يغير شيء.

وهو اجتهاد خاطئ بلا شك، فقد كشف سر رسول الله ﷺ، ووالى الكفار بذلك، ولكن بعدما عُرف السبب هان الأمر، ولذلك قال الرسول ﷺ: ((أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ)) ونزل في ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة، تحذيرًا، ومنبهاً لحاطب ولمن بعده من أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴿١﴾

وسؤال الرسول ﷺ لحاطب ﷺ، يستلزم أن يكون عند حاطب عذر شرعي، يحسم المسألة، وإما أن لا يكون هناك عذر شرعي، ولكن اطمأن الرسول ﷺ، من خلال مساءلة حاطب عن الأسباب والدوافع التي وراء هذا العمل، وبهذا اطمأن الرسول ﷺ على صدق إيمانه.

(١) سورة الممتحنة، آية: (١).

الخطوة الثالثة: إعطاء الفرصة للمخطئ، لإبداء الرأي في الدفاع عن النفس.

لقد سمع المصطفى ﷺ من حاطب دفاعه كله وأعطاه الفرصة الكاملة لذلك. وما كان ﷺ في حاجة لذلك، ولكنه القدوة ﷺ في ذلك يرسم الطريق لأمته، فلنستمع جيداً للمخطئ، وليقل كل ما يريد للدافع عن نفسه، ويسوّغ ما قام به من عمل من وجهة نظره، دون الحجر عليه.

الخطوة الرابعة: عدم نسيان الفضل والسبق، والمقارنة بين حسنات وسيئات المخطئ.

فإذا أخطأ إنسان، فلا بد أن يقدر الخطأ بقدره، وإذا كانت هناك أدنى فرصة لإعادته للصف، وعدم إبعاده أو ابتعاده، فيكون ذلك أولى، خصوصاً إذا كان له فضل وسبق، بحيث لا يقلب ظهر المجن على من أخطأ، ونسيان كل ما قدمه، خاصة أن الخطأ لم يتكرر، ولم يُصر عليه، فلا بد من اعتبار لحظات الضعف البشري، وعدم تجاهلها، وأنه ليس بمجرد زلة من إنسان يتم تشنيعه، ويُتهم بالنفاق والخيانة، من دون مناقشته، والاستفسار عن سبب عمله الخاطئ، ليتبين لهم عذره والدافع له، وقد يكون له حسنات كثيرة لا تساوي بجوارها هذه الزلة شيئاً فقد تنغمر خطيئته في بحور حسناته.

والخطوة متمثلة في قول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما طلب أن يضرب عنق حاطب، قال رضي الله عنه: ((إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)).

قال الإمام ابن القيم الجوزية رحمته الله:

إن من قواعد الشرع والحكمة، أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له مالا يحتمل من غيره، ويعفى عنه مالا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل، فإنه يحمل أدنى خبث يقع فيه.

ومن هذا قول النبي ﷺ لعمر: ((إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))، وقد ارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر النبي ﷺ، أنه شهد بَدْرًا، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتيب أثره عليه، ماله من المشهد العظيم، فوَقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ماله من الحسنات.

وهذا أمر معلوم عند الناس، مستقر في فطرهم، أن من له ألوف الحسنات، فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوهما، حتى إنه ليختلج داعي عقوبته على إساءته، وداعي شكره على إحسانه، فيغلب داعي الشكر داعي العقوبة، كما قيل: -

وإذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ جاءت محاسنه بألفٍ شفيع^(١)

والله سبحانه يوازن بين حسنات العبد وسيئاته، فأيهما غلب كان التأثير له، فيفعل بأهل الحسنات - الذين آثروا محابيه ومراضيه، وغلبتهم دواعي طلبهم أحياناً - من العفو والمسامحة ما لا يفعله مع غيرهم^(٢).

وتتمة القول في ذلك، أن الناس لو اتبعوا تلك الخطوات الأربع، التي سلكها النبي ﷺ في معالجة خطأ حاطب رضي الله عنه، لما وقع كثير من الناس، في تتبع العثرات، واتهام النيات، والشماتة بأخطاء الناس^(٣).

وتلك الخطوات الأربع تُملي على المسلم، إذا سمع عن أخيه المسلم شيئاً، أن يقوم بما يلي:

أولاً: التثبت من صحة الخبر، فقد يكون مكذوباً لا صحة له، فيسلم المثبت من تبعة نقله وإشاعته، وإما أن يكون صحيحاً، فينتقل إلى المرحلة الأخرى، وهي البحث عن الدوافع والأسباب.

ثانياً: الاتصال بصاحب الشأن، أو مراسلته، أو الاطلاع على ما كتبه، إذا كان الخطأ مكتوباً، وسؤال من هو ثقة وأعرف به وبأسراره، فقد تكون له من الأسباب، والأعذار الشرعية ما تقطع الخلاف وتظهر الصواب، وقد لا تكون الدوافع والأسباب مقنعة من الناحية الشرعية، ولكن صاحب الخطأ من أهل الخير والصلاح، وله في الإسلام سابقة، فينتقل معه إلى المرحلة الثالثة.

(١) ديوان ابن نباته المصري، جمال الدين بن نباته المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها، ص ٣١٢.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق عبدالرحمن بن حسن، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ، ١/٥٠٤ - ٥٠٧.

(٣) انظر: مجلة البيان، رقم العدد: ٦، سنة النشر ١٤٠٧هـ، ص ٢١، بتصرف.

ثالثًا: من كمال العدل والإنصاف مع المسلم والداعية، أن يوازن بين حسنات المخطئ وسيئاته، لأن وقوع الخطأ وارد، ولا أحد معصوم بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال التابعي الجليل سعيد بن المسيب^(١) رضي الله عنه:

ليس من شريف ولا عالم، ولا ذي فضل، إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله^(٢).

وقال ابن القيم الجوزية رحمته الله:

ومن له علم بالشرع والواقع، يعلم قطعًا، أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام، قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة، هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكائته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين^(٣).

رابعًا: قبول عذر المخطئ.

فإذا اعتذر الفرد عن خطأ ما، وأبدى عذرًا؛ فعلى القيادة تقبُّله، وليُفتح له باب الرجعة، والرسول صلوات الله عليه قبلَ اعتذار حاطب، مع فداحة خطأه الجسيم، وردّه للصف ردًا جميلًا، ورفض أن يعتبره من المنافقين.

ومن خلال هذه القصة، اتضحت لنا ملامح خطوات التثبث والتبين، في المنهج النبوي والتي اتبعتها النبي صلوات الله عليه في معالجة الخطأ.

(١) سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، كان كثير الرواية عن الصحابة، وكان أعلم الناس بحديث أبي هريرة، وأرسل في رواياته عن النبي صلوات الله عليه وعن أبي بكر الصديق، قال الإمام أحمد بن حنبل: مراسلٌ سعيد بن المسيب صحاح، وكان ممن برز في العلم والعمل، قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أحدًا، أوسع علمًا من ابن المسيب، هو عندي من أجل التابعين، توفي سنة (٩٤هـ)، وقيل (٩٣هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢١٧/٤ - ٢٤٦.

(٢) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٠٦/٩.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تعليق وتقديم: مشهور بن حسن، الطبعة الأولى، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ، ٢٩٥/٣.

المطلب الرابع: الأسلوب النبوي في الترغيب إلى صفة التؤدة والأناة،

والدعوة للتخلي بهما.

التؤدة والتأني مظهر من مظاهر الصبر، ودليل على كمال عقل المرء ورزاقته، وخصلة يجبها الله ﷻ، قال ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه: ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ))^(١).

قال الإمام النووي: وأما الأناة فهي الثبث، وترك العجلة، وهي مقصودة، وسبب قول النبي ﷺ ذلك: لما جاء في حديث الوفد، أنهم لما وصلوا المدينة، بادروا إلى النبي ﷺ، وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقربه النبي ﷺ، وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي: ((تبايعون على أنفسكم وقومكم))، فقال القوم: نعم، فقال الأشج: يا رسول الله! إنك لن تزول الرجل عن شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منّا، ومن أبي قاتلنا، فقال: ((صدقت، إن فيك خصلتين...))^(٢).

وقد ظهر من الحديث أن النبي ﷺ إنما قال ذلك للأشج، لما ظهر له منه من رفقته وترك عجلته^(٣).

قال القاضي عياض^(٤) رحمته الله: فالأناة تربصه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل، والحلم هذا القول الذي قاله الدال على صحة عقله، وجودة نظره للعواقب^(٥).

ومعلوم أن الرسول ﷺ يجب ما يحبه الله تعالى من الأناة والتؤدة في الأمر، ومما يدل على ذلك تقريبه لأشج عبد القيس في المجلس .

(١) سبق تخريجه في ص ١٠.

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ١/١٤٠.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وأحمد السيد وغيره من المحققين، الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن كثر، ١٤١٧هـ، ١/١٧٨.

(٤) هو: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل، إمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم، وأيامهم، ولي قضاء سبتة وغرناطة، من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، والإمعا إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، والأعلام بحدود قواعد الإسلام، توفي سنة (٥٤٤هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٠/٢١٣، والأعلام، للزركلي، ٥/٩٩.

(٥) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، ١/١٤٠.

ومن مظاهر صفة التؤدة، قوله ﷺ: ((السَّمْتُ الحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ، وَالِإِقْتِصَادُ، جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ))^(١)، ففيه حثٌّ على الانقياد، والمتابعة لشمائل وفضائل أهل النبوة، والتي منها التأني في تناول الأمور، والتوسط بين سلوك الإفراط والتفريط.

وقد مدح النبي ﷺ التؤدة في جميع الأمور والأحوال، إلا ما كان في الأعمال التي يرجى بها الدار الآخرة، فإن فيها المسارعة والمسابقة، فقال ﷺ: ((التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ))^(٢).

فالتؤدة في كل شيء خير أي: مستحسن محمود، إلا في عمل الآخرة، فإنه غير محمود بل الحزم، وبذل الجهد فيه، لتكثير القربات ورفع الدرجات^(٣).

وبمجموع هذه النصوص تؤكد لنا محبة النبي ﷺ لمثل هذه الصفات المحمودة، وحثه على التحلي بها، لأن فيها دلالة على كمال عقل المرء ووزانته.

والتؤدة هي: التأني والتمهل، يقال: ائتد في أمرك أي: تمهل وتأن^(٤).

ولحبه ﷺ لصفة الأناة، كان يربي أصحابه على التأني في حركتهم، وسيرهم إلى الصلاة، و يحثهم بتجنب الإسراع، والركض في الطريق للإدراك بجماعة الصلاة، فعن أبي هريرة روى قال: رسول الله ﷺ: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ، وَأَتُوهَا تَمَّشُونَ، وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُمُوا))^(٥).

فالأناة والتؤدة: صفتان محمودتان، يجبهما الله ورسوله ﷺ، لما تتصفان من أهمّ السبيل إلى إصابة الحق، وما يظهر فيهما من كياسة وفطنة صاحبيهما.

(١) سبق تخريجه ص ١٠٢ .

(٢) رواه أبي داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرفق، ٥/٢٧٩، رقم الحديث: ٤٧٧٧، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٣/١٨٢، رقم: ٤٨١٠.

(٣) انظر: فيض القدير، للمناوي ٥/٢٧٣٨.

(٤) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، رتبته: محمود خاطر بك بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١، ص ٧٠٥.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيًا، ٤٢٠/١، رقم الحديث: ١٥١.

قال بعض الحكماء: "التُّؤدُّةُ يَمُنُّ وفي اليمنِ النجاحُ"^(١).

وأُنشد في ذلك القطامي^(٢) فقال:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل^(٣)

وقال غيره:

ومستعجلٍ والمكثُ أدنى لُرُشدِهِ ولم يدر ما يلقاه حين يُبادرُ^(٤)

وروي أن عمرو بن العاص^(٥) كتب إلى معاوية^(٦) في الأناة، فكتب إليه معاوية: أما بعد! فإن التفهم في الخير زيادة ورشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبث مصيب، أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن المعجل مخطئٌ أو كاد أن يكون مخطئًا، وإنه من لا ينفعه الرفق، يضرُّه الخرق، ومن لا تنفعه التجارب، لا يُدرك المعالي^(٧).

(١) المحاسن والمساوي، إبراهيم محمد البيهقي، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٠هـ، ص ٤٧٥.

(٢) عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية، وقال الأخطل: أبعده منه ذكرا وأمتن شعرا، توفي نحو سنة (١٣٠هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٨٦/٣، والأعلام، للزركلي ٨٩/٥.

(٣) ديوان المعاني، حسن بن عبد الله العسكري، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥٢هـ، ص ١٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٥) الصحابي: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، أبو عبد الله، أسلم قبل الفتح، كان واليا على الشام ومصر، توفي سنة (٤٣هـ)، انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ٢٤٤/٤-٢٤٦.

(٦) الصحابي: معاوية بن صخر بن حرب بن أمية القرشي الخليفة الأموي، أسلم عام الفتح، وكان كاتب الوحي لرسول الله، وحضر معه غزوة حنين، وولي الشام في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، توفي سنة (٦٠هـ) انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٢٠٩/٥-٢١١.

(٧) انظر: المصنف، للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ١٦٥/١١-١٦٦.

المطلب الخامس: الأسلوب النبوي في توضيح كيفية تعامل النبي مع عجلة

الخباب بن الأرت^(١).

إنَّ تَمَّا يِنَابِي التَّثَبُّتَ وَالتَّبِين، العجلة، وهي صفة مذمومة، والقصد منها وقوع الأمر قبل وقته، والذي يحركها طبع الإنسان المفطور عليه، قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢).

قال العلامة السعدي: "أي: خلق عجولاً، يبادر الأشياء، ويستعجل وقوعها"^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٤).

قال الإمام القرطبي: أي طبعه العجلة، فيعجل بسؤال الشر، كما يعجل بسؤال الخير^(٥). فالعجلة هي تمثل جزء من أجزاء الإنسان، وهي من تكوينه، إلا إذا استقام على ما أمر الله به، وتأدب بأداب الشرع.

و العجلة من مقتضيات الشهوة، فهي مذمومة في جميع الأحوال، إلا ما كان منها في أمر الآخرة.

كما أن العجلة صفة جبل عليها الإنسان، فتمنعه من التثبت والتأني في الأمور، ولذلك دَمَّهَا رسول الله ﷺ وأنكرها، قال ﷺ: ((التَّأْنِي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ))^(٦).

(١) الصحابي: خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمي، أبو عبد الله، من السابقين إلى الإسلام، شهد

المشاهد كلها مع النبي ﷺ، توفي بالكوفة سنة: (٣٧هـ) انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١١٤/٢-١١٥.

(٢) سورة الأنبياء، آية: (٣٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢٧٩/٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: (١١).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٣١/١٠.

(٦) سبق تخرجه ص ٦٥.

قال الإمام ابن حجر الهيتمي^(١) في بيان ذلك: وإنما كانت العجلة من الشيطان، لأنه عندها يروج شره على الإنسان من حيث لا يشعر، بخلاف من تمهل وتروى عند الإقدام على عمل يريد، فإنه تحصل له بصيرة به^(٢).

وقال الإمام ابن القيم: والعجلة من الشيطان، لأنها خفة وطيش، وحدة في العبد تمنعه من الثبث والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعا من الشرور، وتمنعه أنواعا من الخير، وهي قرين الندامة، فقل من استعجل إلا ندم^(٣).

وقد جاء إلى النبي ﷺ خباب بن الأرت^{رضي الله عنه}، يشكو ما يلقاه وإخوانه من الأذى والتعذيب، ويطلب منه، أن يدعو ربه ويستنصره، فقال له: ((لَقَدْ قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ؛ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))^(٤).

فعندما فهم النبي ﷺ من خباب، أنه يطلب منه أن يدعو ربه أن ينصرهم، ويكشف عنهم الضر، كما في الرواية الأخرى: ((أَلَا تَدْعُو اللَّهَ فَفَعَدَ وَهُوَ مُخْمَرٌ وَجْهَهُ))^(٥)، وما لمسه من نفس

(١) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، أبو العباس، فقيه مصري، تلقى العلم في الأزهر، له مصنفات كثيرة، منها: الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، تحفة المحتاج لشرح المنهاج، شرح الأربعين النووية، توفي في مكة المكرمة سنة (٩٧٤هـ) انظر: شذرات الذهب، للعكري، ٧٣/٨، الأعلام للزركلي، ١/٢٣٤.

(٢) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن حجر الهيتمي، علق عليه: محمد خير طعمه، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٩-١٩٩٨م، ١/١٨١.

(٣) انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار، محمد بن القيم الجوزية، تحقيق أبو عبد الرحمن المكي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مكتبة نزار المصطفى الباز، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ٢٦١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ٢٥٤٦/٦، رقم الحديث: ٦٥٤٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة، ١٣٩٨/٣، رقم الحديث: ٣٦٣٩.

خَبَاب ﷺ من استبطاء النصر، ولمس منه قدرًا من الاستعجال، فوجّه له خطابه، بأن عليهم الصبر والثبات على دين الله، وعدم الاستعجال لما في ذلك؛ من تربية لنفوسهم، وتنشئتها على تحمّل المشاق في سبيل الله، والثقة بوعده الله ونصره لدينه، وعباده المؤمنين.

وقد أظهر خطاب رسول الله، ما كان يحمله من غضبه ﷺ لعجلة خباب بن الأرت، كما جاء في الحديث ((فَقَعَدَ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهُهُ))، مع ما شاهده من الأذى في ظهره، وما يعلمه من حاله ﷺ.

ففيه إيضاح وبيان، لرفض رسول الله ﷺ للعجلة، وأنه لا ينبغي الاستعجال في مثل هذا الأحوال والظروف، وإنما المطلوب الصبر والثبات، فصاحب العجلة لا يجني من استعجاله خيرًا.

قال عمرو بن العاص ﷺ: لا يزال المرء يجتني من ثمرة العجلة الندامة^(١).

وقال غيره: إنما أهلك الناس العجلة والعجب، ولو ثبتوا ولم يعجلوا، لم يهلك منهم أحد^(٢).

والاستعجال المذموم سببه عدم تحمّل المشاق.. فالإنسان الذي لم يستطيع أن يقضي على طبعه العجول، إنسان لا يمكن أن يكون مثبّتًا في أموره، متبنيًا في عواقبها، فلا بد من مجاهدة النفس، وتدريبها على ضرورة التريث والتأني والتروي، فإنما الحلم بالتحلّم، ومن يتصبر يصبره الله، والرجولة لا تكون إلا بذلك^(٣).

فهذا رسول الله ﷺ يبعث بالتوحيد، ويرى الأصنام تحيط ببيت الله، وتعلوه من كل جانب، وما يراه من أن أنها تصرف الناس إلى عبادتها من دون الله، فلا يعجل في تحطيمها، بل يصبر على ذلك، مع يقينه ﷺ بأنه لو حطّمها لتفاقم الضرر، حتى تيسرت وسنحت له الفرصة في عام الفتح، فحطّمها على مرأى من الجميع، بعد أن أصبحت نفوس الناس زكية، وقلوبهم مطهرة، فكان له الأثر في تعليم أمته ﷺ درسًا عمليًا في التريث، وترك العجلة.

(١) انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ١٥٣/٦.

(٢) انظر: بجهة المجالس وأنس المجالس، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ٤٤٣/٢.

(٣) انظر: آفات على الطريق، سيد محمد نوح، الطبعة الثالثة، مصر، المنصورة: دار الوفاء، ٧٩/٢.

ويكفي في ذم العجلة، أن السنة النبوية نُهت عن الاستعجال في الدعاء؛ لما في ذلك من وسيلة لحرمان إجابة الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ دَعْوَتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي))^(١).

فينبغي على العبد ترك العجلة عند الدعاء، بحيث يستبطئ الإجابة، ممّا قد يكون في ذلك حرمانه من الإجابة.

ومما قيل في كلام السابقين: إن من الحزم الأناة والتثبت، فإن العجلة لا تزال تورث أهلها حسرة وندامة، وأنشد قائلًا:

الرفقُ يُمنُّ والأناةُ سعادةٌ فاستأنِ في رفقٍ تُلاقِ نجاحًا^(٢)

(١) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، ٢٣٣٥/٥، رقم الحديث: ٥٩٨١، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، ٢٠٩٥/٤، رقم الحديث: ٩٠.

(٢) انظر: المحاسن والمساوي، للبيهقي، ص ٤٧٦، لم أجد له ديوان .

المطلب السادس: الأسلوب النبوي في تربية أصحاب النبي ﷺ على التثبت

والتبين.

أولاً: تربيتهم على التثبت والتبين عند جهاد الأعداء.

كانت سياسة الرسول ﷺ في الجهاد والقتال في سبيل الله تعالى تقوم على التثبت والتحري، وتبصير الأمور، وعدم التسرع، وكان ﷺ يربي أصحابه على ذلك، على النحو التالي:

أ- أنه لم يكن ﷺ يغير على قوم أو يقاتل أحداً من الكفار ممن بلغهم الدعوة إلا بعد التأكد والتثبت والتبين بأنهم لا يقيمون شعائر الإسلام، فكان أعظم الناس تثبتاً وأناةً في الأمور.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَعْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا، كَفَفَ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا، أَغَارَ عَلَيْهِمْ** (١).

وفي رواية أخرى، عن أنس قال: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَيِّرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِلَّا أَغَارَ** (٢).

وهذا نص في أنه ﷺ كان يمنع الإغارة على أهل بلدة سمع الأذان فيهم، مما دلّ على إسلامهم (٣).

وهكذا كان ﷺ يربي أصحابه على التأني والتثبت من حقيقة من يقاتلون، حتى لا تراق دماء المسلمين بسبب العجلة، وعدم التثبت.

ب- كان ﷺ يغضب أشد الغضب من عجلة بعض الصحابة، وقتلهم لمن نطق بالشهادتين، أثناء القتال.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، ٢٢١/١، رقم الحديث: ٥٨٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، ٢٨٨/١، رقم الحديث: ٩.

(٣) انظر: المنهاج شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف النووي، ٣٠٦/٤.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ، فَهَرَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا عَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرُيْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا، بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ لِي: ((يَا أُسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّدًا، قَالَ: ((أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ^(١).

وفي رواية: قال له رسول الله ﷺ: ((كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(٢)، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرُ لِي، قَالَ ((وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ: ((كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

وهذا فيه، بيان لأهمية التثبيت عند الجهاد، وقاتل الكفار.

وفي رواية أخرى: أن أسامة قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ، قَالَ: ((أَفَلَا شَقَّقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا))، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسَلَمْتُ يَوْمَئِذٍ^(٣).

لأنه إنما كلفت بالعلم الظاهر، وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان..^(٤)

(١) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: {من أحيأها}، ٢٥١٩/٦، رقم الحديث: ٦٤٧٨، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ٩٦/١، رقم الحديث: ١٥٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ٩٧/١، رقم الحديث: ١٦٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ٩٦/١، رقم الحديث: ١٥٨.

(٤) انظر: المنهاج شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف النووي، ٤٦١/٢ - ٤٦٢.

وقد تبرأ النبي ﷺ من فعل خالد بن الوليد، عندما أقدم على قتل الذين قالوا: صبأنا ولم يحسنوا، أن يقولوا أسلمنا، فقال ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ بِمَا صَنَعَ خَالِدٌ)) مرتين^(١).

قال الإمام الخطابي: أنكر عليه العجلة، وترك التثبيت في أمرهم، قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا^(٢).

وفي القرآن الكريم تأييد لهذه التوجيهات النبوية، ومؤكداً لها على لزوم أمر التثبيت في القتال، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبْنَا وَأُولَٰئِكَ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتَّغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ ءَلَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَبْنَا إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣).

ثانياً: وصيته ﷺ للأمرء والقادة بالتثبيت.

لقد كان من هدي رسول ﷺ، ومن حرصه على التثبيت، أنه يوصي الأمرء والقادة إذا أرسلهم في غزوة أو في تبليغ الدعوة إلى الأمصار، بالترث والتثبيت، و من ذلك:

أ- أنه ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ؓ، حينما أعطاه الراية لفتح خيبر: ((انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ، مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))^(٤)^(٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ١٥٧٧/٤، رقم الحديث ٤٠٨٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، محمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد القادر شيبه الحمد، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ، ٦/٦٥٥.

(٣) سورة النساء، آية: (٩٤).

(٤) حُمْرُ النَّعَمِ: النَّعَم، هي الإبل، وحُمْرُهَا هي خيارها حسناً وقوة ونفاسة؛ لَأَنَّهَا أَفْضَلُ عِنْدَ الْعَرَبِ، انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ٦/٢٧٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (١٥٤٢/٤)، رقم الحديث: ٣٩٧٣.

فقوله ﷺ: ((عَلَى رِسْلِكَ)) أمر له بعدم التسرع في مهاجمتهم، حتى يدعوهم إلى الإسلام، رجاء أن يقبلوه ويدخلوا فيه، فيحصنوا به أنفسهم وأموالهم، إذ الرسول ﷺ لا يهدف من جهادهم ودعوته إلا أن يدخلوا في الإسلام، فإذا حصل ذلك فقد تحقق لهم مراده^(١).

وفي تلك الوصية دلالة قاطعة على ضرورة الهدوء في الجهاد، وترك العجلة ورفع الأصوات، لأن ذلك يدل على الثبات والشجاعة، ويدل على التدبر في الأمر، وعدم العجلة والتسرع، بخلاف الطيش والركض، ورفع الأصوات، فإن هذا يدل على الجبن، ويدل على عدم الثبات^(٢).

وفي الحديث أيضاً، أن علياً عليه السلام استفسر النبي ﷺ قبل القتال، فقال: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا^(٣)، وهذا فيه بيان لما كان يحمله علي عليه السلام من الحكمة العظيمة؛ حيث أن القائد لا بد له من وضوح الهدف والغاية، وأن يكون على تثبت وبصيرة من أمره .

ولذا كان من توجيهه ﷺ وتربيته للأمرء والقادة من السرايا والبعوث في التثبث والتدرج قبل القتال، وأن لا يقاتلوا عدواً حتى يدعوهم إلى إحدى ثلاثة أمور: -
الأمر الأول: الإسلام والهجرة، أو الإسلام دون الهجرة، ويجري عليهم حكم أعراب المسلمين.

الأمر الثاني: فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى دفع الجزية.

الأمر الثالث: فإن امتنعوا عن ذلك كله، وصدوا عن الدعوة، استعانوا بالله وقتلهم.

(١) انظر: أخلاق النبي في القرآن والسنة، أحمد بن عبد العزيز الحداد، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م، ٣/١٢٣٧.

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الثالثة، الرياض: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ١/١١٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٤/١٥٤٢، رقم الحديث: ٣٩٧٣.

فمن سليمان بن بريدة^(١) عن أبيه^(٢) قال: كان رسول الله ﷺ، إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: ((اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال: - أو حلالٍ - فأيتهم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمه والفيء شيء، إلا أن يجهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا، فاستعين بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تحفروا^(٣) ذمتكم وذمة أصحابكم، أهون من أن تحفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أنصيب حكم الله، فيهم أم، لا!))^(٤).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "ما قاتل رسول الله ﷺ، قوما قط إلا دعاهم"^(٥).

(١) سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي المروزي، قال ابن حبان ولد في خلافة عمر بن الخطاب لثلاث خلون من خلافته، توفي سنة (١٠٥هـ) أنظر: تهذيب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عطا، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ١٥٧/٤.

(٢) الصحابي: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الأسلمي، أبو عبد الله، قدم على النبي بعد أحد، وشهد معه المشاهد، سكن المدينة، ثم البصرة، ثم مرو بخراسان، وتوفي ودفن بها، أنظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٢٠٩/١ - ٢١٠.

(٣) أن تحفروا: يقال: أحفرت الرجل إذا نقضت عهده، وخفرتة أمنتته، وحميته، انظر: صحيح مسلم، للإمام مسلم بن حجاج، ١٣٥٧/٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو، ١٣٥٦/٣، رقم الحديث: ٢.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، ١٦/٤، رقم الحديث: ٢١٠٥، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قال الإمام الطبري: أجمعت الأمة أن رسول الله ﷺ لم يقاتل أعداءه من أهل الشرك إلا بعد إظهاره الدعوة، وإقامة الحجّة، وأنه ﷺ كان يأمر أمراء السرايا بدعوة، من لم تبلغه الدعوة^(١).
فاتضح من هذا أن من التثبت بذل الجهد في الدعوة والنصح للآخرين، وذلك قبل القتال والمواجهة بالسيوف وبالسنان.

ب- ومن تربيته وتوجيهه ﷺ للقادة الذين بعثهم على السرايا والبعوث، إرساله البعث للتثبت من الخبر الذي جاء به الوليد بن عقبة رضي الله عنه، عن ردة بني المصطلق، ومنعهم الزكاة، ففي مسند أحمد أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه، قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَخَلْتُ فِيهِ وَأَقْرَرْتُ بِهِ، فَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ، فَأَقْرَرْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرْجِعْ إِلَى قَوْمِي، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ، فَيُرْسَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا لِإِبَانِ كَذَا وَكَذَا، لِيَأْتِيكَ مَا جَمَعْتُ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لَهُ، وَبَلَغَ الْإِبَانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِ، احْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَلَمْ يَأْتِهِ، فَظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخَطَةٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ وَرَسُولِهِ، فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسَلُ إِلَيَّ رَسُولُهُ، لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخُلْفُ وَلَا أَرَى حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ سَخَطَةٍ كَانَتْ، فَانْطَلِقُوا فَنَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ رضي الله عنه، لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ، فَرِقَ فَرَجَعُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْحَارِثَ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ وَأَرَادَ قَتْلِي، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبُعْثَ إِلَى الْحَارِثِ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ إِذْ اسْتَقْبَلَ الْبُعْثَ وَفَصَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ، لَقِيَهُمُ الْحَارِثُ، فَقَالُوا: هَذَا الْحَارِثُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ، قَالَ لَهُمْ: إِلَى مَنْ بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْكَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، فَرَعِمَ أَنَّكَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاةَ، وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ، قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ بَتَّةً، وَلَا أَتَانِي، فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((مَنَعْتَ الزَّكَاةَ

(١) انظر: اختلاف الفقهاء، محمد بن جرير الطبري، اعتنى به: يوسف شاخت، بدون رقم وتايخ ومكان الطبعة، ص ٢.

وَأَرَدْتُ قَتْلَ رَسُولِي)) قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ، وَلَا أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ
اِحْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ كَانَتْ سَخَطَةً مِنَ اللَّهِ ﷻ وَرَسُولِهِ (١).

(١) سبق تخرجه ص ٩٦ .

المطلب السابع: الأسلوب النبوي في التثبث عند إقامة الحدود.

إن تثبت رسول الله ﷺ في إقامة الحدود لا يوازيه تثبت، ولا سيما إذا كان الحد يوجب قتل النفس، كما في قصة ماعز بن مالك الأسلمي^(١)، الذي جاء إلى النبي ﷺ تائباً من الزنا، فقد تثبت الرسول ﷺ في هذه الحادثة بطرق شتى، وتناول جميع الاحتمالات التي تؤدي إلى الخروج من وقوع الحادثة.

وليظهر منهج النبي ﷺ، في التثبث عند إقامة الحدود، يحسن أن نذكر حادثة ماعز بن مالك بتمامها، لكي يظهر لنا ذلك المنهج النبوي في التثبث:

فعن سليمان بن بريدة^(٢) عن أبيه، قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني، فقال: ((ويحك ارجع فاستغفر الله وثب إليه))، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فقال رسول الله ﷺ: ((ويحك ارجع فاستغفر الله وثب إليه))، قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فقال ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله: ((فيم أطهرك)) فقال: من الرئي، فسأل رسول الله ﷺ ((أبيه جئون))، فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال: ((أشرب حمراً))، فقام رجل فاستنكها، فلم يجد منه ريح حمراً، قال: فقال رسول الله ﷺ: ((أزيت))، فقال: نعم، فأمر به فرجم^(٣).

وفي رواية البخاري أنه لما شهد على نفسه أربع شهادات: دعاه النبي ﷺ فقال: ((أبك جئون)) قال: لا، قال: ((فهل أحصنت))، قال: نعم، فقال النبي ﷺ: ((ادهبوا به فارجموه))^(٣).

(١) الصحابي: ماعز بن مالك الأسلمي، معدود في المدنيين، كتب له رسول الله ﷺ كتاباً بإسلام قومه، وهو الذي اعترف بالزنى عند النبي ﷺ فأمر به فرجم، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٢/٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ١٣٢١/٣، رقم الحديث: ٢٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب المحاربين من أهل الكفرة والردة، باب لا يرحم المجنون والمجنونة، ٢٤٩٩/٦، رقم

وفي رواية أخرى للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهُ: ((لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ))، قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((أَنْكُتَهَا)) لَا يَكْنِي، قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ"^(١).

ومجموع هذه الروايات تؤكد وتبين حرص النبي ﷺ وتثبته في إقامة الحد على ماعز رضي الله عنه من خلال الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: أنه لم يتعجل ﷺ في إقامة الحد حتى شهد ما عز على نفسه أربع شهادات أنه زنى.

الخطوة الثانية: أن الرسول ﷺ أراد درء الحد عن ماعز، وذلك لأجل زيادة التثبت من القضية فأورد احتمالين هما:

أ- وهو متمثل في قوله: ((أبه جنون؟)) ولم يقم عليه الحد، إلا بعد أن شهد أهله بأنه ليس به جنون.

ب- يتمثل في قوله ﷺ: ((أَشْرِبَ خَمْرًا؟))، فقام أحد الصحابة فشم رائحة فم ماعز رضي الله عنه وأخبر أنه ليس مخمورا، وهذان الاحتمالان واردان، فيلغى بسببه الإقرار.

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: لأن إقرار زائل العقل بجنون أو سكر ملغي لا عبرة به، وكذلك طلاقه وعتقه وإيمانه ووصيته^(٢).

الخطوة الثالثة: أن الرسول ﷺ سأله: ((أَزْنَيْتَ؟))، فَقَالَ: نَعَمْ، وفي رواية أخرى أنه سأله: ((فَهَلْ تَدْرِي مَا الزَّيْنَاءُ، قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُ مِنْهَا حَرَامًا مَا يَأْتِي الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ))^(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب المحاربن من أهل الكفرة والردة، باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت، ٢٥٠٢/٦، رقم الحديث: ٦٤٣٨.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، ٣٣/٥.

(٣) رواه أبي داود في سننه، كتاب الحدود، باب رجم ماعز بن مالك، ٩٧/٥، رقم الحديث: ٤٤٢٧، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن أبي داود، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ١٤٢١-٢٠٠٠م، ص ٣٦٢، رقم: ٤٤٢٨.

وفي هذا دليل على أن ما عَزَا، لم يكن جاهلاً بأمر الزنا؛ لأن رسول الله ﷺ، أراد أن يتثبت من أنه واقعها تماماً، ولم يكن مجرد تقبيل أو غمز، أو نظر، ومما يشهد لهذا قوله ﷺ: ((لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ))، قال: لا يا رسول الله، وهذا من تمام تثبته ﷺ، لأن حكم الزاني ليس كحكم من قبل أو غمز أو نظر.

الخطوة الرابعة: أنه مما يدل على تمام تثبته ﷺ في إقامة الحد على ماعز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: ((أَنْكَبْتَهَا؟)) ولا يعني، وهي كلمة لا تستعمل إلا لفعلة الوطاء خاصة، حيث ذكره بالاسم الصريح، لئلا يقع في اللبس والإشكال، وكانت الحاجة هنا داعية للتصريح حتى يتبين الأمر جلياً، ولم يؤثر أن رسول الله ﷺ صرح إلا بالحاجة ضرورية، كما في هذه القصة.

فلما بلغ الرسول ﷺ هذه الدرجة من التثبت واليقين، وطول التبين، أقام الحد على ماعز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأمر ﷺ أصحابه برجمه، بعد تعليمه للصحابة درساً عملياً في التثبت، قبل إقامة الحدود .

المبحث الثالث

تطبيق السلف الصالح لمنهج التثبيت

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسلف الصالح.

المطلب الثاني: نماذج من تثبت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المطلب الثالث: نماذج من تثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المطلب الرابع: نماذج من تثبت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

المطلب الخامس: نماذج من تثبت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

المبحث الثالث: تطبيق السلف الصالح لمنهج التثبت .

تمهيد:

لقد أدرك الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ، أن الله تبارك وتعالى اختارهم لصحبة نبيه، فوعوا حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، في تبليغ دعوة رسول الله، إلى من جاء بعدهم، وفهموا أنهم حلقة الوصل بين الأمة ونبيها، في استمرار إيصال هذه الرسالة النبوية المباركة إلى من بعدهم .

ولأهمية هذا المهمة الكبيرة، كان الصحابة يحملون الصفات العالية من الإخلاص العميق، والقدرة الفائقة، على أداء ما تلقوه من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، كما سمعوها من المصدر الأول.

والتثبت الذي دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية، كان ماثلاً في حياة الصحابة، وأتباعهم رضوان الله عليهم أجمعين، مثلاً رائعا، وذلك من خلال مناهج ومواقف كانت دافعة للاقتداء بهم في مناهج الحياة.

وإنني عندما أذكر نماذج من تطبيقات التثبت في حياة السلف الصالح، فس نجد الكثير من تلك النماذج، في بيان منهجهم في التثبت والتبين، الذي سلكوه وأكدوا عليها، من خلال المواقف والحوادث التي عاصروها.

ويتضمن هذا المبحث، المطالب التالية:

المطلب الأول: التعريف بالسلف الصالح.

أ-تعريف السلف.

السلف في اللغة: سلف يسلف سلفاً، أي مضى، والقوم السلاف: المتقدمون، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف وسلاف.

وفي تاج العروس: "للسلف معينان: أحدهما: كل عمل صالح قدمته، أو فرط فرط لك فهو لك سلف، وقد سلف له عمل صالح، والثاني: كل من تقدمك من آباءك، وذوى قرابتك، الذين هم فوقك في السن والفضل، واحدهم سالف"^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾^(٢)، أي: جعلناهم سلفاً متقدمين ليتعظ بهم الآخرون^(٣).

واتضح من المعنى اللغوي للسلف المعاني التالية:

١ - ما مضى وتقدم.

٢ - المتقدمون من الآباء والأقارب.

٤ - ما قُدم من أعمال صالحة.

ج- تعريف السلف في الاصطلاح.

التعريف الأول: قال أبو جعفر الطحاوي^(٤): وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر،

(١) تاج العروس جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ٤٥٣/٢٣.

(٢) سورة الزخرف، آية: (٥٦).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ١٥٨/٩.

(٤) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر: فقيه وعالم بالحديث، انتهت إليه رئاسة الحنفية، ذكره أبو سعيد بن يونس، فقال: كان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً، لم يخلف مثله، من تصانيفه: شرح معاني الآثار، بيان السنة، والشفعة، ومشكل الآثار، وأحكام القرآن، والعقيدة الطحاوية، وغيرها من التصانيف، توفي بالقاهرة سنة (٣٢١هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٧/١٥، والأعلام، للزركلي، ٢٠٦/١.

وأهل الفقه والنظر^(١).

التعريف الثاني: جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث في تعريفها السلفية: نسبة إلى السلف، والسلف هم صحابة رسول الله ﷺ، وأئمة الهدى، من أهل القرون الثلاثة الأولى ﷺ الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخير، في قوله: ((حَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَهُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ))^(٢) (٣).

التعريف الثالث: إذا أُطلقَ السلف عند علماء الاعتقاد فإِذَا تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة، أو الصحابة والتابعين، أو الصحابة والتابعين وتابعيهم، من القرون المفضلة؛ من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة والفضل، واتباع السنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والحذر منها، وممن اتفقت الأمة على إمامتهم، وعظيم شأنهم في الدين، ولهذا سمي الصدر الأول بالسلف الصالح^(٤).

ومن مجموع التعريفات السابقة تبين: أنَّ السلف؛ هم أهل القرون الثلاثة المفضلة، من الصحابة والتابعين واتباع التابعين، ومن أقتفى أثرهم واتباع منهجهم وأستن بسنتهم إلى يوم الدين .

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ، ص ٥٠٣.

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ، ١٥٦/٢ - ١٦٦.

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ٨٣٩/٢، رقم الحديث: ٢٥٠٩، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ٤/١٩٦٢، رقم الحديث: ٢١٢.

(٤) انظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ، ص ٢٧.

المطلب الثاني: التثبت في حياة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أولاً: نبذة من سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، اسمه ونسبه وكنيته ولقبه، مولده، إسلامه، دعوته، خلافته، وفاته.

اسمه ونسبه: هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي.

كنيته: أبي بكر.

لقبه: لقب أبو بكر رضي الله عنه بألقاب عديدة، كلها تدل على سمو المكانة، وعلو المنزلة وشرف الحسب، من تلك الألقاب:

أ- الصديق: لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم ففي الحديث: أن النبي صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم فقال: ((أَبْتُ أَخْدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ))^(١).

ب- العتيق، لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال له: ((أَنْتَ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ)) فيومئذ سمي عتيقاً^(٢).

ج- الصاحب، لقبه به الله عز وجل في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿إِلَّا نَصْرُهُ فَكَدَّ نَصْرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو كنت متخذًا خليلاً))، ١٣٤٤/٣، رقم الحديث: ٣٤٧٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ٦١٦/٥، رقم الحديث: ٣٦٧٩، وقال الترمذي هذا حديث غريب، وصححه الألباني: انظر: صحيح سنن الترمذي، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ١٤٢٠هـ، ٥٠٨/٣.

(٣) سورة التوبة، آية (٤٠).

مولده: ولد بعد عام الفيل، واختلف في المدة التي بعد عام الفيل، فقيل: بثلاث سنين، وقيل: بستين ونصف.

إسلامه: كان من السابقين للإسلام، فكان أول من أسلم من الرجال الأحرار، وبإسلامه عمَّ قلب الرسول ﷺ السرور، ولقد كان إسلام أبي بكر الصديق كنزًا من الكنوز التي أدرها الله تعالى لنبيه ﷺ.

دعوته: بعد إسلام أبي بكر الصديق، حمل الدعوة مع النبي ﷺ، وتعلم من رسول الله ﷺ أن الإسلام دين العمل والدعوة والجهاد، وأن الإيمان لا يكمل حتى يهب المسلم نفسه وما يملك لله رب العالمين، وكان أبي بكر الصديق كثير الحركة للدعوة النبوية، وكثير البركة أينما تحرك، وحقق مكاسب عظيمة للإسلام، وقد كان نموذجًا حيًا في تطبيقه لقول الله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥)

وكانت أول ثمار الصديق الدعوية دخول صفوة من خيرة الصحابة في الإسلام، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة، وكانوا العدة الأولى في تقوية جانب رسول الله ﷺ، وبهم أعزه الله وأيده.

توليه للخلافة: عندما علم الصحابة رضوان الله عليهم، بوفاة رسول الله ﷺ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، لمداولة أمر الخلافة، أدركهم المهاجرون، وفيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فتكلم فيهم أبي بكر الصديق، وأحصى فضل الأنصار، ولم يترك شيئًا أنزل من القرآن، وذكره الرسول ﷺ إلا وذكره، ثم ذكر سعد بن عبادة^(٢) بحديث سمعه من رسول الله ﷺ عندما قال: ((فُرَيْشٌ وُلَاةٌ هَذَا الْأَمْرِ، فَبَرَّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ

(١) سورة النحل، آية: (١٢٥).

(٢) الصحابي: سعد بن عبادة بن دليم بن أبي خزيمة بن الخزرج الأنصاري الساعدي، أبا ثابت، وكان نقيب بني ساعدة، شهد بدرًا، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان وجهها في الأنصار، ذا رئاسة وسيادة، يعترف قومه له بها، وله ولأهله في الجود أخبار حسنة، توفي بحوران سنة (١٥ هـ)، انظر، أسد الغابة، لابن الأثير، ٣٥٦/٢.

لِفَاجِرِهِمْ))، فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء^(١)، فقال عمر: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعه وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار.

وفاته: أصيب أبي بكر الصديق في آخر حياته بمرض توفاه الله به، وكانت وفاته يوم الاثنين في الثاني والعشرون من جماد الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية، وكانت مدة خلافته سنتين وأربعة أشهر^(٢).

ولقد ذكر الإمام الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قائلا: "وكان أول من احتاط في قبول الأخبار"^(٣).

ويتضح من وصف الإمام الذهبي: أن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان في حياته كثير التثبث والتبين، في نقل الأخبار وقبولها.

(١) أورده الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي بكر الصديق، ٥/١، رقم الحديث: ١٨.

(٢) أبو بكر الصديق، شخصيته وعصره، د. علي محمد الصلابي، القاهرة، دار التوزيع والنشر، ١٤٢٣هـ، ص ١٧-١٩، ٣٣-٣٤، ١١٧-١١٨، ٣٩٦، بتصرف.

(٣) تذكرة الحفاظ، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثالثة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد- الهند، ٢/١.

ثانياً: مواقف من التثبث في حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الموقف الأول: موقفه من التثبث في ميراث الجدة.

جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق، تسأله ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله تعالى شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فارجمي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة^(١) رضي الله عنه: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك، فقام محمد بن مسلمة^(٢) رضي الله عنه، فقال: مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر^(٣).

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو من فقهاء الصحابة، تعرض له المسألة، فلا يعلم حكم الله فيها فيتوقف فيها، حتى تستبين وتظهر له.

ومن خلال هذه الحادثة، يمكن تحديد منهج أبي بكر الصديق في التثبث، على النحو التالي: -

- ١- التوقف في الأمر، فحينما لم يجد الصديق رضي الله عنه، للجدة شيئاً في الكتاب والسنة، لم يسارع إلى القول في الأمر بالنفي أو الإثبات، بل قال:
- (وَمَا عَلِمْتُ)، وهذه اللفظة لا تنفي العلم عن غيره، فقد يعلم غيره ما لا يعلمه، وما يوضح ذلك، أنه لما جاءه العلم اليقين من المغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة،

(١) الصحابي: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله، وقيل: أبو عيسى، أسلم عام الخندق وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد الحديبية، وفتح الشام واليرموك والقادسية ونهاوند، كان والي عمر على البصرة والكوفة، اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان، توفي سنة: (٥٠هـ)، انظر أسد الغابة، لابن الأثير، ٢٤٧/٥ - ٢٤٨.

(٢) الصحابي: محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الخزرجي الأنصاري الأوسي، أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله، شهد بدرًا وأحدا، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا تبوك، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة، في بعض غزواته، اعتزل الفتنة بعد موت عثمان بن عفان، توفي بالمدينة سنة (٤٦هـ)، وقيل سنة (٤٧هـ)، انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ١١٢/٥.

(٣) رواه أبي داود في سننه، كتاب الفرائض، باب في الجدة، ٤٠٩/٣، حديث رقم: ٢٨٨٦، واللفظ له، ورواه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الفرائض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ميراث الجدة، ٣٦٥-٣٦٦، رقم الحديث: ٢١٠٠، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن أبي داود، ٢٢٦، رقم: ٢٨٩٤.

قضى لها بالسدس، فهو توقف في الأمر، حتى استبان له وظهر، ولا عجب في ذلك؛ فهو القائل: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم^(١).

٢- السؤال والمشاورة، فهذا أبو بكر رضي الله عنه، خليفة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يُحرم الجدة بناءً على عدم علمه شيئاً في الكتاب والسنة، بل تريت، وسأل الناس، وهكذا ينبغي أن يكون المفتي والعالم والقاضي، فليس عيباً أن يسأل عن مثل هذه المسألة وهو الخليفة، وأن يأخذ العلم ممن هو دونه، فقاده السؤال والمشاورة للناس، إلى حكم شرعي لم يكن يعلمه - رضي الله عنه وأرضاه -.

٣- التثبت من خبر المغيرة بن شعبة، لأن أبا بكر رضي الله عنه، كان ملازمًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستغرب كيف لا يعلم مثل هذا الحكم، ولذلك أراد أن يتثبت من الخبر، فقال: هل معك غيرك؟ فلمّا شهد بذلك محمد بن مسلمة رضي الله عنه، وتثبت الصديق، من صحة ما أخبر به المغيرة، امثل بالتنفيذ رضي الله عنه.

الموقف الثاني: تثبته رضي الله عنه عند إصداره للحكم في مسائل القضاء.

كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم، قضى به، وإن لم يكن في كتاب الله، وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به، وإن لم يجد خرج، فسأل المسلمين، فقال: هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء، فربما اجتمع إليه نفر يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء فيه، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا ديننا، أو قال من يحفظ علينا سنة نبينا^(٢).

وكان يرى أن القاضي لا يحكم بعلمه الشخصي، إلا إذا كان معه شاهد آخر، يعزز هذا العلم، فقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: لو رأيت رجلاً على حد، لم أعاقبه حتى تقوم البينة عليه، أو يكون معي شاهد آخر^(٣).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/١١١.

(٢) المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي، أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق زياد محمد منصور، الطبعة الأولى، المدينة المنورة مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٠هـ، ١/٤١٨.

(٣) انظر: أبو بكر الصديق، شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي، ص ١٦١.

الموقف الثالث: حرصه في التحري والتثبت في نقل الرواية.

ومن مراسيل بن أبي مليكة^(١) أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن النبي ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئًا، فمن سألكم، فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه^(٢).
فدل ذلك أن مراد أبي بكر الصديق ﷺ، هو التثبت في الأخبار، والتحري عند سماعها ونقلها.

الموقف الرابع: تثبته ﷺ في حادثة الإفك.

ومن المواقف التي ظهر فيها تثبت أبي بكر ﷺ، حينما روج أهل الإفك، ما قالوه عن عائشة رضي الله عنها، واستمر ذلك شهرًا كاملاً، والألم يعتصر قلبه ﷺ وفؤاده، ومع ذلك لم يؤثر عنه شيء، حتى أن عائشة رضي الله عنها، حينما قال لها رسول الله ﷺ: ((إِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ))، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ، فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣).

فبرغم من أن الكلام يتناول عرض أبي بكر ﷺ إلا أنه لم يسارع بتكذيب الخبر ونفيه، فرضي الله عن أبي بكر، قدوة المتثبتين بعد رسول الله ﷺ، الذي صبر على الأذى شهرًا كاملاً وقلبه يعتصره الألم، وهذا فيه بيان لصبر الصديق، وثباته وحسن ظنه بالله، وفي مقام الصبر والثبات، وحسن الظن بالله، جاء الوحي ببراءة ابنته من السماء، فقررت عين الصديق، وسر واستراح قلبه.

(١) عبد الله بن عبيد الله بن زهير بن عبد الله التيمي القرشي المكي، أبو بكر، وأبو محمد، إمام حجة حافظ، كان قاضياً لعبد الله ابن الزبير ومؤدباً له، حدث عن جمع من الصحابة، منهم: عائشة أم المؤمنين، وأختها؛ أسماء، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو السهمي، وابن عمر، وابن الزبير، وحدث عن التابعين منهم: جده أبي مليكة، وحميد بن عبد الرحمن الزهري، وذكوان مولى عائشة، وعباد بن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعن طائفة غيرهم، وثقه أبو زرعة، وأبو حاتم، توفي سنة (١١٧هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/٨٨-٩٠.

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي، ٢/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٤/١٥١٧، رقم الحديث: ٣٩١٠، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٤/٢١٢٩، رقم الحديث: ٥٦.

الموقف الخامس: وضعه للجنـد الـهـدف من الحرب والقتال.

وضع الصديق خطته في هذه القضية، على أساس أن يعلم كل فرد مقاتل، أن هدف المسلمين هو نشر الإسلام، وتبليغه للشعوب، وإزالة الطواغيت الذين يجرمون شعوبهم من هذا الخير العميم، وكان ﷺ يوجه القادة بأن يعرضوا على الأعداء قبل المعركة، واحدة من ثلاث: الإسلام أو الجزية أو الحرب^(١).

(١) أبو بكر الصديق، شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي، ص ٣٧٦.

المطلب الثالث: التثبت في حياة أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أولاً: نبذة من سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، اسمه ونسبه وكنيته ولقبه، مولده، إسلامه، خلافته، وفاته.

اسمه ونسبه: عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزّي بن رياح بن عبد الله بن غالب القرشي العدوي.

كنيته: أبا حفص.

لقبه: الفاروق، لأنه أظهر الإسلام بمكة، ففرّق الله به بين الكفر والإيمان.

مولده: ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة بمكة.

إسلامه: أسلم رضي الله عنه في السنة السادسة من النبوة، وكان عمره سبع وعشرين سنة، وكان في إسلامه عزة للدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي ونطوف بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلناهم حتى تركونا نصلي.

ونزل القرآن الكريم موافقاً لرأيه في بعض المواقف منها: موافقته في ترك الصلاة على المنافقين، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، دُعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي! وقد قال يوم كذا وكذا وكذا وكذا - أعدد عليه قوله - فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ((أخز عني يا عمر، فلما أكثرت عليه، قال إني خيّرْتُ فاختَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَيُّيَ إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهِ))، قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآية من براءة، قال تعالى:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١)

(١) سورة التوبة، آية: (٨٤).

قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم^(١)، فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق، ولا قام على قبره.

توليه للخلافة: تولى الخلافة ﷺ بعد أن استخلفه أبو بكر الصديق، وذلك عندما اشتد عليه المرض في آخر حياته، واتسمت فترة خلافة عمر بن الخطاب، بأن اتسعت الفتوحات الإسلامية، إلى خارج الجزيرة العربية، وانتشرت المدارس العلمية، حيث ماكان الصحابة رضوان الله عليهم، وعمت خلافته العدل، الذي اعتمز به المسلمون، وكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حريصاً على نشر الدعوة، وأن يعم الإسلام الأرض من أقطارها المتباعدة، وكان حريصاً في تسيير الجيوش تلو الجيوش تحمل الهدى والخير، وتدعوا إلى السعادة والرشد، وأصبحت مهمة هذه الجيوش دعوة الناس إلى الإسلام، فإن أجابوا كفوا عنهم، وصاروا إخواناً لهم، وإن أبوا طالبوهم بدفع الجزية، وكانوا بذلك في حماية المسلمين، وإن أبوا، فهم أعداء محاربون لزم مقاتلتهم.

وفاته: توفي ﷺ في ذي الحجة سنة (٢٣هـ)، وذلك بعد أن طعنه أبو لؤلؤة الجوسي^(٢)، وكانت مدة خلافته عشر سنين، وستة أشهر.

(١) رواه البخاري في صحيح، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين، ٤٥٩/١، رقم الحديث: ١٣٠٠.

(٢) اسمه: فيروز الفارسي، مولى المغيرة بن شعبة، انظر: الإعلام، للزركلي، (٤٥/٥).

ثانياً: مواقف من التثبيت في حياة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إن منهج التثبيت يتجلى في حياة الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من خلال مواقف ونماذج كثيرة من حياته، وفيما يلي ما تيسر ذكره من المواقف، التي أظهرت منهجه في التثبيت:

الموقف الأول: تثبته من رواية الاستئذان .

جاء أبو موسى الأشعري^(١) إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، هَذَا أَبُو مُوسَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، هَذَا الْأَشْعَرِيُّ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ، فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ رُدُّوا عَلَيَّ، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى مَا رَدَّكَ، كُنَّا فِي شُغْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ((الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ))، قَالَ لَتَأْتِيَنِي عَلَى هَذَا بَيِّنَةٍ، وَإِلَّا فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى، قَالَ عُمَرُ: إِنْ وَجَدَ بَيِّنَةً تَجِدُوهُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ عَشِيَّةً، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَيِّنَةً فَلَمْ تَجِدُوهُ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَ بِالْعَشِيِّ وَجَدُوهُ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى مَا تَقُولُ؟ أَقَدْ وَجَدْتِ؟ قَالَ: نَعَمْ أَبِيَّ بِنَ كَعْبٍ^(٢)، قَالَ: عَدْلٌ، قَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ، مَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ، يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَلَا تَكُونَنَّ عَدَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ إِمَّا سَمِعْتُ شَيْئًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَثَبِتَ^(٣).

قال الإمام النووي رحمته الله: وأما قول عمر لأبي موسى، أقم عليه البينة، فليس معناه رد الخبر الواحد من حيث هو خبر واحد، ولكن خاف عمر مسارعة الناس إلى القول على النبي ﷺ، فأراد شدَّ الباب، خوفاً من غير أبي موسى^(٤).

(١) الصحابي: عبد الله بن قيس بن سليم بن الأشعر أبو موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ، هاجر إلى الحبشة، كان عاملاً رسول الله على زبيد وعدن، ثم ولاة عمر على البصرة، ثم ولاة عثمان على الكوفة، اختلف في سنة وفاته فقيل (٤٢هـ)، وقيل سنة (٤٤هـ)، وقيل (٤٩هـ) والله أعلم، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٣/٣٦٧-٣٦٩.

(٢) الصحابي: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن النجار الأنصاري، أبو المنذر وأبو الطفيل، سيد القراء، شهد العقبة و بدرًا، توفي سنة (٢٢هـ) في خلافة عمر، وقيل توفي في خلافة عثمان سنة (٣٠هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٦١/١-٦٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الآداب، باب الاستئذان، ٣/١٦٩٦، رقم الحديث: ٣٧.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف النووي، ١٤/٣٥٧.

الموقف الثاني: تثبته من قراءة هشام بن حكيم رضي الله عنه.

وهذا نموذج آخر يدل على حرصه واهتمامه، حيث أنه سمع هشام بن حكيم رضي الله عنه ^(١) يقرأ سورة الفرقان، على غير القراءة التي سمعها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لعمر تسويغا لقراءته: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأقه عمر، وقاده إلى رسول الله ليتأكد ويتثبت من صحة قراءته، ففي الحديث الذي رواه البخاري، قال عمر بن الخطاب: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَائَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَكَذَبْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ ^(٢) حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّيْتُهُ ^(٣) بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ، قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ أَقْوَدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَهَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((أَرْسَلَهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ)) فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ))، ثُمَّ قَالَ:

((اقْرَأْ يَا عُمَرُ))، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ)) ^(٤).

ففي هذا الخبر إشارة إلى عدم الاستعجال، أو تخطئة من ذكر أو حكى قولاً يخالف ما يعرفه، إلا بعد أن يتثبت ويتبين، وربما يكون ذلك القول له اعتبار عند أهل العلم والاختصاص.

الموقف الثالث: مذاكرته للعلم وسؤاله عما يجهل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُبِيَّ عَمْرٌ بامرأة تَشِمُّ، فقام فقال: أنشدكم بالله من سمع من النبي صلى الله عليه وسلم في الوشم، فقال أبو هريرة فقمتم، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا سمعت، قال: ما سمعت،

(١) الصحابي: هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي، صحابي ابن صحابي، أسلم يوم فتح مكة، كان من الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، قيل: استشهد بأجنادين، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٣٩٨/٥-٣٩٩.

(٢) فتصبرت، أي: أمهلهته حتى انصرف من الصلاة، انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ٦٥٤/٨.

(٣) فلببته، أي: جمع عليه ثوبه عند صدره في لبتة، انظر: المرجع السابق.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ١٩٠٩/٤، رقم الحديث:

قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((تَشِمْنَ وَلَا تَسْتَوْشِمْنَ))^(١).

الموقف الرابع: تثبته من خبر طلاق الرسول ﷺ لزوجاته.

وهو مثال يدل على كمال تثبت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك لما جاءه الخبر أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، لم يتعجل في نشر الخبر وإذاعته، وإنما سلك أفضل السبل في التثبت من الخبر، وهو الذهاب إلى رسول الله ﷺ والتأكد منه مباشرة، والخبر كما رواه الإمام مسلم رضي الله عنه في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ^(٢) بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ لِأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، عَلَيْكَ بِعَيْتِكَ^(٣)، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُجِبُّكَ، وَلَوْلَا أَنَا لَطَلَّقْتُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ، فَقُلْتُ لَهَا: أَيِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ هُوَ فِي خِرَانَتِهِ فِي الْمَشْرِئَةِ^(٤)، فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرِيَّاحٍ^(٥) غُلَامٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَى أُسْكُفَةٍ^(٦) الْمَشْرِئَةِ، مُدَلٌّ رِجْلَيْهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ، وَهُوَ جِدْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَنْحَدِرُ، فَنَادَيْتُ يَا رِيَّاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ رِيَّاحٌ إِلَى الْعُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رِيَّاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ رِيَّاحٌ إِلَى الْعُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي فَقُلْتُ يَا رِيَّاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب المستوشمة، ٢٢١٩/٥، رقم الحديث: ٥٦٠٢.

(٢) ينكتون، أي: يضربون الأرض كفعل المهموم المفكر، انظر: شرح النووي على مسلم، ٣٢٣/١٠.

(٣) عيبتك، أي: عليك بوعظ ابنتك حفصة، انظر: المرجع السابق.

(٤) المشرية: الغرفة، قال في الأساس: لأنهم يشربون فيها، وقيل: المشرية: العلية، وقيل: الصفة، وقيل: هي كالصفة

بين

يدي الغرفة، انظر: تاج العروس للزبيدي ١١٧/٣.

(٥) الصحابي: رياح الأسود، مولى رسول الله ﷺ، كان يأذن على رسول الله ﷺ، - أي يأخذ الأذن من الرسول لمن أراد

الدخول عليه-، انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ٢٠١/٢.

(٦) أسكفة المشرية، أي: عند عتبة الباب السفلي، انظر: شرح النووي على مسلم، ٣٢٤/١٠.

من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها ورفع صوتي، فأومأ إلي أن ازقه، فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أتر في جنبه، فنظرت ببصري في حوزة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرطاً^(١) في ناحية العزفة وإذا أفيق^(٢) معلق - قال - فابتدرت عياني قال: ((ما يبكيك يا ابن الخطاب))، قلت: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أتر في جنبك وهذه حوزاتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذلك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله ﷺ وصفوته وهذه حوزاتك، فقال: ((يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة وهم الدنيا))، قلت: بلى، - قال - ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، ولما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية آية التخيير ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾^(٣) وإن تظهرنا عليه فإن الله هو موله وجبريل

وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير^(٤)، وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله أطلقتهن، قال: ((لا))، قلت: يا رسول الله إلي دخلت المسجد، والمسلمون ينعثون بالحصي، يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن، قال: ((نعم إن شئت))، فلم أزل أحدثه، حتى تحسر الغضب عن وجهه، وحتى كثر^(٥) فضحك، وكان من أحسن الناس ثعراً، ثم نزل نبي الله ﷺ، ونزلت فنزلت أتشبت^(٦) بالجذع، ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقلت: يا رسول

(١) القرط: ورق السلم يدبغ به الأدم، انظر: تهذيب اللغة، ٧٠/٩.

(٢) قال الأصمعي: يقال للأدم إذا دبغ قبل أن يجز أفيق، انظر الصحاح في اللغة، ١٦/١.

(٣) سورة التحريم، آية: (٥).

(٤) سورة التحريم، آية: (٤).

(٥) كثر، أي: أبدى أسنانه تبسمًا، انظر: شرح النووي على مسلم، ٣٢٥/١٠.

(٦) أتشبت، أي: أستمسك، انظر: المرجع السابق.

اللَّهِ إِنَّمَا كُنْتُ فِي الْعُرْفَةِ تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ، قَالَ: ((إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ))، فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي، لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ^(١).

إن هذه الحادثة تدل على منهج فريد سلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في التثبث.

وهو مناقشة صاحب الشأن، والاستفسار منه شخصياً، فقد يشيع الناس خيراً عن شخص ما، ويكون أقرب الناس إليه سواء في السكنى أو القرابة، يخوض في الكلام دون أن يطرق عليه بابه، ويستفسر منه، ويناقشه شخصياً، وما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، من مناقشة رسول الله، هو من أجل التثبث من الخير، وقد حصل له ما أراد.

وفي هذه الوقفة، وما سبقه من مواقف، توجيه نبوي للمسلم، ليستفيد منها في حياته، وأن يأخذ من هذه النماذج من حياة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الدروس والعبر وليقتدي بها في تعامله مع الآخرين.

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، ١١٠٥/٢، رقم الحديث: ٣٠.

المطلب الرابع: تثبت الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، من حادثة الإفك.

أولاً: نبذة من سيرته، اسمه وكنيته، إسلامه، روايته للحديث، فضائله، وفاته.

اسمه: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن النجار الخزرجي الأنصاري.

كنيته: أبو أيوب.

إسلامه: أسلم أبو أيوب الأنصاري، قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وكان أحد الصحابة المعدودين الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية، ومن بايعوا رسول الله على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والإنفاق في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن لا يخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن ينصرو رسول الله إذا قدم عليهم، وأن يمنعو عنه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، وأنهم لهم الجنة بذلك^(١).

روايته للحديث: روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، وروى عن جمع من الصحابة، وجماعة من

التابعين.

فضائله: شهد العقبة وبدرا وأحد، وما بعدها، ونزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، فأقام عنده، حتى بنى بيوته ومسجده، وأخى بينه وبين مصعب بن عمير^(٢)، وشهد الفتوح، وداوم الغزو والجهاد، إلى أن توفي في غزاة القسطنطينية، التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَعْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَعْقُورٌ هُمْ))^(٣)، واستخلفه علي بن أبي طالب على المدينة لما خرج إلى العراق، لقتال الخوارج، ثم لحق به، وشهد معه قتال الخوارج . وفاته: توفي في غزاة القسطنطينية مجاهداً، سنة (٥٥٢هـ)^(٤).

(١) انظر: البداية والنهاية، ١٧٢/٣.

(٢) الصحابي: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي العبدي، أبا عبد الله، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن، ويصلي بهم، شهد بدرا وشهد أحداً، واستشهد فيها، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١٨١/٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم، ١٠٦٩/٣، رقم الحديث: ٢٧٦٦.

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤٠٥/١، وأسد الغابة، لابن الأثير، ٩٤/٢-٩٦.

ثانياً : تثبت أبي أيوب الأنصاري من حادثة الإفك .

لما تحدث أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها، وشاع الإفك في المدينة، برزت نماذج من الصحابة رضي الله عنهم في راحة عقولهم وحسن ظنهم، وجميل تثبتهم، ومن هؤلاء الصحابي الجليل أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

قال الإمام الطبري في سبب نزول قوله تعالى :

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١)، أن أبا أيوب، قالت له امرأته، أم أيوب^(٢): أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ ، قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ، ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ قَالٍ مِنَ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾^(٣)، وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كما قال أبو أيوب وصاحبت^(٤) .

ومن خلال هذه الرواية يمكن إبراز منهج تثبت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، من خلال التالي: -

١- أن خبر الإفك سمع به أبو أيوب، قبل حديث زوجته أم أيوب معه، ومع ذلك لم يسارع بنشره، ولم يخبر به حتى زوجته، التي هي بدأت الحديث، في ذلك بقولها: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى .

وهذا هو الواجب على المسلم فعله عند سماع الأخبار أن يكتمها، حتى تتبين له وتتضح .

(١) سورة النور، آية: (١٢) .

(٢) الصحابية: أم أيوب بنت قيس بن عمرو بن امرئ القيس الخزرجية الأنصارية، امرأة أبي أيوب الأنصاري، انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ٣٠٤/٧ .

(٣) سورة النور، آية (١١) .

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري، ٩٦/١٨ .

٢- حسن الظن بالمؤمنين، كما قال تعالى:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ وهو ممثل في قول أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه لزوجته أم أيوب: أكنت أنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، قال، فعائشة والله خيراً منك.

قال الإمام الكلبي^(١): كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد في حقهم، فهو في حق عائشة أبعده؛ لفضلها^(٢).

وهذا القياس، هو الذي اتبعه أبو أيوب رضي الله عنه، فإذا كانت أم أيوب لا تفعل هذه الفاحشة، فإنه من باب الأولى، أن لا يقع من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ولأهمية موقف أبو أيوب وزوجه جرى التنبيه إليه لأن بعض الناس وقعوا في شرك هذه الدسيسة والفرية الذميمة، فأخذوا يشيعونها دون وعي لأبعادها السيئة، أما أبا أيوب وزوجه فقد نفيها، واعتبراها بمتاناً عظيماً، وأوضحا أن من هو أقل رتبة في الورع والاستقامة من عائشة، وصفان لا يقع في مثل هذه السفاسف، فكيف بأم المؤمنين وزوج سيد الخلق أجمعين، فرضي الله عن أبي أيوب وزوجه وأرضاهما^(٣).

(١) محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي الغرناطي، أبو القاسم، فقيه من علماء الأصول واللغة، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تقريب الوصول إلى علم الوصول، الأنوار السننية في الألفاظ السننية، توفي سنة (٧٤١هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ٣٢٥/٥.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، الطبعة الأولى، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٥هـ، ٦١/٣.

(٣) انظر: مرويوات غزوة بني المصطلق، إبراهيم قريبي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ص ٢٧٦.

المطلب الخامس: التثبت في حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

أولاً: نبذة من سيرته، اسمه ونسبه وكنيته ولقبه، مولده، سيرته، خلافته، وفاته.

اسمه ونسبه: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

كنيته: أبو حفص.

لقبه: أشج بني أمية.

مولده: ولد بالمدينة المنورة، سنة (٦٣هـ).

سيرته: كان من أئمة الاجتهاد، وكان حسن الأخلاق والخلق، وحسن السمات، حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، طاهر الذكاء، والفهم، أوها منياً، قانتا لله حنيفاً، زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق، وعدّ عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين^(١). وكان جده لأمه الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً^(٢).

خلافته: تولى الخلافة سنة (٩٩هـ)، بعدما استخلفه عليها سليمان بن عبد الملك^(٣).

وكان أهم ما يميز منهج عمر في سياسته عند توليه للحكم: حرصه على العمل بالكتاب والسنة، ونشر العلم بين رعيته، وتفقيهمهم في الدين، وتعريفهم بالسنة، وكتب إلى بعض عماله، أن يأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١١٥/٥-١٢٠.

(٢) انظر: كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ، ٣٢٤/٥.

(٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، جهز جيوشاً لحصار القسطنطينية، وعن ابن سيرين، قال: يرحم الله سليمان، افتتح خلافته بإحياء الصلاة، واختتمها باستخلافه عمر، توفي في دابق بالشام سنة (٩٩هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١١١/٥، والأعلام للزركلي، ١٣٠/٣.

كما أمرهم أن يجروا الرواتب على العلماء، ليتفرغوا لنشر العلم .

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بتفعيل مبدأ الشورى في خلافته، كما اهتم بإشاعة مبدأ العدل بين الرعية، وكان يرى أن المسؤولية والسلطة هي القيام بحقوق الناس، والخضوع لشروط بيعتهم، وتحقيق مصلحتهم المشروعة، والخليفة أجير عند الأمة، وعليه أن ينفذ مطالبها العادلة، حسب شروط البيعة، وكان من سياسته في الحكم، ردّ المظالم، وبدأ أولاً بنفسه، فنظر إلى ما في يديه من أرض، أو متاع، فخرج منه، حتى أصبح قدوة للآخرين في ذلك.

وعندما بدأ عمر بن عبد العزيز بنفسه في رد المظالم، ثنى بأهل بيته وبني عمومته وبإخوته من أفراد البيت الأموي ، وكانت مدة خلافته، سنتين، وخمس أشهر.

وفاته: توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة (١٠١ هـ)، ودفن بجمص^(١).

(١) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز، عمر بن محمد الخضر، تحقيق: د. محمد صدقي أحمد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦ هـ، ٦٨١/٢.

ثانياً: مواقف للتثبت في حياة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.

الموقف الأول: نصحه للخلفاء في الثبت من ذنب المخالفين عند إيقاع العقوبة عليهم.

إن عمر بن عبد العزيز كان ممن يقوم بالنصح للخليفة الوليد بن عبد الملك^(١)، وكان من نصحه له أنه أرشده إلى الثبت والتبين عن ما يقوم به بعض ولاته من القتل، من غير أن يُعرف ذنب المقتول، فقال عمر للوليد ناصحاً: إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم، وإن عمالك يقتلون، ويكتبون لك ذنب المقتول، وأنت المسئول عنه، والمأخوذ به، فاكتب إليهم ألا يقتل أحد منهم أحداً، حتى يكتب إليك بذنبه، ثم يُشهد عليه، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضُح لك^(٢).

الموقف الثاني: توجيهه وإرشاده للولادة على الاعتماد بالبينة.

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز، يأمر والولادة بالاعتماد على البينة في إثبات التهمة، قال يحيى الغساني^(٣): لما ولّاني عمر بن عبد العزيز الموصل، قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقة، فكتبْتُ إليه أعلمُهُ حال البلد، وأسأله: آخذ الناس بالظنة، وأضربهم على التهمة، أو

(١) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو العباس، بويع بالخلافة بعهد من أبيه، وكان قليل العلم، نُهته في البناء، أنشاء الجامع الأموي في دمشق، وفتح الأندلس وبلاد الترك والهند في عهده، توفي سنة (٩٦هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣٤٧/٤، وشذرات الذهب، عبد الحي العكري، ١/١١١.

(٢) انظر: الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، عبد العزيز سيد الأهل، الطبعة الثالثة، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٦٩م، ص ٧.

(٣) يحيى بن يحيى بن قيس بن حارثة الغساني، أبو عثمان: قاضي، وعالم بالفتيا، له أحاديث، كان من أهل الشام، اشتهر بعلمه، ولاة عمر بن عبد العزيز قضاء الموصل، وكان من الفصحاء البلغاء، توفي سنة (١٣٣هـ)، انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ٢٩٩/١١، والأعلام، للزركلي، ١٧٦/٨.

أخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة، فكتب إليّ، أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة (١).

ومن ذلك أيضاً أنّ عدي بن أرطأة^(٢)، كتب إلى عمر بن عبد العزيز، يستشيريه في حال الناس الذين اقتطعوا من مال الله، فكتب من عدي بن أرطأة، أما بعد، أصلح الله أمير المؤمنين، فإن قبلي أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله وَعَجَلِك مالا عظيماً، لست أرجو استخراجهُ من أيديهم إلا أن أمسهم بشيء من العذاب، فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن لي في ذلك أفعل.

فكان في جوابه له في الالتزام بالأناة والتحري في التحقيق مع المذنبين:

أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذائك إياي في عذاب بشر، كأني لك جنة من عذاب الله، وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله وَعَجَلِك، فانظر من قامت عليه بينة عدول، فخذها بما قامت عليه به البينة، ومن أقر لك بشيء، فخذها بما أقر به، ومن أنكروا، فاستحلفه بالله العظيم، وخلّ سبيله، وأتم الله لأن يلقوا الله وَعَجَلِك بخياناتهم، أحب إليّ من أن ألقى الله بدمائهم، والسلام (٣).

الموقف الثالث: إرشاده للقضاة للتحلي بالتأني والتؤدة.

لقد أصدر عمر بن عبد العزيز أمراً، فيه توجيه وإرشاد للقضاة، في التأني والتؤدة عند الحكم في القضايا، وأرشدهم بِحُجَّتِ أنّ القاضي إنّ تبين له الحق حكم به، وإن لم يظهر له فلا

(١) انظر: الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، دمشق، دار قتيبة للنشر، ص ١٧٨.

(٢) عدي بن أرطأة الفزاري، أبو وائلة، ولاة عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة (٩٩ هـ)، فاستمر إلى أنّ قتله معاوية بن يزيد بن المهلب، بواسط سنة (١٠٢ هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٥/٥٣، الأعلام، للزركلي، ٤/٢١٩.

(٣) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز، عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، مطبعة الإمام، مصر، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، ص ٦٨.

يترك القضية، وإنما يرفعها إلى من هو فوقه، لينظرها، فعندما استعمل ميمون بن مهران^(١)، على قضاء الجزيرة وعلى خراجها، كتب إليه ميمون يستعفيه ويشكو شدة الحكم والجبابة، فكتب عمر إليه: إني لم أكلفك ما يُعنتك، أجب من الخراج الطيب، واقضي ما استبان لك، فإذا التبس عليك أمر، فارفعه إليّ، فإنّ النَّاس لو كانوا إذا كبر عليهم أمرٌ تركوه، ما قام دين ولا دنيا.^(٢)

ولقد تحلى ﷺ بالتأني، وعدم العجلة، والابتعاد عن كل أمر فيه شبهة، وذلك احتياطاً لدينه، وذكر أن الأمور تنقسم إلى ثلاثة أحوال، هي:

الحالة الأولى: أمر استبان رشده فاتبعه.

الحالة الثانية: وأمر استبان ضره فاجتنبه.

الحالة الثالثة: وأمر أشكل أمره عليك فزده إلى الله^(٣).

الموقف الرابع: دعوته إلى التدرج في معالجة الأمور، والعمل على علاجها بالتريث من غير عجلة وتسرع.

يحكى أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز^(٤) قال لأبيه: مالك يا أبت لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي، لو أن القدور غلت بي وبك في الحق"، فكان جواب الأب المتفهم المتأني:

(١) ميمون بن مهران الجزري الرقي، أبو أيوب: فقيه من القضاة، كان عالم الجزيرة، ومفتيها، وكان ثقة في الحديث، حدث عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عمر، وابن عباس، توفي سنة (١١٧هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٧١/٥، والأعلام للزركلي، ٣٤٢/٧.

(٢) انظر: حلية الأولياء، للأصبهاني، ٨٨/٤.

(٣) انظر: العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، ١٨٢/٥.

(٤) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، عاش ملازماً أباه ومن أحب الناس إليه وكان معيناً له على الحق، توفي سنة (١٠١هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ١٦١/٤.

لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة، فيدعوه جملة، فيكون من ذا فتنة^(١).

فأراد أمير المؤمنين بذلك أن يعود إلى هدي الخلفاء الراشدين، وأن يعالج الأمور بتدرج وتؤدة، من غير عجلة.

الموقف الخامس: تثبته وحرصه في رد المظالم.

من أوائل الأمور التي بدأ بها أمير المؤمنين عند توليه للخلافة، رده للمظالم مهما كان صغيراً أو كبيراً، وبدأ أولاً بنفسه، روى ابن سعد^(٢): أنه لما ردّ عمر بن عبد العزيز المظالم قال: إنّه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي، فنظر إلى ما في يديه من أرض، أو متاع، فخرج منه حتى نظر إلى فصّ خاتم، فقال: هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب، فخرج منه^(٣).

وكان ذلك لإصراره على قطع كل شك بيقين، وحتى يطمئن إلى أن ما في يده لا شبهة فيه لظلم، أو مظلمة، حتى ولو كان ميراً.

وقد بلغ به الحرص في تبيينه من رد المظالم، أنه نزع حلي سيفه من الفضة، وحلاه بالحديد.

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي، تحقيق وتعليق عبد الله دراز ومحمد عبد الله دراز، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ٧١/٢.

(٢) محمد بن سعد بن منيع الزهري، أبو عبد الله، الحافظ، العلامة، الحجة، قال ابن الفهم: وكان كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب، كتب الحديث والفقه والغريب، قال أبو بكر الخطيب في حقه: محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة، وحديثه يدل على صدقه، فإنه يتحرى في كثير من رواياته، توفي سنة (٢٣٠هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ٦٦٤/١٠، وتهذيب الكمال، للمزي، ٢٥٥/٢٥.

(٣) انظر: كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهري، ٣٣٥/٧.

قال عبد العزيز بن عمر^(١): كان سيف أبي محلي بفضة، فنزعها وحلّاه حديدًا^(٢).

وكان خروجه ممّا بيده من أرض أو متاع، بعدة طرق كالبيع، ذلك أنه حين استخلف نظر إلى ما كان له من عبد، وإلى لباسه وعطره، وأشياء من الفضول، فباع كل ما كان به عنه غني، فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار، فجعله في السبيل، أو عن طريق ردها إلى أصحابها الأصليين، وهذا ما فعله بالنسبة للقطائع التي أقطعه إياها قومه .

(١) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي: من سكان المدينة وولاه يزيد بن الوليد إمرة مكة والمدينة، وكان عالما فقيها نبيلًا، توفي سنة (١٤٧هـ)، انظر: شذرات الذهب، عبد الحي العكري، ٢١٩/١، والأعلام، للزركلي، ٢٣/٤.

(٢) انظر: كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهري، ٣٤٨/٧.



وسائل التثبيت وضوابطه ومجالاته .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وسائل التثبيت .

المبحث الثاني : ضوابط التثبيت .

المبحث الثالث : مجالات التثبيت .

المبحث الأول

وسائل التثبيت

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الوسائل، والمقصود بوسائل التثبيت.

المطلب الثاني: الوسائل المشروعة للتثبيت.

المطلب الثالث: الوسائل غير مشروعة للتثبيت.

المطلب الأول: تعريف الوسائل ، والمقصود بوسائل التثبث .

أ- تعريف الوسائل في اللغة:

مفردها الوسيلة، وهي ما يتقرب به إلى الغير، وسل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة، أي تقرب إليه بعمل^(١).

وقيل هي: "في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به، والوصلة القربى، وجمعها الوسائل، ومنه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾^(٢)، وفي حديث الأذان: قوله ﷺ ((آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ))^(٣)، أي: القرب من الله تعالى، وقيل: هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل: هي منزلة من منازل الجنة^(٤).

ب - تعريف الوسيلة في الاصطلاح.

الوسيلة له عدة تعريفات في الاصطلاح، منها:

التعريف الأول: "كل ما يتم به تبليغ الأساليب، وحملها إلى المدعو"^(٥).

التعريف الثاني: "الأداة المستخدمة في إيصال المعاني، ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو"^(٦).

التعريف الثالث: "القناة الموصلة لل غاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس"^(٧).

التعريف الرابع: "الوسائل جمع وسيلة، وهي ما يتوصل إلى التحصيل"^(٨).

ج- المقصود بوسائل التثبث: الطرق الموصلة للبحث عن المسألة التي يراد التثبث منها.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١٨٤١/٥، مادة: وسل.

(٢) سورة الإسراء، آية: (٥٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، ٢٢٢/١، رقم الحديث: ٥٨٩.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، ٤٧٢/١١، مادة: وسل.

(٥) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٩٧٣.

(٦) التدرج في دعوة النبي إبراهيم، عبد الله المطلق، الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، مركز البحوث والدراسات، ص ١٥.

(٧) ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، سيد محمد الشنقيطي، دار عالم الكتب السعودية، ١٩٩٨هـ، ص ٩٢.

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ٦٢٧/١.

المطلب الثاني: الوسائل المشروعة للتثبيت.

والمقصود بها: وسائل مشروعة في القرآن الكريم، والسنة والنبوية، جاء الحثُّ عليها والاستفادة منها، للتثبيت في أمر من الأمور.

وتيسرٌ للباحث من تلك الوسائل المشروعة، الوسائل التالية:

الوسيلة الأولى: الرد إلى الله وإلى رسوله ﷺ وإلى أولى الأمر.

وهذا الوسيلة مأخوذة من قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(١).

وهذه الآية: قاعدة عامة قائمة إلى قيام الساعة، وليست مختصة بزمن رسول الله، لأن الرد إلى الله هو الرد إلى القرآن الكريم، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إلى سنته، والرد إلى أولى الأمر هو الرد إلى ولاة الأمر من الحكام والعلماء كل فيما يخصه، لأن هناك أمور لو تركت لعامة الأمة ورعاع الناس يخوضوا فيها لفسدت.

فأمور الأمن، وأمور الخوف، وأمور الحرب، والسلم والمعاهدات، هذه من شؤون ولاة أمور المسلمين، ومن شؤون أهل الحل والعقد، هم الذين يدرسونها، وهم الذين يقولونها، وفيهم الكفاية والله الحمد، أما إذا صارت مباحة لكل أحد، وتدخل فيها كل أحد، فإن هذا مم يفسد الأمر، وما يبلبل الأفكار، ومما يشغل الناس بعضهم ببعض، ومما يفقد الثقة بين المسلمين، وبين الراعي والرعية، وبين الأفراد والجماعات، وتصبح شغل الناس شاغل، وفي النهاية لا يتوصلون إلى شيء، وهذا ما يريده الأعداء^(٢).

(١) سورة النساء، آية: (٨٣).

(٢) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى، القاهرة: دار أولى النهى للنشر، طبعة

فجر للطباعة، ١٤٢٤هـ، ١٦٧/٢-١٦٨.

إن المسلمين تواجههم شبهة يروجها أعداء الإسلام، من أجل زعزعة العقيدة في نفوسهم، فكان لزاماً على ولاة أمر المسلمين، من الحكام والعلماء أهل الحل والعقد، أن يبينوا لعامة المسلمين، ويردوا على الشبه التي يثيره الأعداء، حتى لا ينخدع بها ضعاف النفوس.

ومن تلك الشبه التي أثاروه "زعم بعض علماء الأحياء بأن الإنسان كان أصله قردًا، قبل أن يتطور إلى الهيئة التي هو عليها الآن، فتقابل ذلك بما ورد في القرآن الكريم، حيث يؤكد القرآن الكريم، بأن الله خلق الإنسان من طين ونفخ فيه من روحه، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾^(١)، ثم جعله في أحسن صورة بصفته مخلوقًا مستقلًا، قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٢﴾﴾.

فأمّا هاتان الآيتان، والأدلة القرآنية والحديثية الأخرى، لا نملك سوى رفض هذه النظرية التي يرددها بعض علماء الأحياء"^(٣).

وبذلك يسلم المسلمون على عقيدتهم، بفضل التثبت من هذه الشبهة عن طريق الرد إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ولو ترك الأمر لعامة المسلمين، لربما تشرنته بعض النفوس الضعيفة، ودعت إليها غيرها، لا سيما وأن الشبه يكسوها في الغالب زخرف القول غرورًا.

الوسيلة الثانية: سؤال صاحب الشأن.

إن أسلوب السؤال والنقاش من الأساليب التي لا غنى للإنسان عنها، حيث أنها امتازت بميزة توفير الجهد والوقت، للوصول إلى معرفة الحقيقة، وللتأكد عن الأشياء التي يراد التثبت منها.

ولقد أرشد الله عباده المسلمين إلى منهج سليم، وزوده بالطرائق والأدوات السليمة للتثبت والاستيضاح والتعلم، والتي من أهمها السؤال، قال تعالى:

(١) سورة الحجر، الآيات: (٢٨ - ٢٩).

(٢) سورة التين، آية: (٤).

(٣) وسائل التحقق من الأخبار في ضوء الكتاب والسنة، إسماعيل سعيد، ص ٨-٩.

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَسَّأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾^(٢)، فهو وسيلة للتعلم، والكشف عن الحقائق والمعلومات.

تعريف السؤال.

السؤال في اللغة:

"السؤال: ما يسأله الإنسان، وسأله الشيء، وسأله عن الشيء سؤالاً ومسألة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٣) أي عن عذاب"^(٤)، "وسألتُهُ عن الشيء: استخبرته"^(٥).

وفي الاصطلاح: "استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة"^(٦).

والرسول ﷺ عندما أراد أن يتبين ويتثبت من الخبر الذي جاء به السماء بعمل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، استخدم معه أسلوب السؤال والمناقشة، فقال له: ((مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟))^(٧)، فذكر له حاطب مبررات عمله الذي قام به .

وكانت قريش توجه لرسول الله ﷺ الأسئلة من أجل التثبت من نبوته ورسالته.

فعن عبد الله بن عباس قال: "قالت قريش ليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله قوله تعالى:

(١) سورة الأنبياء، آية: (٧).

(٢) سورة الفرقان، آية: (٥٩).

(٣) سورة المعارج، آية: (١).

(٤) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ١٧٢٣/٥.

(٥) تاج العروس، للزبيدي، ١٥٧/٢٩.

(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ٣٦٤.

(٧) رواد البخاري في صحيحه، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في التأولين، ٢٥٤٢/٦، رقم

الحديث: ٦٥٤٠.

﴿ وَسَأَلُونَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(١) (٢).

وجاء في ذكر تفسير قصة موسى والخضر -عليهما السلام- أن اليهود لما سألوا النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف، قالوا: إن أخبركم فهو نبي، وإلا فلا^(٣). فكان السؤال يوجه إلى الرسول ﷺ، سواء كان هذا السؤال لغرض التثبت والتأكد، أو كان للاسترشاد والمعرفة، كقوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾^(٤)، وغيرها من الآيات البيّنات.

ولأهمية السؤال فقد عدّ بعض علماء الإسلام حسن المسألة نصف العلم^(٥)، كما عدّه بعضهم أنه من مفاتيح العلم والتعلم.

قال الإمام ابن القيم: إن أول مراتب العلم حسن السؤال، وإن من الناس من يحرم العلم لعدم حسن سؤاله^(٦).

وعند طرح السؤال يجب أن يكون السؤال ذات فائدة مرجوة، والابتعاد عن الأسئلة السيئة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِلَ لَكُمْ تَسْوَأُكُمْ ﴾^(٧).

(١) سورة الإسراء، آية: (٨٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة بني إسرائيل، ٥/٢٨٤، رقم الحديث رقم: ٣١٤٠، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي، ٣/٢٦٨، رقم: ٣١٤٠.

(٣) انظر: تفسير فتح القدير للشوكاني، ٣/٣٠٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٧.

(٥) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ١/٣٨٢.

(٦) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، ١/٤٨٢-٤٨٣.

(٧) سورة المائدة، آية: (١٠١).

وفي طرح السؤال وإعادته، توضيح للمسألة التي يراد التثبت منها وبيانها.
ذكر الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: أن أيوب السخيتاني^(١) إذا سأله السائل قال له: أعد، فإن أعاد السؤال كما سأله عنه أولاً، أجابه، وإلا لم يجبه، وهذا من فهمه وفطنته رحمته الله.
وفي ذلك فوائد عديدة:

منها: أن المسألة تزداد وضوحاً وبياناً بتفهم السؤال.
ومنها: أن السائل لعله أهمل فيها أمراً يتغير به الحكم، فإذا أعادها ربما يتبين له.
ومنها: أنه ربما بان له تعنت السائل، وأنه وضع المسألة؛ فإذا غير السؤال، وزاد فيه ونقص فرمما ظهر له أن المسألة لا حقيقة لها، وأنها من المغالطات، أو غير الواقعات التي لا يجب الجواب عنها^(٢).

ولحاجة الناس للسؤال فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم مغبة تجاهل السؤال لمن أراد تلقي المعرفة وطلب الحقيقة، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: أصاب رجلاً جرح في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم احتلم، فأمر بالاعتسال، فاغتسل فمات، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((فَتَلَوْهُ فَتَلَهُمُ اللَّهُ! أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءً الْعِيِّ السُّؤَالَ))^(٣).

وقال أمية بن أبي الصلت^(٤):

لا يذهبن بك التفريط منتظراً طول الأناة ولا يطمح بك العجل
فقد يزيد السؤال المرء تجربة ويستريح إلى الأخبار من يسأل^(٥)

(١) أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتاني البصري، أبو بكر، سيد فقهاء عصره من التابعين ومن النساك والزهاد ومن حفاظ الحديث، توفي بالبصرة سنة (١٣١هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٦)، والأعلام للزركلي، ٣٨/٢.
(٢) انظر: أعلام الموقعين، لابن القيم الجوزية، ٣/٤٤٦-٤٤٧.
(٣) رواه أبي داود في سننه، كتاب الطهارة، باب في المجدور يتيمم، ١/٣١٦-٣١٧، رقم الحديث: ٣٤١، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ١/١٠١، رقم: ٣٣٧.
(٤) أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، أبي الصلت: من شعراء الجاهلية وحكماءها، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يسلم، توفي بالطائف سنة (٥٥هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ٢/٢٣.
(٥) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ١/٣٧٧، لم أجد له ديوان.

إن في استخدام أسلوب السؤال للوصول للمسألة التي يراد التثبت والتحقق منها إشعار بالطمأنينة والارتياح، والثقة بالنفس عما كان يجول بالخاطر، ويشغل الذهن إذا تحقق الهدف المرجو، وإن لم يكن كذلك، فحسبه أنه بذل ما في وسعه، وله أن يعيد السؤال في مناسبة أخرى.

الوسيلة الثالثة: النظر في حال من جاء بالخبر.

إنه لما كان الوقوف على الأخبار والحوادث لا يتيسر في كثير من الحالات، وذلك بسبب بعد المكان، أو لسرية الأمر والتكتم عليه، وجب البحث عن وسيلة أخرى من وسائل التثبت، ويكون هذا بالطرق التالية:

الطريقة الأولى: النظر في حال من جاء بالخبر، ويكون هذا من خلال:

أ- عدالة من نقل الخبر، وذلك بسلامته من الفسق، قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١)

، والله ﷻ أمر بالتثبت من خبر المفسق، فلا يعمل به حتى يتثبت منه، فإن ثبت الخبر قبل، وإلا ردَّ على صاحبه ولم يقبل.

ب- التحقق من ضبط حفظ المخبر وإتقانه.

كان علماء المسلمين وعلماء الرواية لا يقبلون الرواية إلا ممن توفرت فيه شرط الحفظ وإتقانه، وكانوا يهتمون بهذه الشروط اهتمامًا بالغًا، ولا يكتفون بعدالة المخبر فقط، فكم من ناقل لخبر بلغ الغاية في التقوى والورع، ولكن آفته من قلة الحفظ وسوء الإتيان.

(١) سورة الحجرات، آية: (٦).

عن ابن أبي الزباد^(١) رحمته الله عن أبيه^(٢) قال: أدركت بالمدينة مائة، كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال: ليس من أهله^(٣).

ونقل عن الإمام مالك بن أنس رحمته الله، أنه قال: أدركت مشايخ بالمدينة أبناء سبعين وثمانين، لا يؤخذ عنهم^(٤)، وكلُّ هذا لأجل التثبت في أخبار، وسنة الرسول صلوات الله عليه.

والضبط المراد به هنا الدقة في النقل، فإن كثير من الأخبار والحوادث له ظروف وملايسات، وإذا لم يكن المخبر ضابطاً، فقد تلبس عليه الأمور.

ومن الشروط أيضاً الحفظ، حتى لا يختلط الخبر المنقول بكلام المخبر، فإن بعض الناس يخلط بين الخبر المنقول وبين رأيه وتحليله للحادثة أو الخبر، فيختلط الأمر على السامع، وقد يظن أن كل ما ينقل هو من الخبر.

وهناك فرق جوهري بين ذكر الخبر مجرداً، وبين الخبر التحليلي، ولا شك بأن الالتزام بالأسلوب العلمي في عرض الأخبار شرط من صحة النقل وإبراء الذمة^(٥).

(١) عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي، باللواء، المدني، أبو محمد، من حفاظ الحديث، كان نبيلاً في علمه، قال الإمام الذهبي: "كان من أوعية العلم"، توفي ببغداد سنة (١٧٤هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٦٧/٨، والأعلام للزركلي، ٣١٢/٣.

(٢) عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن القرشي المدني، ويلقب بأبي الزناد، محدث، من كبارهم كان فقيه أهل المدينة، قال العجلي: "تابعي ثقة"، وقال أبو حاتم الرازي: "ثقة فقيه صالح الحديث، صاحب سنة، وهو ممن تقوم به الحجة إذا روى عنه الثقات"، توفي بالمدينة سنة (١٣١هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٤٦/٥، والأعلام للزركلي، ٨٥/٤.

(٣) أوردته مسلم في صحيحه، المقدمة، في باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، ١٢/١.

(٤) انظر: الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص ٢٨٤.

(٥) انظر: نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، أحمد عبد الرحمن الصويان، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار النشر الدولي، ١٤١٢هـ، ص ٨٣.

الطريقة الثانية: التأكد من حسن فهم المخبر.

إن حسن الفهم موهبة يمنحها الله ﷻ لبعض الناس، وقد يكون الإنسان يحفظ كثير من النصوص والمتون، ولا يستطيع أن يستنبط مسألة واحدة مما يحفظ، والاستنباط يقوم على حسن الفهم، والفقهاء في الأمور، وخطورة الفهم السيئ تكمن في تحميل كلام المتكلم غير مراده وقصده.

ونقل الخبر في غير وجهه الصحيح، سببه سوء الفهم فمن الناس من يسمع الخبر، ثم ينقله على غير وجهه، ليس من باب الكذب والخيانة، ولكنه لم يستطع أن يفهم الكلام على وجهه الصحيح، فالله ﷻ لم يرزقه حسن الفهم والتيقظ، ولهذا تراه يُقَوِّل الناس ما لم يقولوا، ويُحْمَل كلامهم ما لا يحتمل^(١).

الطريقة الثالثة: اتصال سند المخبر.

إن ترك الإسناد في الرواية والنقل، هو سبب البلايا التي وقع فيها كثير من المسلمين، من هتك للأعراض، وإسالة للدماء، وإيذاء للعلماء والدعاة، وتفرق الأمة واختلافها، وذلك بسبب ترك التثبت في سند الخبر المنقول.

وكان سلف هذا الأمة الذين كانوا إذا حُدِّثوا بأمر قالوا: "سموا لنا رجالكم.. ويقولون: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد، لقال من شاء ما شاء"^(٢).

والشاهد لجماع هذه الوسيلة قوله ﷺ:

((نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالِي، فَوَعَاها وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))^(٣).

فقوله ﷺ: ((فَوَعَاها وَحَفِظَهَا)) فيه إشارة إلى الحفظ السليم والفهم المستقيم، وفي قوله: ((وَبَلَّغَهَا)) إشارة إلى أداء الكلام بنصه، وفي قوله: ((فَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))

(١) انظر: نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، أحمد عبد الرحمن الصويان، ص ٧٢.

(٢) صحيح مسلم في المقدمة، باب في أن الإسناد من الدين، (١٢/١).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ٢٧/٥، رقم الحديث: ٢٦٥٨،

وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٦٠/٣، رقم: ٢٦٥٦.

إشارة إلى أن الناس تتفاوت عندهم الأفهام، وأن من سمع الخبر قد يستنبط منه ما لم يستنبطه الراوي .

فلو التزم كل مسلم عند نقل الكلام بصحة سند المنقول، لبرئت ذمته، وتبين له صحة ما نقل إليه، وأنكشف له مكذوبها وسقيمها، وعرف الناس الصادق من الكاذب.

الوسيلة الرابعة: الحلف والقسم على الأمر المقصود ببيانه وتأكيده والتحقق منه .

وهذا الأسلوب يُظهر لنا أن المقسم عليه، كثيراً ما يكون من الأمور الخفية الغائبة، فيقسم عليها لإثباتها وتأكيدها.

ولقد جاء القسم في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وكان الغرض منها:

أ- تقوية الخبر بمؤكد وهو القسم، ليزيل التردد لمن كان متردداً ومعانداً .

كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلٌ أَمْ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢).

ب- تأكيد الخبر، لمن كان منكراً له.

كقوله ﴿عَلَيْكَ﴾: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى في سياق الكلام عن المنافقين:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(٤).

(١) سورة يونس، آية: (٥٣).

(٢) سورة التغابن، آية: (٧).

(٣) سورة الحجر، آية: (٩٢-٩٣).

(٤) سورة النساء، آية (٥٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أن هذا القسم ، قد يراد به تحقيق المقسم عليه، فيكون من باب الخبر، والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمر الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها^(١).

إلى غير ذلك من الأقسام القرآنية التي استخدمت لتوكيد الخبر وتقديره .

وأما في السنة النبوية: ففيها من الأحاديث التي أقسم فيها النبي صلى الله عليه وسلم، لتأكيد وإثبات ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، ولمن كان منكراً أو متردداً لخبره .

كقوله صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))^(٢).
ومن حلفه أيضاً، الجمع بين الحلف والتكرار، كقوله صلى الله عليه وسلم: ((وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ))^(٣).

ومنها أيضاً: ما كان من ضمام بن ثعلبة^(٤) رضي الله عنه، حيث استحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة مرات، فقال: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، أَللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ!، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ نَعَمْ))، قَالَ: أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، أَللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ نَعَمْ))، قَالَ: أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، أَللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ نَعَمْ))، قَالَ: أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، أَللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَانِنَا فَتَقْسِمَ عَلَيَّ فُقْرَائِنَا: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ نَعَمْ))^(٥).

قال الإمام ابن حجر في ذكره لفوائد الحديث: وفيه الاستحلاف على الأمر المحقق لزيادة تأكيده^(٦).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣١٥/١٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ١٤٣/١، رقم الحديث: ٢٤٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه، ٢٢٤٠/٥، رقم الحديث: ٥٦٧٠.

(٤) الصحابي: ضمام بن ثعلبة السعدي، وقيل: التميمي، كان قدومه على النبي صلى الله عليه وسلم سنة (٥٥هـ)، وقيل سنة (٥٩هـ)،

قال: ابن عباس فما سمعنا بوفد قط كان أفضل من ضمام، أنظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٥٧/٣-٥٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، ٣٥/١، رقم الحديث: ٦٣.

(٦) فتح الباري، لابن حجر، ١٥٣/١.

ومثل هذا أيضًا ، لما دخل العباس وعلي رضي الله عنهما على عمر ، ليقضي بينهما فقال عمر رضي الله عنه :
 اتقدا^(١) أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لَا
 نُورُثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةً)) ، قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس وعلي ، فقال : أنشدكما بالله الذي
 بإذنه تقوم السماء والأرض ، أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةً)) ، قالوا :
 نعم^(٢) .

والأمثلة في بيان هذا الأسلوب كثيرة، فيجدُر بالداعية عند الاستيضاح والتثبت من أمر
 ما، أن يستفيد من هذه الوسائل وذلك للوصول إلى تحقيق مرادِهِ .

الوسيلة الخامسة : تكرار الكلام حتى يفهم.

وما يتأكد عمله على الداعية استخدام الأسلوب المناسب في موضوع البحث، وذلك
 للتثبت والتأكد منه، واهتمامه به، ويكون ذلك بتكرار الكلام مرتين أو ثلاثاً، أو غير ذلك
 حسب الموضوع وأهميته.

وقد أورد الإمام البخاري في صحيحة، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ
 بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ " ^(٣) .

ونُقل عن الخطابي أنه قال: إعادة الكلام ثلاثاً، إما لأن من الحاضرين من يقصر فهمه عن
 وعيه فيكرره ليفهم، وإما أن يكون القول فيه بعض الإشكال فيتظاهر بالبيان ^(٤) .

وكثيراً ما ترد الأحاديث التي فيها التكرار ثلاث مرات أو نحوها، خاصة في المواضيع
 المهمة، وعندما يكون الأمر عظيمًا، كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، بعد أن قرر حرمة دم
 المسلم وماله وعرضه حيث قال: ((أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟)) ، فَسَكَّتْنَا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى
 اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟)) فَسَكَّتْنَا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ

(١) اتقدا: أي اصبرا وأمهلا، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، ٢٠٧/٦ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، ١٣٧٦/٣، رقم الحديث: ٤٩ .

(٣) رواه البخاري في صحيحة، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، ٤٨/١، رقم الحديث: ٩٥ .

(٤) انظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للإمام محمود بن أحمد العيني، ١١٥/٢ .

سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: ((أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا))^(١).

قال الإمام العيني^(٢): سؤاله ﷺ عن الثلاثة ، وسكوته بعد كل سؤال منها ، كان لاستحضار فهمهم ، وليقبلوا عليه بكليتهم ، وليعلموا عظمة ما يخبرهم به^(٣).

الوسيلة السادسة: السماع من المخبر أكثر من مرة وفي فترات متفاوتة.

وتقوم هذه الوسيلة على مناقشة والسماع ممن جاء بالخبر، أكثر من مرة، وعلى فترات متفاوتة، مع مقابلة ما قاله في المرة الأولى، بما قاله في المرة الثانية.

وتعتمد هذه الوسيلة على ما جاء في صحيح مسلم، أن عروة بن الزبير^(٤) قال: "قالت لي عائشة يا ابن أختي، بلغني أن عبد الله بن عمرو^(٥) مار بنا إلى الحج، فאלقه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علما كثيرا، قال: فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ، قال عروة: فكان فيما ذكر أن النبي ﷺ، قال: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، قول النبي ﷺ: ((رب مبلغ أوعى من سامع))، ٣٧/١، رقم الحديث: ٦٧.
(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي، أبو محمد، مؤرخ علامة، من كبار المحدثين، ولي الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، ثم انصرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف، من كتبه: عمدة القاري في شرح البخاري، والبنية في شرح الهداية في فقه الحنفية، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، يعرف الشواهد الكبرى وغيرها، توفي بالقاهرة سنة (٨٥٥هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، ١٦٣/٧.

(٣) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للعيني، ٣٩/١.

(٤) عروة بن الزبير بن العوام الاسدي القرشي، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالما بالدين، قال العجلي: عروة بن الزبير تابعي ثقة، رجل صالح، لم يدخل في شئ من الفتن، انتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر وأقام بها سبع سنين، ثم عاد إلى المدينة، وتوفي بها سنة (٩٣هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٣٣/٤، والأعلام، للزركلي، ٢٢٦/٤.

(٥) الصحابي: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلا عالما ، قرأ القرآن والكتب المتقدمة، استأذن النبي ﷺ في أن يكتب عنه، فأذن له، فقال: يا رسول الله، أكتب ما أسمع في الرضا والغضب؟ قال: "نعم، فإني لا أقول إلا حقا"، شهد مع أبيه فتح الشام، توفي سنة (٦٣هـ) وقيل: سنة (٦٥هـ) وقيل غير ذلك، انظر أسد الغابة، للذهبي، ٣٤٩/٣-٣٥١.

الْعُلَمَاءَ، فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ، وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُؤُوسًا جُهَّالًا، يُفْتُونُهُمْ بِعَيْرِ عِلْمٍ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ))، قال عروة: فلما حدثت عائشة بذلك، أعظمت ذلك، وأنكرته، قالت أحدثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا، قال عروة: حتى إذا كان قاتل، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فالفقه، ثم فاتحه، حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم، قال: فلقيته فسألته، فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى، قال عروة: فلما أخبرتها بذلك، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص" (١).

وبهذا يتبين حال بعض الناقلين للخبر، أن ما قاله صدق، أو كذب اختلقه من نفسه، وذلك عندما يعيد الخبر بنفس الصيغة بعد فترة من الزمن، فإذا أعاده بنفس صيغته الأولى، تبين أن ما قاله صدق، وإذا خالف ذلك، تبين أن ما قاله ليس بصدق. ويتضح من ذلك أيضاً، أنه متى كان المخبر أقواله متفككة، لا تناقض فيها، ملناً إلى تصديق الخبر الذي جاء به.

الوسيلة السابعة: مقارنة الخبر بسيرة من نسب إليه.

هذا الوسيلة في التثبت تقوم على أن الأصل براءة المسلم، حتى يرد ما يدل على أنه أخطأ، وهو إحسان الظن بالمسلمين، وهي طريقة تعتمد على القرائن. والأصل في عرض الخبر بسيرة من نسب إليه، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث يقول: "مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَتْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((وَجَبَتْ))، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَتْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ: ((وَجَبَتْ))، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: ((هَذَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ))" (٢).

وهذا الطريقة في التثبت اعتمدها أئمة السلف رضي الله عنهم وقرروها في كتبهم.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ٢٠٥٨/٤، رقم الحديث: ١٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، ٤٦٠/١، رقم الحديث: ١٣٠١.

قال الإمام السبكي^(١): فإذا كان الرجل ثقة، مشهودًا له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يحمل كلامه، وألفاظ كتاباته، على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح، وحسن الظن الواجب به وبأمثاله^(٢).

وذلك بحمل الخبر المنقول على سيرة من نسب إليه، ويُقاس على أحواله وأفعاله السابقة واللاحقة إن وجدت، فإن خالف ما اشتهر عنه، رد ذلك الخبر، أو على الأقل تقدير، حُمل ذلك الخبر على ما عرف لدى الناس من حاله.

ويكون تحقيق هذا المطلب بالاستماع إلى شهادة الشهود إن وجدوا، أو مراجعة كتب ومؤلفات من نسب إليه الخبر، فإذا دلت على صدقه وصلاحه ومخالفته لما نسب إليه، وكان الخبر المنسوب إما يدل على فساده، أو نسبة أمور إليه لم تثبت من خلال القرائن من سيرته، فيرد مثل هذا الخبر ولا يقبل حيث يثبت بطرق أخرى، وإن جاء الخبر متفصلاً مع سيرة من نسب إليه فإننا نقله إلى أن تثبت البراءة بالوسائل الأخرى.

الوسيلة الثامنة: المواجهة بين الأطراف المعنية.

وهذه الوسيلة إذا تناقل اثنان الأخبار، أو الأقوال في بعضهم البعض، أو اختلق أحدهم كلامًا على الآخر، فالمواجهة بينهم، تكشف الكاذب منهم والصادق، فإما أن يعترف أحدهما بأنه أخطأ، أو يصمّران على أقوالهم، فيترك كلامهم، لأنه على سبيل العداوة والبغضاء في بعضهم، فلا ينظر إليه.

ويؤكد صاحب كتاب هذه أخلاقنا، قائلاً:

وأكد أجزم أن أهم أصول التثبت فيما ينقل من أخبار: السماع من الطرفين، فقد أخرج أبو داود أن النبي ﷺ أرسل علياً عليه السلام إلى اليمن قاضياً، فدعا له وأوصاه: ((إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي

(١) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر، قاضي القضاة، ومؤرخ، كان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه القضاء في الشام وعزل، قال ابن كثير: جرى عليه من الخن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله، من تصانيفه: طبقات الشافعية الكبرى، وجمع الجوامع، ومنع الموانع، توفي بالشام سنة (٧٧١هـ)، انظر: المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي ٧٦/١، والأعلام للزركلي، ١٨٤/٤.

(٢) انظر: قاعدة في الجرح والتعديل، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، القاهرة:

قَلْبِكَ، وَيُتَبِّتُ لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخُصْمَانِ، فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ، كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ»^(١)، ثم قال علي بعد ذلك ﷺ: "ما شككت في قضاء بعد، فكان الصواب حليفي بالتثبت"^(٢).

الوسيلة التاسعة: الرجوع إلى شهادة الشهود.

إذا بلغنا خبر ما، فإن من طرق التثبت، الرجوع إلى شهود العيان للحادثة، أو الذين سمعوا الخبر من مصدره، وإذا ازداد عدد الشهود، وتوفرت شروط العدالة فيهم، كانت هذه الوسيلة سهلة للتثبت من الخبر أو الحادثة التي شاهدها.

وتعتمد هذه الوسيلة بقول الله تعالى:

﴿لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ﴾^(٤).

ولذا كان من طرق التثبت في الحكم لدى القاضي، إحضار المدعي للبينة، ومنها الشهود للدلالة على صدق دعواه.

ومن هذا يعلم؛ أنه متى قام الشهود العدول على تصديق خبر ما، أو حادثة، فإنه يجب على المسلم قبولها، لأنها وسيلة من سائل التثبت.

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب كيف القضاء، ٢١١/٤، رقم الحديث: ٣٥٧٧، حسنه الألباني، انظر:

صحيح سنن أبي داود، ٣٩٣/٢، رقم: ٣٥٨٢.

(٢) انظر: هذه أخلاقنا، محمد بن محمد الخزاندر، الطبعة الثانية، الرياض: دار طيبة، ١٤١٦هـ، ص ٢٤٣.

(٣) سورة النور، آية: (١٣).

(٤) سورة النور، آية: (٤).

الوسيلة العاشرة: عرض الأخبار على السنن الإلهية في الحياة.

إن هناك سنن إلهية في الحياة الدنيوية، أصبحت مألوفة وثابتة لكل أحد، فلو جاء الخبر على ما يحتوي على ما يناقض هذه السنن الإلهية، لجزمنا بكذبه وبطلانه، وبالتالي يمكن الاستفادة من هذه الوسيلة، في تنقيح الأخبار، والوقوف على صدقها.

والبشر بطبيعتهم العجولة، ما أكثر ما يسارعون إلى الاستماع إلى غرائب الأمور وعجائبها، وتنجذب إليها النفوس، وما تلبث أن تصدقها، وقد تنطلي عليهم خدع لا حقيقة لها، ولذلك تنبه بعض الناس لأثر الأخبار الغريبة وسرعة انجذابهم إليها، فاتخذ من هذه الطريقة سبيلاً للدعاية لشيء معين، كهيئة، أو مرفق، أو جماعة أو سلعة، أو غيرها.

وكثيراً ما يُنقل إلى مسامعنا، أن هناك هيئة طبية في مكان ما، تدعي أنها تستطيع أن تعيد الشيخ الكبير إلى مرحلة الشباب والفتوة والقوة، فإن كثيراً من السذج تنطلي عليهم مثل هذه الأخبار، ويسارعون إلى تصديقها.

وعند عرض مثل هذه الأخبار على السنة الإلهية في خلق البشر، يتبين لنا كذب الخبر وكذب الدعاية الطبية .

قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شِيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

ومثلها أيضاً ، إدعاء بعض الهيئات الطبية من أن عندها القدرة على إطالة عمر الإنسان، فمثل هذا الخبر إذا عرض على قول الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوَجَّلاً﴾^(٢)، تبين للمسلم كذب إدعاء الهيئة

الطبية ، والتي ادّعت بامتلاكها القدرة على إطالة عمر الإنسان.

(١) سورة غافر، آية: (٦٧).

(٢) سورة آل عمران، آية: (١٤٥).

الوسيلة الحادية عشرة: التوقف عن الأمر ، حتى يستبين ويظهر.

هذه الطريقة هي آخر وسائل التثبت، فإذا عجز المسلم عن التثبت من الأمر بكل الطرق السابقة، فمن التثبت أن لا يحكم بصدق الخبر، ولا كذبه، وإنما الصواب أن يتوقف فيه، طالما أن الأمور لم تتضح له، لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

وهذا ما كان عليه منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، أنهم كانوا يتوقفون عن الخوض في الأمر حتى يستبين لهم ويظهر.

فحينما جاءت الجدة إلى الصديق تسأله عن ميراثها، لم يجد الصديق لها شيئاً في الكتاب والسنة ، فتوقف عن الخوض في الأمر بالنفي أو الإثبات، حتى جاءه المغيرة بن شعبة يخبره بأن ﷺ أعطها السدس.

وهذا ما ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب^(٢) رحمته الله، في جوابه لمن وقع منه الخلط في فهم المسائل والأمور: ومتى لم يتبين لكم المسألة ، لم يحل لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتى يتبين لكم خطؤه، بل الواجب السكوت والتوقف^(٣).

وقد قرر السلف ﷺ قاعدة في التثبت والتبين، حيث قال الإمام حسن البصري: المؤمن وقاف متبين^(٤).

(١) سورة الإسراء، آية: (٣٦).

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، مجدد الدعوة في جزيرة العرب، ولد ونشأ في العيينة بنجد، رحل إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها، ثم انتقل إلى بلدته ناهجا منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبد البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، وبعد أن خذله أمير بلدته، تلقاه أمير الدرعية محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته، له مصنفات كثيرة، منها: كتاب التوحيد، ورسالة كشف الشبهات، وأصول الإيمان، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله، ومعرفة العبد ربه ودينه ونبيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب الكبائر، توفي بالعيينة، سنة (١١٠٦هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، ٦/٢٥٧، بتصرف.

(٣) انظر: الدرر السننية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤٢٥هـ، بدون ذكر جهة الطبع ومكانه، ١٠/٥٧.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد عبد الحليم ابن تيمية، ١٠/٣٨٢.

المطلب الثالث: وسائل غير مشروعة للتثبت.

والمقصود منها الوسائل التي جاء الشرع الكريم باجتنابها والتحذير منها، ومن تلك الوسائل:

وسيلة التجسس على الأمر المراد التثبت عنه.

لقد حذرت الشريعة الإسلامية من التجسس على الغير، فقال تعالى:

﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(١)، كما نهت السنة النبوية

إلى ذلك، قال ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا

تَجَسَّسُوا))^(٢)، لما يفضيه من تتبع عورات الناس، وكشف مستورهم، وفضح أسرارهم، وما قد

يفضيه من فتن وعدم استقرار المجتمع المسلم الآمن.

والسلف -رضوان الله عليهم- كانوا يتورعون عن التجسس، ويمتنعون عن تتبع العورات، وتفحص ما خفي، وذلك لدقة فهمهم وفقههم وسلامة علمهم ورجاحة عقلهم، وأن ذلك يفضي إلى آثار سيئة.

ورد أنه أتي عبد الله ابن مسعود، فقيل: هذا فلان تقطرُ لحيته خمراً، فقال ﷺ: إنا قد

هُيْنَا عن التَّجَسُّسِ، ولكن إن يظهر لنا شيءٌ نَأْخُذُ بِهِ^(٣).

(١) سورة الحجرات، آية (١٢).

(٢) سبق تخرجه ص ١٠٧.

(٣) رواه أبي داود في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس، ٣٠٩/٥، رقم الحديث: ٤٨٥٤، وصححه

الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ١٩٩/٣، رقم: ٤٩٨٠.

المبحث الثاني

ضوابط التثبيت

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعريف الضابط في اللغة والاصطلاح، والمقصود بضوابط التثبيت.

المطلب الثاني: الإخلاص وحسن القصد عند التثبيت والتبيين.

المطلب الثالث: إحسان الظن بالمؤمنين واجتناب سوء الظن بهم.

المطلب الرابع: تحري العدل والإنصاف عند التثبيت والتبيين.

المطلب الخامس: حسن الإنصات والاستماع.

المطلب السادس: التزود بالعلم والمعرفة.

المطلب السابع: إظهار الدليل الموصل إلى الشاهد على الأمر.

المطلب الثامن: مراعاة المصالح والمفاسد عند التثبيت والتبيين وعند اتخاذ

القرار.

المطلب الأول: تعريف الضابط في اللغة والاصطلاح، والمقصود بضوابط

التثبت.

أ- تعريف الضابط في اللغة:

ضبط: الضاد والباء والطاء أصل صحيح، ضبط الشيء ضبطاً، والأضبط الذي يعمل بيديه جميعاً.

والضبط: لزوم الشيء لا يفارقه في كل شيء، ورجل ضابط: شديد البطش والقوة والجسم.

وقيل: الضَّبُّ لزوم الشيء وحبسه، ضبط عليه، وضبطه يضبطه ضبطاً وضباطةً، وضبط الشيء: حفظه بالحزم، والرجل ضابط: أي حازم، والضابط القوي على عمله، ورجل ضابط: قوي على عمله.

ويقال: ضبطه ضبطاً: حفظه بالحزم حفظاً بليغاً، وأحكمه وأتقنه، ضبط البلاد وغيرها: قام بأمرها قياماً ليس فيه نقص، والكتاب ونحوه أصلح خلله أو صححه، وشكَّله^(١).

وبعد التأمل في المعنى اللغوي لكلمة ضبط، تبين أنه له ثلاثة معاني:

١- ملازمة الشيء وعدم مفارقتة.

٢- حفظ الشيء بالحزم، ومنه ضبط البلاد.

٣- القوة في أداء العمل مع الإتقان، ومنه ضبط الكتاب بإصلاح خلله.

ب- الضابط في الاصطلاح:

الضابط في الإصطلاح له معانٍ مختلفة باختلاف العلوم التي يوجد فيها.

فله معنى عند المحدثين، وعند الفقهاء.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣/٣٨٦، وتهذيب اللغة، للأزهري، ١١/٣٨٨، ولسان العرب، لابن

منظور، ٧/٣٤٠، والمعجم الوسيط، ١/٥٣٣، مادة: ضبط.

١- تعريف الضابط عند المحدثين.

الضابط بأنه الرواي الذي حفظ ما رواه .

ولذلك اشترطوا في الحديث الصحيح، كون الرواي ضابطاً، وذلك عند تعريفهم للحديث الصحيح، حيث قالوا: "الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذاً ولا معلاً" (١).

٢- تعريف الضابط عن الفقهاء.

وأما في الاصطلاح، فلضابط عند الفقهاء إطلاقاتٌ عدة ، منها:

أ- أن الضابط الفقهي هو القاعدة الفقهية، ولا فرق بينهما، ولهذا جاء في المعجم الوسيط، الضابط عند العلماء: حكم كلي ينطبق على جزئياته (٢).

ب- يطلق الضابط ويراد به تعريف الشيء، كضابط العصبية: كل ذكر ليس بينه وبين الميت أنثى (٣).

ج- يطلق الضابط ويراد به المقياس، الذي يكون علامة على تحقق معنى من المعاني، كقولهم: ضابط المشقة المؤثرة في التخفيف هو كذا.. (٤).

ومن الفقهاء من فرق بين الضابط والقاعدة:

فالقاعدة: هي أمرٌ كلي، يحيط بالفروع والمسائل، في أبواب فقهية مختلفة، مثل قاعدة (اليقين لا يزول بالشك) ، فهي قاعدة عامة تلتزم فيها أحكام متعددة، من أبواب مختلفة كباب الطهارة، والصلاة، والزكاة، والنكاح ، وغيرها.

(١) الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، الطبعة الأولى، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة، ١٣٥٣هـ، ص ٣.

(٢) المعجم الوسيط، ١/٥٣١.

(٣) انظر: القواعد الفقهية للدكتور، د/يعقوب الباسين، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ، ص ٦٣.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٦٣.

والضابط: أمر كلي يجمع الفروع والمسائل من باب واحد من الفقه، مثل: قاعدة (الأصل في الأشياء الطهارة) فلا يلتزم فيه إلا أحكام باب واحد^(١).

وهذا ما ذكره الإمام السيوطي: لأن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمع فروع باب واحد^(٢).

ج- المقصود بضوابط التثبت: القواعد والآداب التي يلزم معرفتها وإتقانها للداعية، ليتحلى بها عند التثبت في أمر من الأمور.

(١) انظر: المدخل للفقه الإسلامي، د/عبد الله الدرمان، الطبعة الأولى، دار التوبة، الرياض، ١٤٢٣هـ، ص ٢٢٤.
(٢) انظر: الأشباه والنظائر في النحو عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر السيوطي، راجعه د. فايز ترحيني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ٢٥/١.

المطلب الثاني: الإخلاص وحسن القصد عند التثبيت والتبين.

إن الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بل إخلاص الدين لله، هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه^(٢).

والمقصود بالإخلاص: "هو تصفية العمل من كل شائبة تشوبه"^(٣).

قال الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله: أي لا تمازج العمل شائبة من شوائب إرادة النفس، من طلب التزئ في قلوب الخلق، أو طلب المدح والتعظيم منهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجهم، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي يجمعها إرادة ما سوى الله في العمل^(٤).

فلا بد للداعية من توفر حُسن النية، وسلامة القصد، وأن يستشعر الإخلاص في دعوته، وفي موضوع الذي يريد أن يتثبت منه، وأن عمله هذا، امتثال لأمر الله وإرادته سبحانه، وحراسة للشريعة والذب عنها، وإيضاح الحق للناس، و ألا يخوض في الأمر ما لم يكن متأكدًا من أن نيته خالصة لله وعجل، وأن يدفع عن نفسه حب الظهور، والإعجاب بالنفس، وطلب المدح، والتعظيم من الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن من تكلم بحق، لقصد العلو في الأرض أو الفساد، كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء، وإن تكلم لأجل الله تعالى، مخلصًا له الدين، كان من المجاهدين في سبيل الله، من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل^(٥).

(١) سورة البينة آية: (٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٤٩/١٠.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، ٩٣/٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٩٢/٢.

(٥) انظر: الفتاوى لابن تيمية ٢٣٥/٢٨، بتصرف.

يقول الشيخ صالح بن حميد - حفظه الله -: وهذا الأدب قد يكون في النظر سهل الاعتبار والمأخذ، ولكنه عند التطبيق والتدقيق عزيز المنال، صعب المدرك، فكم من الناس يظهر أنه يدعو إلى الحق وهو يدعو إلى نفسه، ويريد العلو والانتصار لشخصه، أو لشيخه، أو غير ذلك" (١).

ويعتبر هذا الضابط والأدب - الإخلاص وحسن القصد - ذو أهمية ومنزلة عالية، حيث أنه أحد الشروط قبول العمل، كما جاء ذكره في القرآن الكريم .

قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۖ ﴾ (٢).

وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون صوابًا خالصًا، فالصواب: أن يكون على السنة، وهذا ما أشار عليه بقوله: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ والخالص: أن يخلص من الشرك الجلي والخفي، وهذا ما أشار عليه بقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

وعليه؛ فكل عمل لا بد له من نية، وإنما أجره وجزاءه على حسب تلك النية، كما قال ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَىٰ)) (٣).

وهذا الحديث تذكير للركن الأساسي للعمل وهو الإخلاص، فعلى المسلم أن يكون أشد تذكيرًا، واستحضارًا لهذا الحديث.

وفي النصوص الواردة، حثُّ على الإخلاص، وإرشاد للناس إلى ما كان عليه حياة الأنبياء والرسول، ومن دعوتهم لأقوامهم، وإبداء النصح لهم، ووعظهم، وتبليغ دين الله إليهم ،

(١) أدب الخلاف، صالح ابن حميد، ص ٥٠.

(٢) سورة الكهف، آية: (١١٠).

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ٣/١، رقم الحديث: ١، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))، ٣/١٥١٤، رقم الحديث: ١٥٥.

بكل صدق وأمانة، ومن ذلك قول نوح عليه السلام لقومه:

﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١).

ومثله قال هود عليه السلام: ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢).

قال الإمام ابن كثير رحمته الله: وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل، البلاغ والنصح والأمانة^(٣).

فظهر من دعوة رسل الله لأقوامهم، النصح والإخلاص وحسن القصد، بل أنهم كان يجهدون في النصح والبلاغ لأتباعهم .

قال ابن عاشور^(٤) رحمته الله: والنصح والنصيحة كلمة جامعة، يعبر بها عن حسن النية وإرادة الخير، من قول أو عمل، وتعديه إلى المفعول بلام زائدة ، للدلالة على أن الناصح أراد من نصحه ذات المنصوح، ففي ذلك مبالغة ودلالة على إحاض النصيحة، وأنها وقعت خالصة للمنصوح^(٥).

وفي فتح القدير: والناصرح ، الخالص من الغلّ، وكل شيء خالص فقد نصح^(٦).

(١) سورة الأعراف، الآيات: (٦١ - ٦٢).

(٢) سورة الأعراف، الآيات: (٦٧ - ٦٨).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣٠٩/٢.

(٤) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عاشور، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، ومن قضائها ومفتيها، من مصنفاته:

شفاء القلب الجريح، في شرح البردة، وهدية الأريب حاشية على القطر لابن هشام، توفي بتونس سنة (١٢٨٤هـ)،

انظر: الأعلام، للزركلي، ١٧٣/٦.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ١٤٩/٨.

(٦) انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ٢٢٥/٢.

وإذا كان الرسل عليهم السلام، قد نصحوا وأخلصوا، فإن من تمام الإخلاص، طلب الأجر من الله ﷻ، وعدم سؤال أحد من الناس مالا ولا أجرا على الدعوة والنصح والإيمان، وهذا ما نطق به الرسل، منذ أن بعثهم الله وأرسلهم إلى أقوامهم، فقد قال نوح ﷺ ما حكاه الله عنه في قوله: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِن آجِرِي إِلَّا عَلَىٰ﴾^(١)، وقالها هود ﷺ: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن آجِرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ففي إعلانهم لهذا الأمر، دليل على إخلاصهم، وقطع الطريق على كل من شك وأعرض عن دعوتهم.

قال الإمام ابن كثير ﷺ في بيان معنى قوله تعالى:

﴿فَمَا سَأَلْتَهُمْ مِن آجْرٍ إِن آجِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٣) أي: لا أريد منكم جعلا ولا عطاء على أداء رسالة الله إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله، ﴿إِن آجِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾، أي: إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله^(٤).

قال الإمام الزمخشري ﷺ: ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول، لأن شأنهم النصيحة، والنصيحة لا يحضها ولا يحضها إلا حسم المطامع، وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع^(٥).

ومن الأدلة في ذلك قول شعيب ﷺ لقومه:

﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٦)، والمعنى:

(١) سورة هود، آية: (٢٩).

(٢) سورة هود، آية: (٥١).

(٣) سورة يونس آية: (٧٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢٥٦/٦.

(٥) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للإمام الزمخشري، ٤٠٢/٢.

(٦) سورة هود، آية: (٨٨).

أي: ليس لي من المقاصد، إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي، شيء بحسب استطاعتي^(١).

فقد بين عليه السلام حسن مقصده، وأن غاية ما يريد به ويسعى إليه، هو القيام بالإصلاح، ودفع عن نفسه أي مقصد آخر، وهذا فيه تحقيق الإخلاص.

ومن الشواهد على الإخلاص، وأهميته، ما علق به سيد قطب رحمته الله، على قصة الملاء من

بني إسرائيل، وقولهم لنبيهم: ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢)، حيث قال:

وهذا الوضوح وهذا الحسم هو نصف الطريق إلى النصر، فلا بد للمؤمن أن يتضح في حسه أنه على الحق، وأن عدوه على الباطل؛ ولا بد أن يتجرد في حسه الهدف في سبيل الله، فلا يغشيه الغش الذي لا يدري معه إلى أين يسير، وقد أراد نبيهم أن يستوثق من صدق عزيمتهم، وثبات نيتهم، وتصميمهم على النهوض بالعبء الثقيلة، وجدّهم فيما يعرضون عليه من الأمر...^(٣).

فإذا كان أمر الإخلاص بهذه الأهمية التي ظهرت واتضح، فإنه لا بأس للمسلم والداعية أن يتأكد، ويتثبت من نية وسلامة قصد من جاء إليه، يسأله عن مسألة ما.

ومثال ذلك ما ذكره الإمام قيس بن كثير رحمته الله قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء رضي الله عنه^(٤) وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال ما جئت

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٢/٣٨٤.

(٢) سورة البقرة، آية: (٢٤٦).

(٣) انظر: تفسير في ظلال القرآن للسيد قطب، ١/٢٦٦.

(٤) قيس بن كثير الشامي، والصواب: أنه كثير بن قيس الشامي، وعده ابن حبان في الثقات، روى له ابن داود والترمذي وابن ماجه، انظر: تهذيب الكمال، للمزي، ٢٤/١٤٩.

(٥) الصحابي: عويم بن عامر بن مالك الخزرجي الأنصاري، وقيل: اسمه عامر بن مالك بن قيس بن أمية، وعويم لقبه، أبي الدرداء كان آخر أهل داره إسلامًا، وحسن إسلامه، وكان فقيها عاقلا حكيما، قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ((عويم حكيم أمي))، شهد مابعد أحد من المشاهد، توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٤/٣١٨-٣١٩.

إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)) (١).

وأيضًا حديث أبي سعيد الخدري (٢) ﷺ، حيث قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: الله! ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمه لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ((مَا أَجَلَسَكُم؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذُكِّرُ اللَّهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: ((اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُم إِلَّا ذَاكَ!)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيلُ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ)) (٣).

ولعل في هذه الأمثلة والشواهد المذكورة آنفًا، دلالة على أهمية الإخلاص، و أنه على الداعية أن يتأكد ويتثبت من نية وسلامة قصد محاوره، كما فعل أبي الدرداء ومعاوية ﷺ، اقتداء برسول الله ﷺ.

وكذلك فيها إشارة إلى أهمية هذا الضابط، وبيان له، وأنه على الداعية؛ دفع واجتناب كل ما من شأنه أن يחדش في إخلاصه، ويقدم في سلامة قصده، لأنه قد يربط عمله، وتضيع ثمره جهده.

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء فضل الفقه على العبادة، ٤٧/٥، رقم الحديث: ٢٦٨٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني، ٧١/٣.

(٢) الصحابي: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الخزرجي، أبو سعيد الأنصاري الخدري، من مشهوري الصحابة وفضلائهم، أشتهر بكنيته، كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين له، أول مشاهده غزوة خندق، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنا عشرة غزوة، توفي سنة (٧٤هـ)، أنظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٣٦٥/٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء التوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٢٠٧٥/٤، رقم الحديث: ٤٠.

المطلب الثالث: إحصان الظن بالمؤمنين واجتناب سوء الظن بهم.

إن الدين الإسلامي الحنيف يدعو إلى حسن الظن بالناس، والابتعاد كل البعد عن سوء الظن بهم؛ لأن سرائر الناس ودواخلهم لا يعلمها إلا الله تعالى وحده .

إنَّ إحصان الظن بالأخر؛ يؤدي إلى تدعيم وتقوية روابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع، فلا تحمل الصدور غلاً ولا حقداً، وذلك امتثالاً لقوله ﷺ، حيث قال:

((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا^(١)، وَلَا تَحَسَّسُوا^(٢)، وَلَا تَحَاسَدُوا^(٣)، وَلَا تَدَابَّرُوا^(٤)، وَلَا تَبَاغَضُوا^(٥)، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))^(٦).

إن الظن السوء بالغير فيه تأجيج لمشاعر الكراهية والحقد، وقطع لعلاقة أواصر الأخوة والقربة في البيت والمجتمع الواحد، وهدم لروابطهم الاجتماعية.

إن النفس البشرية إذا تعودت بسوء الظن، دفعها ذلك إلى الخوض في ميدان تتبع العورات، والتجسس والتحاسد، وإسقاط الهفوات، والتهمة والاستعجال في قول الباطل، ذلك لأن إشاعة سوء الظن في المجتمع سبيل إلى أن يتراشق الناس فيما بينهم التهم، ثم يسحبون الثقة من بعضهم البعض، مما يؤدي بهم إلى التباغض، والتدابير، ومقاطعة بعضهم بعضاً^(٧).

(١) التجسس: الخبر تطلب معرفته، ويقال تجسس من القوم تتبع أخبارهم، انظر: المعجم الوسيط، ١/٧٢.

(٢) التجسس: التجسس بالجيم، البحث عن العورات، وقيل التفتيش عن بواطن الأمور، وقيل طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال، انظر: لسان العرب، ٦/٣٨.

(٣) الحسد: تمنى الشخص زوال النعمة عن مستحق لها، انظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١٠/٤٩٧.

(٤) التدابر: المصارمة والمجران، مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره، إذا عرض عنه حين يراه، انظر: لسان العرب، ٤/٢٦٨.

(٥) ولا تباغضوا، أي: لا تتعاطوا أسباب البغض لأن البغض لا يكتسب ابتداءً، والمراد منه: النهي عن الأهواء المضلة المقتضية للتباغض، انظر: فتح الباري، ١٠/٤٩٨.

(٦) سبق تخرجه ص ١٠٧.

(٧) انظر: خطبة لعيد الفطر بتاريخ ١/١٠/١٤٢٢ هـ موقع المنبر الإلكتروني، بتصرف.

ولهذا أمرنا الله ﷻ على الأمر بصون عرض المسلم، والنهي عن الخوض فيه بالظن، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُ بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٢).

قال القاضي الماوردي^(٣) رحمه الله، في بيان المراد بالنهي عن سوء الظن: هو عدم الثقة بمن هو لها أهل^(٤).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: سوء الظن، هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس، حتى يطفح على اللسان والجوارح^(٥).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: سوء الظن، هو التهمة والتخون للأهل، والأقارب والناس في غير محله^(٦).

وقال الإمام الخطابي: "هو تحقيق الظن، وتصديقه دون ما يهجس في النفس"^(٧).

وقال الإمام النووي: ومراد الخطابي، أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب، ولا يستقر فإن هذا لا يكلف به^(٨).

(١) سورة الحجرات، آية: (١٢).

(٢) سورة النجم، آية: (٢٨).

(٣) علي بن محمد حبيب الماوردي، أبو الحسن، أفضى قضاء عصره، نسبته إلى بيع ماء الورد، من العلماء الباحثين، ولد بالبصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، من كتبه: أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، وأعلام النبوة ومعرفة الفضائل، والأمثال والحكم، وموسوعته الفقهية الحاوي الكبير، ومختصر الإقناع في الفقه، وغير ذلك، وفاته ببغداد سنة (٤٥٠هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٦٤/١٨، والأعلام للزركلي، ٣٢٧/٤.

(٤) أدب الدنيا والدين علي بن محمد الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار الفكر، ١٣٧٥هـ، (١٨٦).

(٥) الروح، لابن القيم الجوزية، ٢٣٨/١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢٧١/٤.

(٧) انظر: المنهاج على شرح على صحيح مسلم، للنووي، ٣٣٥/١٦.

(٨) انظر: المرجع السابق، ٣٣٥/١٦.

ولاشك أنّ في إحسان الظن بالآخرين، راحة لقلب المسلم والداعية في هذه الحياة، لأنه بما يسلم من أذى الخواطر المقلقة التي تؤذي النفس، وتكدر باله، وتتعب جسده.

قال تعالى:

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴿١١٣﴾
إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴿١﴾.

فإن المسلم بناء على ذلك مأمور بأن يحسن الظن بإخوانه، وأن يحمل ما يصدر عنهم من قول أو فعل على محمل حسن ما لم يتحول الظن إلى يقين جازم، فالله ﷻ أمرنا بالتثبت فيما يصدر من الغير نحونا، ونحو إخواننا، قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٢﴾

ولو لم يكن الظن على درجة عظيمة من الخطورة والأهمية في إضعاف روح الموالاة بين المؤمنين، لما جاء تأكيد ذلك في السنة النبوية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)) (٣).

قال الإمام الخطابي: معناه لا يزال الرجل يعيب الناس، ويذكر مساوئهم، ويقول: فسد الناس وهلكوا، ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك، فهو أهلكتهم، أي أسوأ حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبتهم، والوقية فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه، ورؤيته أنه خير منهم (٤).

(١) سورة الأنعام، الآيات: (١١٦-١١٧).

(٢) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي من قول هلك الناس، ٤/٢٠٢٤، رقم الحديث:

١٣٩.

(٤) المنهاج على شرح صحيح مسلم، للنووي، ١٦/٣٩١.

ثم إن الدعوة إلى دين الله ﷻ في ضوء الكتاب والسنة، تدعوا المسلم إلى حسن الظن بأخيه المسلم، امتثالاً لقول الله تعالى:

﴿يَتَأَيُّهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبَنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِتَّمُّونَ﴾^(١).

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: نهى الله ﷻ عن كثير من الظن السيئ بالمؤمنين، حيث قال: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتَّمُّونَ﴾، وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء الذي يقترب به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول مالا ينبغي، ويفعل مالا ينبغي، وفي ذلك أيضاً إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلافها منه^(٢).

وذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره:

والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمانة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهده منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخباثت^(٣).

فالظن السيء يبدأ بخاطرة تلج في النفس، ثم ما يلبث صاحبها يبني عليها أحكاماً وتصورات، فتتغير معاشرته لمن ظن به ظن السوء.

ويبدأ يستثقله ويعرض عنه، ويتطور به الأمر إلى أن يسعى لإثبات ذلك الظن السيء على أخيه المسلم عن طريق التجسس عليه، وهو يتمنى في نفسه لو تحقق ذلك الظن السيء بأخيه المسلم، لا لشيء، وإنما يشبع رغبات النفس، ووسوسة الشيطان.

(١) سورة الحجرات، آية: (١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٧٣/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٣١٦-٣١٥/١٦.

فالواجب على المسلم، أن يحسن الظن بإخوانه المسلمين، حتى في حال نقل الأخبار السيئة إليه عنهم، ولا يتسرع في إساءة الظن بهم، طالما أنه لم يتثبت ويتبين من تلك الأخبار، قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُو ظَنَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾^(١).

ففي هذه الآية ملمح وفائدة لطيفة، في قوله تعالى: ﴿بَأَنفُسِهِمْ﴾، وكأن الإنسان إذا ظن بأخيه المسلم السوء إنما ظن بنفسه ذلك السوء، لأن الرسول ﷺ أخبر عن المؤمنين بقوله: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ، بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى))^(٢).

ومن لوازم حسن الظن بالمسلمين، أن نلتمس لهم الأعذار، لأنه من طبيعة البشر الخطأ، والأصل في المسلم براءة الذمة، وحسن الظن، وإذا ظهر منه قول أو فعل تكرهه، فينبغي حمله على أحسن المحامل، والتماس العذر له، كما قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه "ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً"^(٣).

وإن من المناهج العظيمة التي يلزم المسلم أن يتحلى بها فقه المقاصد والنيات، الذي فات إدراكه على بعض الناس، ويكون ذلك عند حكمهم على أخطاء الآخرين، دون اعتبار حال الشخص، ونيته ومقصده، فرمما يحصل منه زلة لسان، ولا يقصد المعنى السيئ .

وهذا الذي أشار إليه الإمام ابن القيم رحمته الله:

والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما، أعظم الباطل، ويريد به الآخر: محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه وينظر عنه^(٤).

(١) سورة النور، آية: (١٢).

(٢) سبق تخريجه ص ٧٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ٢٠٥/٤.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ٥٢١/٣.

قال أبو قلابة عبد الله بن زيد رضي الله عنه: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس له العذر، فإن لم تجد له عذراً، فقل في نفسك، لعل لأخي عذراً لا أعلمه ^(١).

إن منهج السلف الصالح الذي رسمه العلماء للأمة، والذي يجب أن يتربى عليه المسلم هو حمل العبارات المحتملة على الوجه الحسن، و بصدر سليم، مع سخاء في النفس، ورغبة في نصح الأمة، وبعيداً عن تأويل الألفاظ، وتتبع العثرات، وإساءة الظن بالمسلمين.

نقل الحافظ السيوطي ^(٢) في رسالته: فقد يوحش اللفظ وكله ود، ويكره الشيء وليس من فعله بد... ولذوي الألباب أن ينظروا في القول إلى قائله، فإن كان ولياً، فهو الولاء وإن خشن، وإن كان عدواً فهو البلاء وإن حَسُن ^(٣).

ويستخلص مما تقدم؛ أن حُسن الظن بالمسلمين، واجتناب سوء الظن بهم، واجب على المسلم الالتزام به، والتماس المعاذير لهم، والتنشئة على الالتزام بأداب الإسلام في الحكم على الأشخاص، وذلك من خلال الاعتماد على الظاهر، وترك السرائر إلى الله عز وجل الذي يعلم السر وأخفى، لما فيه من سلامة النفس من الوقوع في الظن، والتجسس المنهي عنهما، وسلامة المجتمع؛ لكي لا تتهم الأبرياء، وتنال أعراضهم وتقع فيها دون تثبت ولا تأني.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ٢/٢٨٥.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، له مؤلفات كثيرة منها: الإتقان في علوم القرآن، الأشباه والنظائر في العربية، الألفية في مصطلح الحديث، تفسير الجلالين، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٩١١هـ)، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ٨/٥١، والأعلام للزركلي، ٣/٣٠٢.

(٣) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ،

المطلب الرابع: تحري العدل والإنصاف عند التثبت والتبين.

لقد أكد الدين الإسلامي على إشاعة العدل والإنصاف بين فئات المجتمع والمساواة بينهم وضرورة الالتزام به، ونهي عن اقرار الظلم ودعا إلى اجتنابه، لما قد يترتب على الظلم من نتائج خطيرة إذا اقرت، و المجتمع الذي يشيع فيه العدل، يحس أفراده بالاطمئنان على حقوقهم وأعراضهم.

إن العدل والمساواة^(١) والإنصاف مع المدعويين، مبدأ ذات أهمية، قد يصعبُ مناله، وإن المفترض في الداعية، أن يكون عادلاً منصفاً في سلوكه وتعامله مع الآخرين، حيث أن منهج هذا الدين الدعوة إلى مكارم الأخلاق من الإنصاف والعدل، والبعد عن كل خلق ذميم، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

ولقد ورد كثير من الآيات التي تدعو إلى العدل والإنصاف، ومنها العدل في القول، قال

تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾^(٣)، ومنها: العدل في الحكم بين الناس، قال تعالى:

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٤)، ومنها: العدل عند كتابة العهود والمواثيق، قال

تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾^(٥)، ومنها: العدل في الكيل والوزن، قال تعالى:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾^(٦).

(١) المساواة: سواه مساواة مائه وعادله قدراً أو قيمة، وتكون المساواة بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص انظر: المصباح والمنير، للفيومي، ٤/٣٩٠، ولسان العرب لابن منظور، ٦١٠/١١.

(٢) سورة النحل، آية: (٩٠).

(٣) سورة الانعام، آية: (١٥٢).

(٤) سورة النساء، آية: (٥٨).

(٥) سورة البقرة، آية: (٢٨٢).

(٦) سورة الأنعام، آية: (١٥٢).

تعريف العدل:

العدل في اللغة: مصدر عدل يعدل عدلاً وهو مأخوذٌ من مادة [ع د ل] وله معنيين متقابلين، هما:

الأول: يدل على الاستواء .

والثاني: يدل على اعوجاج.

والمعنى الأول هو الأقرب إلى مفهوم العدل، ونقيض العدل: الجور^(١).

والعدل في الاصطلاح: الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط^(٢).

وقيل: العدل، هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق^(٣).

تعريف الإنصاف:

وأما الإنصاف فهو في اللغة: مصدر أنصف ينصف، وهو مأخوذ من مادة: [ن ص ف]، التي تدل على معنيين:

المعنى الأول: شطر الشيء، و المعنى الثاني: جنس من الخدمة والاستعمال، فالأول: نصف الشيء، ونصيفه شطره، وفي الحديث: ((مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ))^(٤)، ومن ذلك الإنصاف في المعاملة^(٥).

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا، ٤/٢٤٥-٢٤٦.

(٢) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص ٢٢٤.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، الطبعة الأولى، الدوحة: ١٤٠٥هـ، ٨/٤٩٤.

(٤) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ ((لو كنت متخذاً حليلاً))، ٣/١٣٤٣، رقم الحديث: ٣٤٧٠، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم

سب الصحابة ﷺ، ٤/١٩٦٧، رقم الحديث: ٢٢١.

(٥) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا، ٥/٣٤٢.

وأنصفت الرجل إنصافاً: عاملته بالعدل والقسط^(١)، وأنصف الشخص إذا عدل، ويقال: أنصفه من نفسه^(٢).

وفي الاصطلاح: الإنصاف هو العدل في المعاملة، بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله^(٣).

وإنما كان الإنصاف والعدل صعباً مناله، لاتصاف الإنسان بالجهل والظلم ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٤).

و المتبع لهدي النبي ﷺ يجد المنهج الواضح لتحقيق العدل والإنصاف، ولو اتبع المسلمون والدعاة هدي نبيهم في العدل والإنصاف لما وقع كثير منهم، فيما وقعوا فيه من الظلم والاختلاف والنزاع والشقاق، وتتبع العثرات، وكشف الزلات ونسيان الحسنات، ونحوه مما لا يستفيد منه إلا الشيطان وأولياؤه^(٥).

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم كحال أهل البدع^(٦).

والناظر لحياة الناس اليوم يجدهم في أعمالهم وأقوالهم أنهم مجبولون على عدم تحقيق الإنصاف والعدل في سلوكهم ومعاملتهم مع الآخرين، إلا من رحمه الله، لذا فهم في أمس الحاجة إلى التذكير والتنبيه باستمرار لتفعيل صفة الإنصاف والعدل في حياتهم.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد محمد الفيومي، ص ٢٧٧، مادة: انصف.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ٤/١٤٣٣، مادة: نصف.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص ٩٩.

(٤) سورة الأحزاب، آية: (٧٢).

(٥) انظر رسالة: وإذا قلم فاعدلوا، لعبد العزيز الجليل، الطبعة الأولى، الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤١١هـ، ص ٤٢، بتصرف.

(٦) انظر: منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، الرياض: طبعة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ٤/٣٣٧.

قال الإمام الشعبي^(١) رضي الله عنه:

والله لو أصبت تسعًا وتسعين مرة، وأخطأت مرة لأعاد علي تلك الواحدة^(٢)، وفي هذا مجانبة للعدل والإنصاف، وبخس لحقوق الآخرين وإهدار لحسناتهم وما لهم من بلاء ودعوة وعلم وعمل.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن عظم جزاء العادل والمنصف عند الله تعالى، فقال: ((إِنَّ الْمُفْسِدِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وعجل، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا))^(٣).

وقد وضع العلماء قواعد وضوابط في تفعيل مبدأ العدالة والإنصاف عند الحكم على الأفراد، فمن ذلك قول سعيد بن المسيب رضي الله عنه: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أنه من غلب عليه نقصانه ذهب فضله^(٤).

وأيضًا قول عبد الله بن المبارك^(٥) رضي الله عنه: إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن^(٦).

فالعبرة في ذلك النظر إلى غالب حال المرء ومجمله وأكثره، لا أن ينظر إلى جانب السيئات دون جانب الحسنات، ويجب أن توزن الأمور بميزان الحق والصواب، وفي ذلك تحقيق لمبدأ العدل والإنصاف.

(١) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري، أبو عمرو، من التابعين، حافظ وفقهه، حدث عن جمع من الصحابة، منهم: سعد بن أبي وقاص، وأبو موسى الأشعري، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وغيرهم، توفي بالكوفة سنة (١٠٣هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٩٤/٤، والأعلام للزركلي، ٢٥١/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٣٠٨/٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، ١٤٥٨/٣، رقم الحديث: ١٨.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، الدمام، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ، ٨٢١/٢.

(٥) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي، أبو عبد الرحمن، شيخ الإسلام، إمام حافظ في الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، له كتاب في الجهاد، وهو أول من صنف فيه، توفي في الهيت على الفرات سنة (١٨١هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٧٨/٨، والأعلام للزركلي، ١١٥/٤.

(٦) سير أعلام النبلاء، ٣٩٨/٨.

ولقد تظاهرت الآيات الكريمة في بيان وتقرير هذا المبدأ وتأصيله، فمن الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(١).

قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية: أي لا يحملنكم بغض قوم علي ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدواً، ولهذا قال: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أي: عدلكم هو أقرب للتقوى من تركه^(٢).

والعدل نظامٌ لكلِّ شيء، وأساسٌ لقيام المجتمعات الإنسانية، وبه قامت السماوات والأرض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل، الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وذلك أن العدل نظام كل شيء^(٣).

وصدق على سلف هذه الأمة قوله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٤)، فكانوا بهداية القرآن ونهجه أعدل الأمم وأقومها بالقسط.

ومن الآيات الدالة على العدل والإنصاف ما جاء في سورة الأنعام من الوصايا العشر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾^(٥)، والمعنى: أي إذا قلتم بقول في خبر، أو شهادة، أو جرح أو تعديل بين الناس، فتكلمتم فقولوا الحق بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا، بل تحروا الصواب، وراعوا الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، وراعوا الإنصاف، وعدم الميل إلى طرف دون آخر،

(١) سورة المائدة، آية: (٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٦٢/٣.

(٣) انظر: الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٩هـ، ٢٤٧/٢.

(٤) سورة الأعراف، آية: (١٨١).

(٥) سورة الأنعام، آية: (١٥٢).

ولا تتعصبوا لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، فإن ذلك من الظلم المحرم^(١).

ومن نماذج الإنصاف في القرآن الكريم ما جاء في وصف أهل الكتاب، وبيان أحوال الفاسقين منهم، وما كانوا فيه من إهانة وذل، كما في قوله تعالى:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢)، ثم أنصف الله ﷻ المتقين منهم بقوله:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(٣).

قال سيد قطب رحمه الله في الآية الثانية آنفاً: "وهذا غاية الإنصاف والعدل للقلة الحيرة من أهل الكتاب، فقرر أن أهل الكتاب ليسوا كلهم سواء، فهناك المؤمنون وصور حالهم مع ربه، فإذا هي حال المؤمنين الصادقين، فكان الوعد الصادق لهم: أنهم لم يخسوا حقاً، ولن يكفروا أجراً، مع الإشارة إلى أنه ﷻ يعلم أنهم من المتقين"^(٤).

إلى غير ذلك من أمثلة القرآن الكريم، التي أوضحت وبيّنت أهمية العدل والإنصاف.

أما الشواهد في السنة النبوية لإبراز صفة العدل والإنصاف فهي كثيرة جداً، وعليه فسأكتفي بذكر بعض ما يناسب، ويرتبط بموضوع البحث.

أولاً: قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، ووقوعه في خطأ، لمراسلته كفار قريش مبينا لهم وجهة النبي ﷺ إليهم في الغزو، وإفشاءه لسر النبي ﷺ، ومع ذلك فإن موقف النبي ﷺ منه كان موقف المنصف العادل، حيث إنه: تثبت من أمره عن طريق الوحي المنزل ﷻ، ثم استدعى

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثانية، مصر: مكتبة مصطفى البابي

الخلي، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ٥٤٨/٣، وفتح القدير، للشوكاني، ١٨٣/٢، بتصرف.

(٢) سورة آل عمران، آية: (١١٢).

(٣) سورة آل عمران، آية: (١١٣).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، ٤٥٠/١، بتصرف.

حاطبًا ، وسأله لمعرفة سبب فعلته، وظروفه وملابساته، ثم عمد إلى وزنه بميزان العدل، حيث جمع حسناته وسيئاته، فانغمرت سيئته في بحر حسناته (١).

وهذا في غاية الإنصاف، والشاهد من الحديث ما جاء في نصه: فقال النبي ﷺ: ((يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟)) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بِي أَنْ لَا أَكُونُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((صَدَقَ، لَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا))، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي، حَتَّى أَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَوْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ مَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ))، فَدَمَعَتْ عَيْنُ عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ" (٢).

وفي الحديث بيان واضح لمعنى الإنصاف وتطبيقه العملي عند التثبت والتبين.

فإن فعلة حاطب ﷺ التي فعلها تُسمى في العصر الحاضر الخيانة الكبرى، ويستحق صاحبها أقسى عقوبة إذا ثبت تورطه فيها، لكن الهادي البشير ﷺ يستفسر حاطبًا ويتثبت منه، ويكشف عذره ويسأله عن مبرر فعلته، ثم يصدقه فيما قال، وينهى عن إيذائه بكلمة أو تجريح ((صَدَقَ، لَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا)) ثم يذكر الصحابة بحسنات حاطب وخيره الكثير، وهذا مبلغ من العدل لا يبلغه إلا من وفقه الله لذلك، حيث قال ﷺ لعمر: ((مَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ! لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ)).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وهذا هو المانع له ﷺ من قتل من تجسس عليه وعلى المسلمين، وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم فأخبر ﷺ انه شهد بدراً، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتب اثره عليه ماله من المشهد العظيم، فوُجعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ماله من الحسنات (٣).

(١) انظر: رسالة: وإذا قلتهم فاعدلوا، عبد العزيز الجليل، ص ٣٩.

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره، ٢٣٠٩/٥ رقم الحديث: ٥٩٠٤، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، ١٩٤١/٤، رقم حديث: ١٦١.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم الجوزية، ص ١٩٢.

ثانيًا: ومن نماذج الإنصاف في السنة، ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن شماس^(١) قال:

أتيت عائشة، أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟^(٢) فقال: ما نعلمنا منه شيئًا، إنه كان ليموت للرجل منا البعير، فيعطيه البعير، وإن كان العبد فيعطيه العبد، إن احتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر^(٣) أخي، أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَليَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْفُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَليَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا، فَرفَقْ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))^(٤).

فعائشة رضي الله عنها لا تمتنع عن قول الحق والثناء على من قتل أخاها، بذكر دعاء النبي ﷺ لمن رفق بأئمة، وهذا من أدبها وأمانتها وعدلها وإنصافها رضي الله عنها.

قال الإمام النووي رحمه الله في تعليقه وشرحه للحديث السابق: فيه أنه ينبغي أن يذكر فضل أهل الفضل، ولا يمتنع منه لسبب عداوة ونحوها^(٥).

ثالثًا: ومن الشواهد في ذلك أيضًا: إنصاف الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه للروم، وذلك حين بلغه قول النبي ﷺ: ((تَقُومُ السَّاعَةُ، وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ))^(٦)، فقال لمن حدثه: ما

(١) عبد الرحمن بن شماس بن ذؤيب بن أحمور المهري، أبو عمرو، ويقال أبو عبد الله المصري، قال العجلي: مصري، تابعي، ثقة، مات بعد المئة في أول خلافة يزيد بن عبد الملك، انظر: تهذيب الكمال، للمزي، ١٧٢/١٧.

(٢) تعني بذلك: معاوية بن حديج، انظر: انظر أسد الغابة، لابن الأثير، ٢٥/٣، وسير أعلام النبلاء، ٣٣/٥.

(٣) الصحابي: محمد بن عبد الله بن عثمان، ولد في حجة الوداع بذي الحليفة، لخمس بقين من ذي القعدة، شهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين، ثم ولاء مصر فقتل بها سنة (٨هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٤٧٢/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، الطبعة الأولى، بيروت دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ٦/١٩٣-١٩٤.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/١٤٥٨، رقم الحديث: ١٩.

(٥) المنهاج على شرح صحيح مسلم، للنووي: ٤١٦/١٢.

(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتنة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ٤/٢٢٢٢، رقم الحديث: ٣٦.

هذه الأحاديث التي تذكر عنك أنك تقولها عن رسول الله ﷺ؟ فقال له المستورد القرشي^(١): قلتُ الذى سمعت من رسول الله ﷺ قال، فقال عمرو لئن قلت ذلك: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأجبر الناس عند مصيبة، وخير الناس لمساكينهم وضعفائهم^(٢).

فكان من حكمته بعد أن تثبت وتبين، أن ذكر بعض ما فيهم من خصال حسنة جميلة، مع ما كان يحمله من التبرؤ منهم وعداوتهم، وهذا من إنصافه وعدله للقوم ﷺ.

هذا، بعض ما جاء في السنة النبوية من شواهد ونماذج، وفيها بيان وإيضاح وإقرار لمبدأ الإنصاف والعدل، ليستفيد منها المسلم، عند التثبت والتبين من أمر ما.

(١) الصحابي: المستورد بن شداد بن عمرو القرشي الفهري، عندما قبض الرسول ﷺ كان غلامًا، سمع منه سماعًا وأتقنه، سكن الكوفة ومصر، توفي سنة (٤٥هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ١٥٤/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ٦/٧٣.

(٢) أورده مسلم في صحيحه، ٤/٢٢٢٢.

المطلب الخامس: حسن الإنصات والاستماع.

لابد للمسلم، والداعية، أن يتقن فن الاستماع، وأن يُحسن الإنصات إلى محدثه، مع حسن الاستماع إليه، والاهتمام بكلامه، لأنه مفتاح للوصول إلى ما في قلبه، فهو طريقٌ للتدبر، وسبيلٌ للتفكير، ومجال واسع للتفاهم وتبادل الأفكار، ودليل على الصدق في طلب الحق، والحرص على إظهاره واتباعه.

قال الإمام سفيان الثوري^(١) رحمته الله: أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر^(٢).

قالت الحكماء: رأس الأدب كله حُسنُ الفهم والتفهّم، والإصغاء للمتكلّم^(٣).

وحُكي عن بعض الحكماء، أنه قال لابنه: يا بني، تعلّم حُسن الاستماع، كما تتعلّم حُسن الحديث، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول^(٤).

وإن رمز النجاح والاستقامة في الحياة حسن الاستماع، والإنصات العميق لمن يحدثه.

"نعم، إنَّ الاستماع الجيد، والإنصات العميق، هو سرُّ نجاح الكثيرين في علاقاتهم وأعمالهم، وإذا صلح الاستماع، صلحت الحياة واستقامت، فمن أكبر مشكلات الناس عدم إحسان الإنصات وإحسان الاستماع، فكم من أمر أسيء فهمه، بسبب التعجّل، وعدم إحسان الإنصات"^(٥).

كما أن في الإنصات، وحسن الاستماع، مع ما فيه من يسر وبساطة، وانعدام تكلفة، شيء كثير من معاني التكريم، وحسن الخلق مع المتحدث، وله أثر كبير في نفسه .

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، وآية في الحفظ ولد ونشأ في الكوفة، له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير، كلاهما في الحديث، وكتاب في الفرائض، توفي سنة (١٦١هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٢٩/٧، والأعلام للزركلي، ١٠٤/٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ٢٦٢/١.

(٣) انظر: العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية بدون رقم الطبعة، ٢٦٤/٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢٦٤/٢.

(٥) انظر: الانتفاع في حسن الاستماع، للشيخ صالح بن حميد، وانظر: مقالات موقع الألوكة.

وفي هذا المبدأ نوع من التواضع، وإعطاء الأهمية لكلام المدعويين، يطرد العجب بالنفس، وهو أدعى إلى الإخلاص والتجرد، وفيه مراعاة للوقت، ولاستيعاب كلامهم^(١).

فلا يحسن للمستمع الاستعجال في مقاطعة المتحدث، أو مناقشته قبل فهم كلامه، بل الواجب الإنصات، وحسن الاستماع، فقد كان رسول الله ﷺ لا يقطع الحديث حتى يكون المتكلم هو الذي يقطعه .

عن عطاء^(٢) قال: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له، كأني لم أسمع، وقد سمعته قبل أن يولد^(٣).

وفي ذلك فائدة للمستمع والمتحدث على السواء، فأما المتحدث: فقد يغير الدليل، أو يزيد عليه بما يدفع الاعتراض، أو يحذف فيه ما يوجب الخلل، أو ينبه على مقدمة خفية، فيسلم من المناقشة، وأما المستمع: فربما يخطئ بالاستعجال فيظهر جهله.

قال العلامة السعدي رحمه الله: في الفرق بين معنى الإنصات والاستماع: أن الإنصات في الظاهر ترك المتحدث، أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له فهو: أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه، ويتدبر ما يستمع^(٤).

وحسن الاستماع يحتاج إلى تهيئة النفس للإنصات، والبعد عما يشغل أو يقلل التركيز . ولقد جاء ذكر الاستماع في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، لأجل أن ينبّه على مكانة السمع، وقدره، وأهميته .

(١) رسالة: قل إنما أعظكم بواحدة، ص ٢٦-٢٨، بتصرف.

(٢) عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان، تابعي، من أجلاء الفقهاء، ولد باليمن، ونشأ بمكة، فكان مفتي أهلها ومحدثهم، توفي فيها سنة (١١٤هـ)، أنظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٨٦/٥، والأعلام للزركلي، ٢٣٥/٤.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، ٨٦/٥.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٨٥/٢.

ومدح الله ﷻ وأثنى على الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: مدحهم باستماع القول، وإتباع أحسنه (٢).

كما أخبر الله ﷻ عن عباده المؤمنين، أنهم سريع الاستجابة لما يسمعون، فقال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ تَمَّ إِلَيْهِ رُجْعُونَ﴾ (٣).

قال الحسن البصري ﷺ: أي سماع إصغاء وتفهم، وإرادة الحق، وهم المؤمنون الذين

يقبلون ما يسمعون، فينتفعون به ويعملون (٤).

ولقد أراد الله أن يعلم نبيه موسى ﷺ، وأن يوحي إليه بدينه وشرعه، فقال الله تعالى له

يخاطبه بكلمات استفتحتها بقوله تعالى:

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (٥) وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (٥)،

وبذلك علمه أدب المجلس: اخلع نعليك، وأدب التلقي والعلم: استمع لما يوحي إليك

﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾، حيث أمره ﷻ بالإنصات والاستماع التام إليه، لأهمية ما سيلقى إليه،

فكانت هذه أول وصية منه ﷻ لموسى ﷺ، حتى يكون على استعداد للتلقي، والإفادة مما

يسمع، فإن الإنصات والاستماع سلمٌ للوعي والفهم.

وحكى القرآن الكريم عن مجموعة من الجن، صرفها الله ﷻ لتسمع القرآن، وكيف كان

إنصاتهم واستماعهم لهدى الله، وآياته البينات، قال تعالى:

(١) سورة الزمر، آية: (١٨).

(٢) الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٢٣٠/١.

(٣) سورة الأنعام، آية: (٣٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣٩٢/٦.

(٥) سورة طه، الآيات: (١٢-١٣).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾^(١).

فكان التوجيه والأمر ﴿أَنْصِتُوا﴾ أي: قالوا كلهم أنصتوا، كل واحد يقولها للبقية حرصاً على الوعي، وهو أمر بتوجيه الأسماع إلى الكلام اهتماماً به، ولئلا يفوت منه شيء^(٢).

وكذلك بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، أدب رسول الله ﷺ وحسن سماعه وإنصاته، وهو يحاور ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه كما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِيُّ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((قَدْ أَجَبْتُكَ))، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدُّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: ((سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ))، فَقَالَ: أَسَأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، أَلِلَّهِ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ نَعَمْ))، قَالَ: أَنَشُدُكَ بِاللَّهِ أَلِلَّهِ أَمْرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْحُمُسِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ نَعَمْ))، قَالَ: أَنَشُدُكَ بِاللَّهِ أَلِلَّهِ أَمْرَكَ أَنْ نُصَوْمَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ نَعَمْ))، قَالَ: أَنَشُدُكَ بِاللَّهِ أَلِلَّهِ أَمْرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانِنَا، فَتَقْسِمَهَا عَلَيَّ فُقَرَانِنَا، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ نَعَمْ))، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولٌ مِنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضَمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ"^(٣).

(١) سورة الأحقاف، الآيات: (٢٩-٣٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٤٩/٢٦.

(٣) سبق تخرجه ص ١٧٢.

فيلاحظ أن النبي ﷺ قد تمهياً للرجل، حتى قال له: ((قَدْ أَجَبْتُكَ)) أي أسمعتك، والمراد إنشاء الإجابة^(١).

ثم أعطاه مطلق الحرية في السؤال والاستفسار، فقال له: ((سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ))، ثم أنصت إليه فعلاً، وأجابه على أسئلته حتى انتهى، ثم انطلق مؤمناً ورسولاً مبلغاً من وراءه من قومه.

وفيه أيضاً: إنصاته ﷺ وحسن استماعه وصبره على الكلام، مع ما يظهر من بعضهم الجهل والتعدي، أو سوء الأدب، وعدم التقدير للنبي ﷺ، ولكن أخلاق النبوة تحول بينه ﷺ وبين أي تصرف آخر، غير حسن الإنصات والرد الجميل بعده.

وأيضا ما جاء في مسند الإمام أحمد: عن أبي أمامة^(٢) قال: "إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالرِّزَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَرَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ((اِذْنُهُ))، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: ((أَتُحِبُّ لِي أُمَّكَ؟))، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: ((وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ))، قَالَ: ((أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟))، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: ((وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ))، قَالَ: ((أَفْتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟))، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: ((وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ))، قَالَ: ((أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟))، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: ((وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ))، قَالَ: ((أَفْتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟))، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: ((وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ))، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ))"^(٣).

فلم يزره ﷺ أو يغضب عليه، أو يصفه بأنه خالف القيم والأخلاق، أو يعرض عنه، بل دعاه ليقرب منه، وأنصت إليه وسمع منه، وبعد ما أن أقنعه، وبين له شناعة هذا الفعل وقبحه، دعا له: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)).

وهذا من أدبه ﷺ الذي علمه إياه ربه ﷻ.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٥١/١.

(٢) الصحابي: صدي بن عجلان بن الحارث، وقيل: عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي السهمي، روى عن النبي ﷺ فأكثر، سكن حمص من الشام، توفي سنة (٥٨١هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١٦/٣.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند صدي بن عجلان، ٥٤٥/٣٦، رقم الحديث: ٢٢٢١١، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

ومن المواقف التي تبين هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أَنَّ ضِمَادًا^(١) قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ^(٢)، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ، إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءٍ، فَهَلْ لَكَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ مُحَمَّدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ)) قَالَ: فَقَالَ أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ وَلَقَدْ بَلَغَنَّا نَاعُوسَ^(٣) الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((وَعَلَى قَوْمِكَ))، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْحَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مَطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضِمَادٍ^(٤).

فالنبي ﷺ يستمع إلى ضماد، وهو يعرض عليه سفاهة أهل مكة، وطعنهم فيه ﷺ، ويحسن الإنصات، فلا يسكته ولا يزعجه، ثم يردُّ عليه بكلمات لطيفة تفرغ قلبه، فيقطعه قبل أن يكمل، ويطلب إعادتها، ثم يعلن إسلامه ومبايعته للنبي ﷺ، رضي الله عنه وأرضاه.

والمقصود أن حسن الاستماع، وإعطاء الفرصة للمتحدث في إبداء ما عنده من آراء، والصبر على ما قد يكون في كلامه من إساءة أو تعريض ونحوه، كل ذلك من الأدب اللطيف، والخلق الجميل، الذي ينبغي أن يتصف به المسلم، حتى يكون ناجحًا في القضية التي يريد أن يدعو إليها ويبلغها، أو أن يتبث ويتبين منها.

(١) الصحابي: ضماد بن ثعلبة الأزدي، من أزد شنوءة، كان صديقًا للنبي ﷺ في الجاهلية وكان رجلاً يتطرب، ويرقي، ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٥٦/٣.

(٢) المراد بالريح المس والجنون، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، ٣٩٥/٦.

(٣) وسطه ولجته، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، ٣٩٥/٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٣/٢، رقم الحديث: ٤٦.

المطلب السادس: التزود بالعلم والمعرفة.

إن التزود بالعلم والمعرفة، هو الزاد الذي يتقوى به المسلم، للوصول إلى النجاح في القضية التي يريد أن يتثبت ويتبين منها، - فالحكم على الشيء فرع عن تصوره - .
وليس المقصود هنا، مطلق العلم، وأنواع العلوم، ومختلف الفنون، بل هو العلم بالموضوع المتعلق في البحث عنه، والتبين والتثبت منه، ومعرفة أدواته وتفاصيل أموره، حيث أن الجهل بالموضوع يطعن في أهلية المثبت والمتبين، ويضعفه ويهوي به في هاوية من التخبط والجهل.
ولما كان العلم هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق، وللتفكير السليم وإقامة الحجج والبراهين على هذا الحق، جاءت النصوص الكثيرة في الأمر به، والحث عليه، وبيان منزلة أهله وفضلهم، والإنكار على من لا يعلم، وإرجاع الأمور إلى الحكيم العليم.
ولقد تكررت مادة: [علم] في القرآن الكريم كثيراً، مما يدل على أهمية القضية، ومكانتها في الشرع والترغيب فيه.

ومن هذه النصوص قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

فدلّت الآية، على منزلة ومكانة شأن العلم وأهله، وتفضيلهم على من سواهم.
واستشهد الله تعالى بأهل العلم على أجل مشهودبه، وهو توحيد الله، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة الملائكة، وهذه تزكية لهم، وتعديل وتوثيق، فبدأ بنفسه، وثنى بالملائكة، وثالث بأولي العلم، قال تعالى:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴾^(٢).

وكذا، أخبر ﷺ عن رفعة درجات أهل العلم والإيمان، قال تعالى:

(١) سورة الزمر، آية: (٩).

(٢) سورة آل عمران، آية: (١٨).

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

كما وصف الله ﷺ العلماء بأنهم أحشى الناس له، لمعرفةهم على قدرته وقوته ﷺ، حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

وقوله أيضاً سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣).

فالعلماء هم الذين عقلوا عن الله ﷺ، وفهموا مراده من ضربه الأمثال للناس.

ومن شرف العلم وفضله، أن الله ﷺ حثنا على الاستزادة منه، وأمر بذلك نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٤)، وفي هذا دلالة على شرف العلم وفضيلته، والحث على الاستزادة منه.

قال الإمام الحافظ ابن حجر^(٥) رحمه الله:

وهذا واضح الدلالة في فضل العلم؛ لأن الله لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم^(٦).

(١) سورة المجادلة، آية: (١١).

(٢) سورة فاطر، آية: (٢٨).

(٣) سورة العنكبوت، آية: (٤٣).

(٤) سورة طه، آية: (١١٤).

(٥) أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ وحافظ لإسلام في صغره، مولده ووفاته بالقاهرة، من تصانيفه الكثيرة: لسان الميزان، تقريب التهذيب في أسماء رجال الحديث، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٨٥٢هـ)، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للعكري، ٧/٢٧٠-٢٧٣، والأعلام، للزركلي، ١/١٧٨.

(٦) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١/١٧٠.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: لو كان أحدكم يكتفي من العلم، لاكتفي منه موسى، لما قال: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (١) (٢).

وتزدهر السنة النبوية بكثير من الأحاديث، التي فيها حثٌّ على طلب العلم، منها قول النبي ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) (٣).

فإذا أراد الله تعالى بعبده الخير، فقهه في الدين، وهذه علامة وميزة له، وهو بذلك يعبد الله، ويدعو غيره إلى عبادته على بصيرة وهداية من أمره.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: ومفهوم الحديث، أن من لم يتفقه في الدين - أي: لم يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حُرِمَ الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء، على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم (٤).

ومنها، الحديث العظيم الذي يقول فيه النبي ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)) (٥).

وهذا فيه ترغيب أشد الترغيب على طلب العلم، حيث جعل سلوك سبيله طريقًا إلى دخول الجنان.

(١) سورة الكهف، آية: (٦٦).

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص ٨٣.

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ٣٩/١، رقم الحديث: ٧١. واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ٧١٨/٢، رقم الحديث: ١٠٠.

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١/١٩٨.

(٥) رواه أبي داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ٢٣٧/٤، رقم الحديث: ٣٦٣٦، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٤٠٧/٢، رقم: ٣٦٤١.

قال بدر الدين بن جماعة^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: واعلم؛ أنه لا رتبة فوق رتبة من تشغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له^(٢).

وكان من دعاء النبي ﷺ المأثور لعبدالله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ))^(٣)، فكان ابن عباس ببركة هذا الدعاء، حبر الأمة وعالمها، وأحد منارات فقه الصحابة .

ولقد جاء في القرآن الكريم، الإنكار على من يتكلم ويتحدث بلا علم، ولا هدى ولا بصيرة، حيث قال ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٤).

فعلى المسلم والداعية، أن يمتنع عن الحديث في أمر على الظن والشبهة والتوهم، وأن لا يخوض في أمر من الأمور، إلا بعد أن يُلَمَّ به، وأن عليه أن يتبع الحق المعلوم يقيناً، وأن يتمسك بذلك، لأنه عنه مسؤول.

كذلك أنكر ﷺ، على الذين ادعوا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أونصارى، فأبطل الله ادعاءهم، فقال لهم: ﴿قُلْ أَعْلَمُ أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٥)، فتبين لهم بطلان ما ادعوه من تقولهم بغير علم ولاهدى.

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنايني، أبو عبد الله، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، له تصانيف، منها: المنهل الروي في الحديث النبوي، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني، وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، وغرر البيان لمبهمات القرآن، توفي بمصر، سنة (٧٣٣هـ) انظر: المعجم المختص المحدثين، للذهبي، ص ٢٠٩، والأعلام، للزركلي، ٢٩٨/٥.

(٢) انظر: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنايني، دار الكتب العلمية، بدون رقم ومكان الطبعة، ص ٨.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ٢٢٥/٤، رقم الحديث: ٢٣٩٧، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٤) سورة الاسراء، آية: (٣٦).

(٥) سورة البقرة، آية: (١٤٠).

وأنكر **عَلَيْكَ** على من تقول وزعم على الله بغير علم، وادعى أن له ولدًا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فقال تعالى:

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيْزُ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْتَقُولُوكَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١)، فتحدّاهم، وعجزهم عن إقامة الدليل، ﴿ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا ﴾^٢ فعلم بطلان ما قالوه، وأتته قول بلا علم .

ويتبين من خلال هذا البيان والتوضيح، ضرورة التزود بالعلم والمعرفة، وأن يكون للداعية المسلم، معرفة واطلاع على موضوع الدعوة قبل أن يتطرق إليه، لأن خلاف ذلك فيه إساءة إلى الفكرة، والقضية التي هي مجال البحث والدعوة، والتي يريد أن يتثبت ويتبين منها، مما يكون سببًا في أن يُعرض نفسه للإحراج، وعدم التقدير والاحترام^(٢).

كما أن على المسلم، أن يتأكد من قدرته على خوض غمار هذا البحث، والدخول في الموضوع، وأن يكون مؤهلاً بالعلم والمعرفة، وعندها تسهل مهمته، ويصل إلى غايته بأسرع طريق.

وإذا كان المسلم على ثقة ويقين من علمه والإحاطة به، ورأى أن في إظهار ما يحمله من علم نحو قضيته مصلحة ظاهرة، فلا بأس بذلك، فإن له أسوة في هذا الأمر، كما تبينه النماذج التالية:

قول نوح **الْحَمْدُ لِلَّهِ** لقومه: ﴿ أَبْلَغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

وقول إبراهيم **الْحَمْدُ لِلَّهِ** لأبيه:

﴿ يَتَابَعْتَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾^(٤).

(١) سورة يونس، آية: (٦٨).

(٢) انظر: أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ٢٣ بتصرف.

(٣) سورة الأعراف، آية: (٦٢).

(٤) سورة مريم، آية: (٤٣).

فالعلم الذي جاءه به من الله طريق إلى الهدى، ولو أنه أصغر من أبيه سنًا وأقل تجربة، ولكن المدد العلوي جعله يفقه ويعرف الحق، فهو ينصح أباه الذي لم يتلق هذا العلم، ليتبعه في الطريق الذي هدي إليه".

ومثله قول شعيب ومن قبله صالح - عليهما السلام -

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾^(١).

فهو يشعرهم بأنه على بينة من الله، وأنه على ثقة مما يقول؛ لأنه أوتي من العلم ما لم يؤتوا، فهو يصدر عن هذه البينة واثقًا مستقينا^(٢).

وإذا تقررت هذه القضية، فلا عجب أن يقول الهدهد لسليمان عليه السلام:

﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَحِجَّتْكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي يَاقِينَ ﴾^(٣)، فهو يبدأ بهذه المقدمة اللطيفة والمفاجأة،

ليضمن إصغاء الملك له، وعفوه عنه^(٤).

حيث أعلمه بأمر لم يعلمه سليمان عليه السلام، واكتشف له خبرًا لا يدري عنه، وهو خبر مهم لا شك فيه ولا ريب، بل هو نبا يقين.

فتبين من تلك النماذج، أنه يجوز للمسلم وللداعية، إظهار علمه بتلك الصورة، بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى الكبر والغرور، ونحوهما، وأن يكون علمه هذا، لمعرفة الحق والوصول إليه .

قال وكيع بن الجراح^(٥) رحمته الله: من طلب الحديث كما جاءه، فهو صاحب سنة، ومن طلبه ليقوي به رأيه، فهو صاحب بدعة^(٦).

(١) سورة هود، آية: (٨٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٩٢٠/٤، بتصرف.

(٣) سورة النمل، آية: (٢٢).

(٤) انظر: في ظلال القرآن الكريم، ٢٦٣٨/٥، بتصرف.

(٥) وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي، أبو سفيان، حافظ للحديث، ثبت، كان يحدث العراق في عصره، له كتب: منها تفسير القرآن، والسنن، والمعرفة والتاريخ، قال الإمام ابن حنبل: ما رأيت أحدا أوعى منه ولا أحفظ، ووكيع إمام المسلمين، توفي سنة (١٩٧هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٤٠/٩، والأعلام، للزركلي ١١٧/٨.

(٦) سير أعلام النبلاء، ١٤٤/٩.

ومن أنواع العلوم المطلوب توفرها للمسلم وللداعية عند البحث والتثبت في مسألة من المسائل ما يلي:

أولاً: العلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وجمع النصوص منهما، في القضية المطروحة، والمسألة التي حولها الخلاف .

وقد يكون البحث - بدون علم- في قضية محسومة، وفي الحكم المنتهي بنص صريح في الكتاب والسنة، ولا مجال للبحث فيها أصلاً.

أما إذا كان البحث في موضوع ليس فيه نص قاطع، بل هو محل اجتهاد ويقبل الخلاف فيه، فعندئذ، لا بد من العلم بأصول الاجتهاد والاستنباط، والقواعد التي يبني عليها الاجتهاد والخلاف، حتى يتوصل بها إلى الحكم الصحيح والرأي الراجح.

ثانياً: العلم والمعرفة بضوابط ووسائل التحري والتثبت والتبين، والحرص على تطبيقها، والسعي في الالتزام بها، على القدر المستطاع، إذ هي السبيل الصحيح للوصول إلى الهدف المنشود، وطريق للاستمرار فيه، بصورة متوازنة وصحيحة.

ثالثاً: مراعاة الحقائق الثابتة، والأدلة الواضحة، وأن ما يقوم به من التثبت والتبين، مبني على أساس الصدق واليقين، لا على مجرد الوهم والظن والشك.

وأن هذا الضابط - العلم والمعرفة- من أهم الآداب، بل هو شرط أساسي عند التثبت والتبين، في أي عمل من الأعمال، وما سيأتي من ضوابط وآداب في هذا المبحث، وما يتعلق به، وبعض تلك الضوابط توضيح وزيادة بيان له، والتي يلزم على المسلم المتثبت والمتبين معرفتها، وتعلمها، والعمل بها.

المطلب السابع: إظهار الدليل الموصل إلى الشاهد على الأمر.

إن أهم وأول ما ينبغي للمسلم وللداعية استحضاره والعناية به في أمر الدعوة عند التثبث والتبين، هو الدليل، فالإقناع يكون بالحجة والبرهان، لا بمجرد الكلام.

والرد من غير دليل، بمنزلة هدم العلم بالشك المجرد، وإن نشر الحقائق المجردة أقل تأثيراً في النفوس، من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة، سواء من الكتاب أو السنة، أو أقوال الأئمة العلماء، أو غيرهم .

ولا بد من إثبات صحة الدليل، وكما قالوا: إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعيًا فالدليل^(١).

ومتى وجد الدليل، وثبتت صحته، فلا بد من صحة دلالاته على المطلوب، ولا بد أيضاً من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود^(٢).

والكلام على هذا المطلب، يجعل البحث فيه محصوراً على أمرين، هما:

أولاً: إيراد الدليل، والمبادرة بتقديمه.

إنَّ المبادرة بإيراد الدليل وتقديمه، فيه إزالة للبس، ونفي للشك الذي قد يطراً على الموضوع، وتقوية للموقف وتدعيم للفكرة، وعلى المسلم ألا يقرر مسألة، أو يذكر فكرة، أو يطرح موضوعاً، إلا وله عليه برهان واضح، وإقامة للدليل، حتى يكون لما قرره، وذكره، أو دعا إليه فائدة من طرحه.

وسير الأنبياء -عليهم السلام- وكذلك سير الصحابة-رضوان الله عليهم- وتأريخ دعوتهم حافلة بالأمثلة الكثيرة، التي فيها إيضاح وبيان لهذا الأمر، إذ أنهم يدعون إلى أمور بينة وعلى

(١) انظر: الرد على المخالف، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المحجرة، السعودية ص ٦٤.

(٢) انظر: أصول الحوار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، المطابع العالمية، الرياض، ١٤٠٨ هـ، ص ٣٨، بتصرف.

بصيرة وعلم ويقين، كما قال تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(١).

فمن الشواهد في القرآن الكريم، ما كان من دعوة الأنبياء - عليهم السلام - وإيرادهم للدليل وتقديمه، ما يلي:

١- ما كان من نبي الله صالح عليه السلام في دعوة قومه إلى توحيد الله، مقدمًا معه البينة

والبرهان، قال تعالى:

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾^(٢).

٢- ما جاء في قصة شعيب عليه السلام، قال تعالى:

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٣).

٣- وكذلك فعل موسى وهارون عليهما السلام، إذ أمرهما الله بأن يأتيا فرعون، ويخبراهُ

بأمر الرسالة والنبوة، مع تقديم الحجة والبينة، قال تعالى:

﴿ فَأَنبِأَهُمْ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِرْ لَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَآئِفَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ

مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾^(٤)، فنبه عليه السلام إلى وجود الحجة والدليل: ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَآئِفَةٍ مِنْ رَبِّكَ ﴾ وهذا ما

يجعل فرعون إلى أن يقف على الحقيقة التي يدعمها البرهان الساطع، والدليل الواضح الذي لا

لبس فيه ولا غموض .

(١) سورة يوسف، آية: (١٠٨).

(٢) سورة الأعراف، آية: (٧٣).

(٣) سورة الأعراف، آية: (٨٥).

(٤) سورة طه، آية: (٤٧).

وفي الآية الأخرى: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

وفي هذا، إخراج لفرعون أمام الملأ الذي استمعوا لقول موسى، ولو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين، لدل على خوفه من حجته، ومن ثم وجد نفسه مضطراً، لأن يطلب الدليل الذي قدمه موسى، وعرضه منذ البداية^(٢).

شواهد من السنة النبوية في إيراد الدليل والمبادرة بتقديمه.

١- ومن الشواهد في السنة على المبادرة بتقديم الدليل، ما جاء في قصة استئذان أبي موسى على عمر رضي الله عنه: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ، إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَدْعُورٌ، فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ، قُلْتُ: اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا اسْتَأْذَنْ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ))، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُفَيِّمَنَّ عَلَيْهِ بَيْنِي، أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ أَبِي ابْنُ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لَا يُفُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْعَرَ الْقَوْمَ، فَكُنْتُ أَصْعَرَ الْقَوْمَ، فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ ذَلِكَ"^(٣).

فهذا أبو موسى رضي الله عنه يبادر بتقديم الدليل مع الإجابة، فيخبر عما عمله، مع أنه استأذن ثلاثاً، فلما لم يؤذن له، رجع، ويأتي الدليل على عمله هذا، مما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- وأيضاً ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه، قال: "لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ))"^(٤).

(١) سورة الشعراء، آية: (٣٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، ٥/٢٥٩٣.

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ١٩/٢٦٥، رقم الحديث: ٥٧٧٦، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب الاستئذان، ٣/١٦٩٤، رقم الحديث: ٣٦.

(٤) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ٢/٥٠٧، رقم الحديث: ١٣٣٥، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ١/٥١، رقم الحديث: ٣٢.

فيقدم عمر رضي الله عنه، الحجة والدليل عند إبداء رأيه، واعتراضه على ما رآه أبو بكر رضي الله عنه من مقاتلة ما نعي الزكاة.

٣- ومن أمثلة ذلك أيضًا، ما كان من عائشة رضي الله عنها، ففي الحديث عن ابن أبي عتيق^(١) قال: تحدثت أنا والقاسم^(٢) عند عائشة حديثًا، وكان القاسم رجلًا لحانة^(٣)،

وكان لأم ولد، فقالت عائشة: ما لك لا تحدث كما يتحدث ابن أخي هذا؟ أما إني قد علمت من أين أتيت، هذا أدبته أمه، وأنت أدبتك أمك، قال: فغضب القاسم وأضب^(٤) عليها، فلما رأى مائدة عائشة قد أتى بها قام، قالت: أين؟ قال: أصلي، قالت: اجلس، قال: إني أصلي، قالت: اجلس غد، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ))^(٥).

و هذا المثال ظاهر في تقديم عائشة رضي الله عنها للدليل، ومبادرتها بالحجة والبرهان، عند الحاجة إليه.

والأمثلة كثيرة في هذا الباب، وما ذكرت من الأمثلة المذكورة كافية لبيان الغرض وإيضاحه إن شاء الله.

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق القرشي التميمي المدني، المعروف بابن أبي عتيق، روى عن جمع من الصحابة، منهم: عامر بن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، قال العجلي: مدني تابعي ثقة، وعده ابن حبان في الثقات، انظر: تهذيب الكمال، للمزي، ٦٥/١٦.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، وكان صالحا ثقة من سادات التابعين، قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه، وقال يحيى بن سعيد: ما أدركنا بالمدينة أحدا نفضله على القاسم، توفي سنة (١٠٧هـ)، انظر سير أعلام النبلاء، ٥٣/٥، والأعلام للزركلي، ١٨١/٥.

(٣) لحانة: أي كثير اللحن في كلامه انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، ٤٦/٥.

(٤) أضب: أي حقد، انظر: المرجع السابق، ٤٧/٥.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام، ٣٩٣/١، رقم الحديث: ٦٧.

ثانياً: طلب الدليل وإثباته.

طلب الدليل في كل قضية ومسألة تحتاج إلى استدلال، هو أمر لا ينبغي أن يتساهل فيه الداعية المثبت والمتبين، فلا يقبل فكرة إلا بدليلها، ولا رأياً إلا بحجته، بل هذا هو أخصر طريق للوصول إلى الهدف المطلوب .

وعلى هذا، فمتى ظهر الدليل الصحيح، واتضح دلالاته على المقصود، لزم قبوله والتسليم به، ولا يصح رده، أو الاعتراض عليه .

ولذلك فقد تكرر هذا الأمر كثيراً في الكتاب والسنة، خاصة فيما يتعلق بالمعاندين والمغالطين للحقائق،

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم، ما يلي:

١- ما ذكر في قوله تعالى، في الحوار مع أهل الكتاب:

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١).

قال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمته الله في الآية: وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم بدعوة الذين قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ إلى أمر عدل بين جميع الفرق، مسلمهم ويهودهم ونصاراهم، وهو إقامة الحجة على دعواهم التي ادعوا، من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى، يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد، قل للزاعمين بأن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى، دون غيرهم من سائر البشر، قل: هاتوا حججتكم وبرهانكم، على ما تزعمون من ذلك، فنسلم لكم دعواكم إن كنتم في دعواكم محقين، والبرهان، هو: البيان والحجة والبيينة^(٢).

(١) سورة البقرة، آية: (١١١).

(٢) انظر: تفسير جامع البيان للإمام الطبري، ٤٠٣/١ بتصرف.

٢- قصة الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام، حيث جاءه الهدهد بخبر يخبره بأخبار بلقيس ملكة سبأ، ولكن نبي الله سليمان عليه السلام، لم يقتنع حتى يتأكد من ذلك ببرهان مبين، فقال: كما جاء في القرآن الكريم،

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿١﴾﴾.

٣- وكذا ما جاء في شأن المشركين، وطلب الدليل منهم كما في الآية:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا آسَافًا هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فَخْرُصُونَ ﴿٢﴾﴾.

وهنا يطلب منهم دليل على أن الله رضي منهم أن يشركوا به - كما يزعمون - وأن يحللوا ويحرموا من دونه ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾، ولما لم يكن عندهم علم، ولا حجة ولا دليل، فهم على جهل وظنون كاذبة، لا أساس لها من الواقع والصحة ^(٣). والآيات في إيضاح هذا المعنى كثيرة.

وفي السنة النبوية، كثير من الشواهد التي تدل على طلب الدليل، وإثابته، منها:

١- طلب المرأة للدليل من ابن مسعود ^(٤)، عندما قال:

(١) سورة النمل، الآيات: (٢٧-٢٨).

(٢) سورة الأنعام، آية: (١٤٨).

(٣) انظر: زيادة التفسير من فتح القدير، للشيخ محمد سليمان الأشقر، الطبعة الثانية، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٨ هـ، ص ١٨٨.

(٤) الصحابي: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، حليف بني زهرة، كان إسلامه قديماً أول الإسلام، هاجر المحجرتين الحبشة والمدينة، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان خادماً رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله بالجنة،

"لَعَنَ اللَّهُ الْوَائِثِمَاتِ^(١) وَالْمُسْتَوْثِمَاتِ الْمُتَنَمِّصَاتِ^(٢) وَالْمُتَفَلِّجَاتِ^(٣) لِلْحُسْنِ، الْمُعْيِرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ^(٤)، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٥)، قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ"^(٦).

فهذا فيه سؤال المرأة لابن مسعود، وطلبها للدليل، والتأكد منه، فعلى المسلم والداعية أن يجتهد في طلب البينة، ويبحث عن دليل، ويسأل عن الحجة، لأن المقصود هو الوصول إلى الحق.

٢- وأيضًا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما "أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ"^(٧) فِي صَاحِبِ مُوسَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا، فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْيَّةَ،

وشهد اليرموك بالشام بعد وفاة رسول الله، توفي بالمدينة سنة (٣٢٢ هـ) انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٣/٣٨٤-٣٩٠.

(١) الوائثمات: الوشم أن يغرز موضعا في البدن بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر، انظر: تاج العروس مادة: وش م، ٣٤/٥٠.

(٢) المتنمصات: قال الفراء هي التي تنتف الشعر من وجهها، انظر: تاج العروس، مادة: ن م ص، ١٨/١٩١.

(٣) المتفلجات: جمع متفلجة، وهي فرجة ما بين الشايا والرباعيات، تفعلها النساء رغبة في التحسين، انظر: المرجع السابق، مادة: ف ل ج، ٦/١٥٦-١٦٢.

(٤) أم يعقوب لا يعرف اسمها، وهي من بني أسد بن خزيمه، ولم أقف لها على ترجمة، انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٠/٣٨٦.

(٥) سورة الحشر، آية: (٧).

(٦) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}، ٤/١٨٥٣، رقم الحديث: ٤٦٠٤، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والمغيرات خلق الله، ٣/١٦٧٨، رقم الحديث: ١٢٠.

(٧) الصحابي: الحر بن قيس بن حصن الفزاري رضي الله عنه، وهو أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من مرجعه من تبوك، انظر: سد الغابة، لابن الأثير، ١/٤٧١.

هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَيَّ مُوسَى، بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْخُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْخُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَتْرَ الْخُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى قَتَاةٌ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾^(١)، فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ))^(٢).

٣- وأيضًا ما جاء في حديث البراء بن عازب^(٣) قال: "مَرَّ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمٍ^(٤) مَجْلُودٍ، فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ: ((هَكَذَا بَجِدُونَ حَدَّ الزَّائِي))، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ قَالَ لَهُ: ((نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى هَكَذَا بَجِدُونَ حَدَّ الزَّائِي فِي كِتَابِكُمْ))، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، بَجِدُ حَدَّ الزَّائِي فِي كِتَابِنَا الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ، كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الرَّجُلَ الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الرَّجُلَ الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقُلْنَا: تَعَالَوْا فَتَجْتَمِعْ عَلَيَّ شَيْءٌ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ فَاجْتَمَعْنَا عَلَى التَّحْمِيمِ وَالْجُلْدِ، وَتَرَكْنَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ))^(٥)، فهذا فيه طلب الحجّة ممن يملكها من أهل العلم منهم.

(١) سورة الكهف، الآيات: (٦٣-٦٤).

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى ﷺ في البحر إلى الخضر، ٤٠/١، رقم الحديث: ٧٤، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر، ١٨٧٤/٤، رقم الحديث: ١٧٤.

(٣) الصحابي: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، أبا عمرو، وقيل أبا عمارة، وأول مشاهدته أحد، وقيل الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٢٠٥/١.

(٤) المحمم: أي مُسَوِّدُ الْوَجْهِ، انظر: تاج العروس، مادة: ح م م، ٢١/٣٢.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، ١٣٢٧/٣، رقم الحديث: ٢٨.

وأيضًا ما كان من إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمته الله، حيث سُجِنَ وضُرِبَ وعُذِبَ، ثم يطلب منه التنازل عن رأيه في مسألة خلق القرآن، حتى قال له الخليفة المعتصم^(١): يا أحمد أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج، حتى أطلق عنك بيدي، فلا يزيد علي أن يقول: أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهكذا فعل كلما أرادوا منه أن يلين أو يخضع، يسكتهم بطلب الدليل فيعجزون ويفحمون^(٢).

والأمثلة كثيرة في هذا الجانب، إذ مدار كل موضوع هادف هو الدليل وتقديمه وطلبه وقبوله، لتحقيق الهدف المرجو.

(١) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور العباسي، أبو إسحاق، خليفة من أعظم خلفاء الدولة العباسية، وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى، فقبل المعتصم بالله، وكان لين العريكة رضي الخلق، اتسع ملكه جدا، خلافته ٨ سنين، توفي بسامرا، سنة (٢٢٧هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٠/٢٩٠، والأعلام للزركلي، ١٢٧/٧.

(٢) انظر: مناهج الجدل، د. زاهر الأملعي، الطبعة الثالثة، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص ٨٢.

المطلب الثامن : مراعاة المصالح والمفاسد ، عند التثبث والتبين ، وعند

اتخاذ القرار.

إن الشريعة الإسلامية مبناها تحصيل المصالح وإكمالها، ودرء المفاسد، وتعطيها وتقليلها، والرسول - عليهم الصلاة والسلام- بعثهم الله ﷻ إلى أقوامهم من أجل جلب المصالح لهم، وتعطيل المفاسد عنهم.

ذكر الإمام العزُّ بن عبد السلام^(١) ﷺ بأن الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فتأمل وصية الله بعد نداءه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزعجك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر، وقد أبان الحق تبارك وتعالى في كتابه، ما في بعض الأحكام من المفاسد، حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح، حثاً على إتيان المصالح^(٢).

وقد كان النبي ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات، وأكبر الأصنام ولا يغيرها، وترك المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي^(٣) الذي ثبت نفاقه، وعُرف باستهزائه بالله وبرسوله وبالمؤمنين، عندما أخبر ﷺ بما قاله:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

وَاللِّمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) وعندها قال عمر ﷺ: دعني أضرب عنق هذا،

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي، الملقب بـ عز الدين سلطان العلماء، فقيه شافعي مجتهد، تولى الخطابة بالجامع الأموي، ثم انتقل إلى القاهرة، فعمل بها قاضياً وخطيباً، من كتبه: التفسير الكبير، والإمام في أدلة الأحكام، و بداية السؤل في تفضيل الرسول، وفي مجاز القرآن، وغيرها من المصنفات توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب السبكي، ٢٠٩/٨، والأعلام للزركلي، ٢١/٤.

(٢) انظر: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق د. نزيه حماد ود. عثمان ضميريه، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ١/١٤.

(٣) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث ابن عبيد الخزرجي، المشهور بابن سلول، أبو الحباب، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، أظهر الإسلام بعد وقعة بدر، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها، توفي سنة (٦٩هـ)، انظر: الأعلام للزركلي ٦٥/٤.

فقال له رسول الله ﷺ: ((دَعَا لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ))^(٢)، فكان امتناع النَّبِيِّ عن ذلك، لما يفضي إليه قتله من المفاسد، من تنفير الناس عن الإيمان بالله وبرسوله. وهذا المحذور، فساده أعظم من المصلحة المتحققة في قتل رأس النفاق، وفي هذا إحسانٌ في الدعوة إلى الله ﷻ، واعتبار للموازنة بين المصالح والمفاسد فيها.

تعريف المصلحة:

المصلحة في اللغة: "واحدةُ المصَالِحِ مأخوذة من الصلاح ضد الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه"^(٣). وهي في الاصطلاح: "جلبُ المنفعةِ ودفعُ المضرّةِ"^(٤).

قال أبو حامد الغزالي في تعريفه للمصلحة: أما المصلحة، فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرّة، لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما تضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعه مصلحة^(٥).

(١) سورة المنافقون، آية (٨).

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لئن رجعنا إلى المدينة لخرجن الأعز

منها الأذل﴾، ٤/١٨٦١، رقم الحديث: ٤٦٢٤، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب،

باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، ٤/١٩٩٨، رقم الحديث: ٦٣.

(٣) انظر: لسان العرب ٢/٥١٦، مادة: صلح.

(٤) روضة الناظر وجنة المناظر، محمد بن عبدالله بن قدامة المقدسي، الرياض: دار المعارف دون رقم الطبعة وتاريخها،

٤١٢/١.

(٥) انظر: المستصفي من علم الأصول للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم،

٦٣٦/١.

تعريف المفسدة:

المفسدة هي: الضرر، يقال: هذا الأمر مفسدة لكذا، أي: فيه فساد وما يؤدي إلى الفساد، من هو ولعب ونحوهما^(١).

وقيل الفساد: التلّف والعطب والاضطراب والخلل، وقيل: نقيض الصّلاح، والمفسدة خلاف المصلحة^(٢).

والضّابط لهذه المصالح والمفاسد، هو الإسلام، فما شهد له الإسلام بالصّلاح، فهو المصلحة، وما شهد له بالفساد، فهو المفسدة، والخروج عن هذا المعيار معناه اتباع الهوى، والهوى باطل لا يصلح لتمييز الصّلاح من الفساد، قال تعالى:

﴿يٰۤاٰوْدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾^(٣)

فليس هناك إلا الحق والهوى، والحق هو، ما أنزله الله، وفيه بيان للمصلحة والمفسدة، وما عداه الهوى، وهو باطل وفيه فساد للناس، فالمصلحة إذن في اتباع الحق المنزل من عند الله وهجر ما سواه^(٤).

وإذا تزكّت المصالح والمفاسد لهوى الناس، اضطربت أحوالهم وفسد أمرهم، قال تعالى:

﴿وَلَوْ اَتَّبَعَ الْحَقُّ اَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِىْهِنَّ﴾^(٥).

وعندما تفقد نبي الله سليمان عليه السلام الهدد، جاءه نبأ ملكة^(٦) سبأ وقومها، وما هم عليه من الأحوال من العبادة والسجود للشمس من دون الله،

(١) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وغيرهم، ٦٨٨/٢.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣/٣٣٥، مادة: فسد.

(٣) سورة ص، آية (٢٦).

(٤) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص ٢٩١.

(٥) سورة المؤمنون، آية: (٧١).

(٦) بلقيس بنت الهدد بن شرحبيل، من بني يعفر بن سكسك، من حمير، ملكة سبأ، يمانية من أهل مأرب، وليت بعهد من أبيها في مأرب، زحفت بجيوشها إلى فارس وبابل وخضع لها الناس واتخذت من مدينة سبأ قاعدة لها،

انظر: الأعلام للزركلي، ٧٣/٢.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (١) ؛

فبعث النبي ﷺ كتابه إليهم، يدعوهم للإسلام، والدخول في حكمه، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (٢).

وكانت ملكة سبأ تملك من الحنكة والسياسة، حيث التزمت بالشورى مع عقلاء قومها، لتباحث مع قومها في ما تضمنت به رسالة سليمان النبي ﷺ، وكانت حكيمة وعاقلة فلم تستخف بقوة سليمان، ولم يدخلها الغرور بقول قومها عندما منوا إليها بعددهم وعُددهم وقوتهم ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٢﴾﴾، وعندما سلموا الأمر إلى نظرها، وسمعت تفويضهم الأمر إليها، أبدت رأيها الحكيم الذي كان موافقا للصواب، ومراعياً للمصلحة والمفسدة إن هي خالفت أمر سليمان

النبي ﷺ ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٤﴾﴾.

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: فلما قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما رأته من تسخير الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمراً عجيباً بديعاً، فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه، فيقصدنا بجنوده، ويهلكنا بمن معه، ويخلص إلي وإليكم بالهلاك والدمار دون غيرنا، ولهذا قالت: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴿٥﴾﴾.

(١) سورة النمل، الآيات: (٢٣-٢٤).

(٢) سورة النمل، الآيات: (٣٠-٣١).

(٣) سورة النمل، آية: (٣٣).

(٤) سورة النمل، آية: (٣٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٦/١٨٩.

ثم أرادت المهادنة والمصالحة والمسالمة مع نبي الله سليمان عليه السلام وذلك لعله يقبل الهدية فيكف عنهم، وقالت ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥).^(١)

قال الإمام القرطبي في تفسيره: هذا من حسن نظرها وتدبيرها؛ أي: إني أجرب هذا الرجل بهدية، وأعطيه فيها نفائس من الأموال، وأغرب عليه بأمر المملكة، فإن كان ملكاً دنيائياً أرضاه المال، وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبياً لم يرضه المال، ولازمنا في أمر الدين، فينبغي لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينه.^(٢)

وكان جواب سليمان عليه السلام على الهدية التي أرسلتها:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَاءَ تَنِيءٍ أَلْفٌ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٦) أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِجْنُونٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣٧).^(٣)

فما كان منها إلا أن اتخذت القرار الحاسم والحكيم، بالاستجابة لدعوة سليمان عليه السلام طائعة مختارة، بعد أن تثبت وتبين لها أنه نبي، ولم يرضه الهدية، وأنه لازم لها ولقومها الانصياع لأمره والإيمان به، وإتباعه في دينه.

وتجئبت بذلك المفسدة المتوقعة لها من الهوان والإذلال لها ولقومها إن هي خالفت دعوة سليمان عليه السلام ولم تجب له.

وهذا هو المنهج الحكيم في التثبيت، قبل أن يتم اتخاذ القرار وعدم الاستعجال فيه، وتقديم المصلحة التي فيها نجاة، على المفسدة التي فيها هلاك للأفئس والأموال.

وعندما أراد رسول الله ﷺ التثبيت من الخبر الذي جاء به السماء من عمل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، حينما بعث كتاباً لقريش، و أعطاه لامرأة تُبَلِّغُهُ لقريش، ويخبرهم فيه بعزم النبي ﷺ المسير إلى مكة وفتحها، بعث ﷺ علي بن أبي طالب، والزيبر بن العوام والمقداد رضي الله عنهم، وحدد لهم مكان تواجد المرأة بروضة خاخ، وطلب منهم استرجاع الكتاب منها،

(١) سورة النمل، آية: (٣٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٤/١٣.

(٣) سورة النمل، الآيات: (٣٦-٣٧).

وعندما وصل الصحابةُ لمكانٍ تواجد المرأةُ قام الصحابةُ بتفتيش المرأة، ولم يجدوا شيئاً معها، فقالوا لها تخويفاً وتهديداً: "لتخرجنَّ الكتابَ أو لتلقينَّ الثياب" (١)، فأخرجته لهم من عقاصِها عندما رأت الجِدَّ منهم .

فكان هذا القول والفعل منهم - رضوان الله عليهم - فيه من الموازنة بين المصالح والمفاسد، وهو موقفٌ يدلُّ على أنه ينبغي مراعاة الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على أمر ما؛ وأن مفسدة تجريد المرأة من ثيابها أخف من أن ينتشر خبر عزم النبي ﷺ على المسير لمكة وفتحها.

وقد ذكر الإمام العزُّ بن عبد السلام: أن مصالح الدنيا ومفاسدها تعرف بالضرورة والتجربة والعادة والظنُّ المعتمد، وأن من أراد أن يعرف المصالح والمفاسد، فليعرض ذلك على عقله ثم يبيِّن عليه الأحكام، ولا يكادُ حُكْمٌ منها يخرجُ عن ذلك إلا ما تعبد الله به عباده (٢).

وإذا تعارضت مفسدةٌ ومصالحة، فُدِّمَ دفعُ المفسدةِ غالباً، لاستقراء جملة النصوص الشرعية في هذه المسألة، ومنها قاعدة: "درء المفسدِ أولى من جلب المصالح" (٣).

ومن ذلك ما روته عائشةُ رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: ((يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ (٤): بِكُفْرٍ - لَنَفَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، فَجَعَلْتُهَا بَابَيْنِ، بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ)) (٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ١٥٥٧/٤، رقم الحديث: ٤٠٢٥.

(٢) انظر: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عبد العزيز بن عبد السلام، ١٣/١.

(٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد المعتصم البغدادي، الطبعة الخامسة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ١٧٩.

(٤) الصحابي: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن القرشي الأسدي، أبو بكر، وقيل: أبو حبيب، هو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين، فحنكه رسول الله ﷺ بتمرة لآكها في فيه، ثم حنكه بها، فكان ريق رسول الله ﷺ أول شيء دخل جوفه، وسماه عبد الله، غزا إفريقية، وشهد موقعة الجمل مع علي بن أبي طالب، بويع بالخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وعن أبيه الزبير، وعن عمر، وعثمان، وغيرهما، قتل بمكة سنة (٧٣هـ) عندما كانت محاصرة، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١٠٩/٢.

(٥) رواه الشيخان، البخاري في كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، ٥٩/١، رقم الحديث: ١٢٦، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ٩٦٨/٢، رقم الحديث: ٤٠٢.

قال الإمام ابن حجر رحمته الله : وفي الحديث معنى ما ترجم له، لأن قريشًا كانت تعظم أمر الكعبة جدًّا، فحشي رسول الله صلى الله عليه وآله أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام، أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك، فيستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة^(١).

فترك صلى الله عليه وآله مصلحة تغيير بناء الكعبة تجنبًا من الوقوع في مفسدة عظيمة.

وبذلك تبرز للمرء أهمية مراعاة المصالح والمفاسد، وخاصة عندما يجد نفسه في واقع تدفع به الأحداث إلى مواقف لا يتبين أثرها إلا بعد حين، فمن الخير له التأمي والتثبّت في اتخاذ القرار وإبداء الآراء، وربطها بقاعدة فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد قبل إبدائها وإقرارها، وذلك من خلال إعطاء النفس الفرصة للتفكر بتأمي قبل إصدار الأقوال والأفعال، ومعالجة الأمور بالحكمة والبصيرة، وموازنتها بالميزان الشرعي، مع تنحية الهوى جانبا، واجتناب الحماس والاندفاع غير المنضبط، وغير المعروف النتائج.

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ١/٢١٧.

المبحث الثالث

مجالات التثبيت

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مجال العبادات.

المطلب الثاني: المجال العلمي.

المطلب الثالث: المجال الإعلامي.

المطلب الرابع: المجال الاجتماعي.

المطلب الأول

مجال العبادات

وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح.

المسألة الثانية: التثبيت في استقبال القبلة في الصلاة.

المسألة الثالثة: التثبيت في رؤية هلال رمضان للصيام وهلال

شوال للفطر.

المسألة الأولى: تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح.

أ- العبادة في اللغة:

قال الراغب الأصبهاني: "العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١)"^(٢).

وقال ابن منظور، العبادة "الطاعة مع الخضوع، وأصل العبودية: الخضوع والتذلل، والتعبد: التنسك، والعبادة: الطاعة"^(٣).

ب- العبادة في الاصطلاح:

للعبادة في الاصطلاح له عدة تعريفات، منها:

- ١ - الخضوع للإله على وجه التعظيم والشعائر الدينية^(٤).
 - ٢ - فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه، وقيل: تعظيم الله وامتنال أوامره^(٥).
 - ٣ - اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة^(٦).
- ويتضح من التعريفات السابقة: أن العبادة هي انقياد لله والخضوع له والتقرب إليه بما شرع.

(١) سورة الإسراء، آية: (٢٣).

(٢) مفردات غريب القرآن، للأصبهاني، ٤٧٩.

(٣) لسان العرب، ٢٧٣/٣، مادة: عبد.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، ٥٧٩/١.

(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص ٤٩٨.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٠/١٤٩.

المسألة الثانية: التثبيت من استقبال القبلة^(١) في الصلاة^(٢).

إن للصلاة منزلة عظيمة في دين الإسلام، فهي عمود الإسلام، وركنه الفاصل بين الكفر والإيمان، كما أنها مفرغٌ و ملجأ و طمأنينة، لمن حزه أمر، أو حل به كرب، أو أراد أن يرتاح من هموم الدنيا ونكدها.

ولقد بلغ من شأن الصلاة، أنها أول ما يحاسب عليه العبد، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله.

ولأجل أن تكون الصلاة صحيحة، فإن من شروط صحة الصلاة، استقبال القبلة، لقوله

تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٣).

قال الإمام الطبري رحمته الله في تأويل قوله: ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ من أي مكان وبقعة شخصت فخرجت يا محمد، فحول وجهك تلقاء المسجد الحرام؛ وهو شرطه^(٤).

وقال العلامة السعدي في تفسير قوله: ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي: جهته، ثم خاطب الأمة عموماً فقال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، ففيها اشتراط استقبال الكعبة، للصلوات كلها، فرضها، ونفلها^(٥).

(١) المراد بالقبلة الكعبة، وسميت القبلة: قبلةً لإقبال الناس عليها، ولأنَّ المصلي يقابلها ويقصدها بوجهه وبدنه، انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ، ٢/٢٧٤-٢٨٠.

(٢) الصلاة، هي: أقوالٌ وأفعالٌ مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، وسميت بذلك لاشتغالها على الدعاء، انظر: الملخص الفقهي، د. صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ١/٩٤.

(٣) سورة البقرة، آية: (١٤٤).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣١/٢.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١/١١٣.

ولقوله ﷺ للمسيء في صلاته: ((إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ))^(١).

وأجمعت الأمة، على أن استقبال القبلة من شروط صحة الصلاة.

ويتضمن هذه المسألة الأقسام التالية^(٢):

القسم الأول: الاستدلال على اتجاه القبلة، ويكون ذلك بالطرق التالية:

الطريقة الأولى: الإخبار، فإذا أخبره بالقبلة مكلف ثقة عدل، عمل بخبره، إذا كان المخبر متيقناً بالقبلة.

الطريقة الثانية: وجود محاريب إسلامية، يعمل بها، لأن في غالب بناءها، أنه بنيت على اتجاه القبلة، ودوام التوجه إلى جهة تلك المحاريب يدل على صحة اتجاهها.

الطريقة الثالثة: يُستدل على القبلة بالنجوم، قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٣).

ومنه هذه النجوم التي يستعان بها:

أ- يُستدل على القبلة بالشمس والقمر، لأتهما يسيران ويخرجان من المشرق إلى المغرب، ، لقوله ﷺ لأهل المدينة: ((مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ))^(٤) ، ولقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥).

(١) رواه الشيخان، البخاري في كتاب الاستئذان، باب من رد فقال عليك السلام، ٢٣٠٧/٥ رقم الحديث: ٥٨٩٧،

واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ٢٩٨/١، رقم الحديث: ٣٩٨.

(٢) لمزيد إيضاح لهذه المسائل، انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٢٧٤/٢-٢٨٠،

والشرح المختصر على زاد المستقنع، د. صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، المملكة

العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، ص ٣٥٧-٣٥٨، والملخص الفقهي، د. صالح بن فوزان الفوزان، ص ١١٦/١.

(٣) سورة النحل، آية: (١٦).

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن بين المشرق والمغرب قبلة، ١٧٠/٢، رقم الحديث: ٣٤٢،

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢٠٢/١.

(٥) سورة البقرة، آية: (١١٥).

ب- ويُستدلُّ على القبلة بالنجم القطب^(١).

وخصَّص هذا النجم؛ لأنه ثابت في مكانه، خلاف بقية النجوم، وهو نجم خفي، ولكن يستعان برؤيته على رؤية نجم الجدي^(٢)، وهو قريب من نجم القطب.

الطريقة الرابعة: الاجتهاد في تحري القبلة، والعمل على غلبة الظن، لقوله تعالى:

﴿فَأَنقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣)، ولقوله ﷺ: ((فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابُ))^(٤).

القسم الثاني: حالات استقبال القبلة في الصلاة.

الحالة الأولى: استقبال عين الكعبة، وهذا في حالة من كان داخل المسجد الحرام، قريباً للكعبة ويراها، فإنه يستقبل عين الكعبة بجميع بدنه، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ، دَعَا فِي نَوَاحِيهِ كُلِّهَا، وَلَمْ يُصَلِّ حَتَّى خَرَجَ مِنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ فِي قُبُلِ الْكُعْبَةِ وَقَالَ: ((هَذِهِ الْقِبْلَةُ))"^(٥)، وبناءً على ذلك، فمن كان داخل المسجد الحرام في الأروقة، أوفي الأدوار العليا، فينبغي أن يتحرى ويستبين في استقبال عين الكعبة.

الحالة الثانية: استقبال جهة المسجد الحرام، وهذا في حالة من كان خارج المسجد الحرام وداخل حدود الحرم، فهذا يستقبل في صلاته جهة المسجد الحرام.

الحالة الثالثة: استقبال جهة مكة المكرمة، وهذا في حالة من كان خارج حدود الحرم، أو في آفاق الأرض، فإنه يستقبل في صلاته جهة مكة، لقوله لقوله ﷺ في حق أهل

(١) كوكب بين الجدي والفرقدين يدور عليه الفلك، صغير أبيض لا يبرح مكانه أبداً، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٦٨٠/١، وتهذيب اللغة، للأزهري، ٢٧/٩.

(٢) الجدي: نجم إلى جنب القطب تعرف به القبلة، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ٢٢٩٩/٦.

(٣) سورة التغابن، آية: (١٦).

(٤) رواه الشيخان، البخاري في كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ١٥٦/١، رقم الحديث: ٣٩٢، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ١٦١/٢، رقم الحديث: ٣٨٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، ٥٥/١، رقم

الحديث: ٣٨٩.

المدينة المنورة: ((مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ))^(١)، وقوله ﷺ: ((لَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا))^(٢).

فيتبين من هذا أن من كان خارج مكة المكرمة، وكان في شمالها، فالقبلة بين الشرق والغرب، ولمن كان شرقاً عن مكة، فالقبلة بين الشمال والجنوب، ولمن كان غرباً عن مكة، فالقبلة بين الشمال والجنوب، ولمن كان جنوباً عن مكة، فالقبلة بين الشرق والغرب.

القسم الثالث: استقبال القبلة للعاجز.

استثنى الشارع الحكيم من لم يستطع استقبال جهة القبلة في الصلاة، كالعاجز الذي يسقط عنه التكليف، والتكليف شرطه القدرة والإمكان، والعاجز أحواله كثيرة:

أ- منها المريض، الذي لا يستطيع الحركة، وكان على جهة غير القبلة، فحينئذ يصلي على حالته.

ب- أو من رُبط بالجدار، وكان وجهه إلى غير القبلة، أو سُجِن في موضعٍ، فوَضِع وجهه على غير القبلة، ولا يستطيع أن يتحرك، فإن هذا يصلي على حالته، لأنه عاجز.

ج- في حالة اشتداد الحرب، والهارب من سُبُعٍ أو عدو، فكل هؤلاء يصلون على حسب حالهم.

والدليل على استثناء تلك الأحوال، قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣) وقوله

تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٤)،

وقوله ﷺ: ((إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))^(٥).

(١) سبق تخريجه، ص: ٢٣٩ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام والمشرق، ١/١٥٣، رقم الحديث: ٣٧٦ .

(٣) سورة البقرة، آية: (٢٨٦).

(٤) سورة التغابن، آية: (١٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ٦/٢٦٥٨، رقم الحديث: ٦٨٥٨ .

القسم الرابع: استقبال القبلة لصلاة النافلة في السفر.

تستثنى صلاة النافلة في السفر من استقبال القبلة، حيث يصلى إلى الجهة التي تسير به الراحلة، للحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ"^(١).

فهذا الحديث دل على أن النبي ﷺ، كان من هديه في السفر أن يصلي حيثما توجهت به الدابة .

و يستفاد من هذا الحديث، أنه تصح صلاة النافلة إلى غير القبلة وذلك بشروط:

الأول: أن يكون في سفر.

الثاني: أن يكون سائرا.

الثالث: استقبال القبلة عند تكبيرة الإحرام، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَافَرَ فَأَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ اسْتَقْبَلَ بِنَاقَتِهِ الْقِبْلَةَ فَكَبَّرَ، ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ وَجَّهَهُ رِكَابُهُ"^(٢)، وذلك بأن يحرف الراحلة إلى جهة القبلة فيكبر تكبيرة الإحرام، ثم يعطف الراحلة على جهة السير.

ويستثنى من استقبال القبلة لتكبيرة الإحرام لصلاة النافلة إذا كان متعذرا، أو فيه حصول مشقة شديدة، فحينئذ يُكَبَّرُ حيثما توجهت به الراحلة، للتعذر، ويكون باقي حركات الصلاة بالإيماء.

الرابع: أما إذا كان المسافر سائرا غير راكب، فإنه يستقبل القبلة ويكبر، ثم يمشي على جهة مسيره، فإذا كان وقت الركوع وقف ويركع ويسجد على وجهه إلى جهة القبلة، إذا كان متيسرا، وإذا لم يكن يتيسر ركع وسجد إلى جهة سيره.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوتر، باب الوتر في السفر، ٣٣٩/١، رقم الحديث: ٩٥٥.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب التطوع على الراحلة والوتر، ١٥٩/٢، رقم الحديث: ١٢١٨، وحسنه

الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود ٣٣٤/١.

المسألة الثالثة : التثبت في رؤية هلال رمضان للصيام ، وهلال شوال للفطر .

إنَّ الله ﷻ علق برؤية الهلال أحكاما كثيرة، كالصوم والحج والأعياد، وغيرها، والرسول ﷺ جعل الحكم بالهلال معلقا على الرؤية وحدها؛ لأن رؤية الهلال أمرها عام، يتيسر لأكثر الناس من العامة والخاصة، في الصحاري والبيانات، ولأن أغلب الأمة لا تعرف الحساب، كما قال ﷺ: ((إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ، وَلَا نَحْسِبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا))، يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين^(١).

ويثبت دخول شهر رمضان برؤية هلاله، أو إكمال شعبان ثلاثين يوما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ، فَإِنْ عُمِّي عَلَيْكُمْ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ))^(٢).

كما ورد عنه ﷺ الأمر بالاعتناء بهلال شعبان لأجل رمضان، قال رضي الله عنه: ((أَحْصُوا هِلَالَ شَعْبَانَ لِرَمَضَانَ))^(٣)، وقد اهتم الصحابة رضي الله عنهم في حياة النبي ﷺ، وبعد وفاته، برؤية هلال رمضان، فكانوا يتراءونه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: "تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ"^(٤).

ولأهمية الرؤية ولما يترتب عليه أحكام، جاء ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهْلِ فَلْهُي مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ﴾^(٥)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ ((لا نكتب ولا نحسب))، ٦٧٥/٢، رقم الحديث: ١٨١٤.

(٢) رواه الشيخان، البخاري في كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، ٦٧٤/٢، رقم الحديث: ١٨١٠، ورواه مسلم في كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، ٧٦٢/٢، رقم الحديث: ١٨، واللفظ له.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الصوم، باب جاء في إحصاء هلال شعبان لرمضان، ٧١/٣، رقم الحديث: ٦٨٧ وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي، ٣٧٢.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان، ١٤١/٣، رقم الحديث: ٢٣٣٥، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٥٥/٢.

(٥) سورة البقرة، آية: (١٨٩).

فأخبر سبحانه أنها مواقيت للناس، من صوم وفطر وفي جميع أمورهم، وخص الحج بالذكر تمييزاً له؛ لأن الحج تشهده الملائكة وغيرهم، ولأنه يكون في آخر شهور الحول، فيكون علمًا على الحول، كما أن الهلال علم على الشهر.

ومن هذا يتبين أن المعول عليه في إثبات دخول شهر رمضان للصوم، وشوال للفطر، والحج وسائر الشهور، هو الرؤية، ولا عبرة شرعاً بمجرد ولادة القمر في إثبات الشهر القمري بدءاً وانتهاءً، بإجماع أهل العلم المعتد بهم في ذلك .

فيشرع للمسلمين أن يجدوا في طلبها، ويتأكد ذلك في ليلة الثلاثين من شعبان لمعرفة دخول رمضان، وليلة الثلاثين من رمضان لمعرفة نهايته ودخول شوال، وليلة الثلاثين من ذي القعدة لمعرفة ابتداء ذي الحجة، فهذه الأشهر الثلاثة؛ يتعلق بها ركنان من أركان الإسلام هما الصيام والحج، لتحديد عيد الأضحى.

ويتضمن هذه المسألة الأقسام التالية:

القسم الأول: طرق إثبات الهلال.

إثبات رؤية الهلال يكون بالأمر التالية:

أ - الرؤية بالعين من الجم الغفير الذين تحصل بهم الاستفاضة^(١).

وهي رؤية الجم الغفير، الذين لا يجوز تواطؤهم على الكذب عادة، ولا يشترط في صفتهم ما يشترط في صفة الشاهد من الحرية والبلوغ والعدالة .

ب - رؤية عدلين^(٢).

واشترطوا في العدل، الإسلام والحرية والذكورة، وما تقتضيه العدالة من العقل والبلوغ والالتزام بالإسلام.

ج - رؤية عدل واحد.

(١) استفاض: يعني ذاع وانتشر واشتهر، يقال: استفاض الخبر والحديث، انظر: تاج العروس، للزبيدي، ٤٠٥/١٨ .

(٢) العدل: أي المستقيم، من يقوم بالواجبات، ولم يفعل كبيرة، ولم يصر على صغيرة، انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، ٣١٣/٦ .

وذلك لما رواه ابن عباس، أنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إِيَّيْ رَأَيْتُ الْهَلَالَ، قَالَ: ((أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ))، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((يَا بِلَالُ، أَدْنُ فِي النَّاسِ أَنْ يَصُومُوا عَدًّا))^(١)،^(٢).

القسم الثاني: وجوب رؤية هلال رمضان للصيام وهلال شوال للفطر.

صيام رمضان لا يكون إلا برؤية هلاله، والفطر برؤية هلال شوال، كما قال النبي ﷺ: ((صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ))^(٣)، كما أنه ﷺ حصر الصيام والفطر برؤية الهلال، بقوله ﷺ: ((لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهَلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ))^(٤).

وأما العمل بالحسابات في دخول الشهر، فهذا غير معتبر به، لأنَّ حديث النبي ﷺ نصَّ في المسألة: ((صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ))، فإذا أخبر المسلم البالغ العاقل، الموثوق بخبره، لأمانته وبصره، أنه رأى الهلال بعينه عمل بخبره.

القسم الثالث: إذا كان في السماء غيم أو قتر.

إذا حال دون رؤية الهلال غيم أو قتر، في يوم التاسع والعشرين من شعبان، فتكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً، لقوله ﷺ: ((صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ، فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ))^(٥).

وهكذا الحال لرؤية هلال شوال في رمضان، فإذا حال دون الرؤية غيم أو قتر، في اليوم التاسع والعشرين من رمضان، فتكمل عدة رمضان ثلاثين يوماً، عملاً بنص الحديث السابق.

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الصوم، باب ما جاء في الصوم بالشهادة، ٧٤/٣، رقم الحديث: ٦٩١، ضعفه

الألباني، أنظر: ضعيف سنن الترمذي، ص ٧٤.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٢/٢٤-٢٥.

(٣) سبق تخريجه، ص ٢٣٩.

(٤) رواه الشيخان، البخاري في كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ ((إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا

((، ٦٧٤/٢، رقم الحديث: ١٨٠٧، واللفظ له، ومسلم في كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال

والفطر لرؤية الهلال، ٧٥٩/٢، رقم الحديث: ١٠٨٠.

القسم الرابع: رؤية هلال رمضان يثبت برؤية شخص واحد عدل.

يثبت رؤية هلال شهر رمضان بشهادة رجل واحد عدل، عملاً بنص الحديث الوارد في ذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني رأيت الهلال، قال: ((أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ))، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((يَا بَلَاءُ، أَدْنُ فِي النَّاسِ أَنْ يَصُومُوا غَدًا))^(١).

وأيضاً لما ورد عن ابن عمر، قال: ((تَرَأَى النَّاسُ الْهَلَالَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ))^(٢).

وقال الإمام الترمذي: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، حيث قالوا: تقبل شهادة رجل واحد في الصيام^(٣).

وذكر الشيخ صالح بن عثيمين^(٤) رحمته الله: ويشترط مع العدالة أن يكون قوي البصر بحيث يحتمل صدقه فيما ادعاه^(٥).

وبهذا يتبين أن رؤية هلال شهر رمضان، يثبت بشهادة رجل واحد عدل.

(١) سبق تخريجه ص ٣٤٥.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤٣.

(٣) سنن الترمذي، ٧٤/٣.

(٤) محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ولد في عنيزة، سنة (١٣٤٧هـ)، نشأ في أسرة متوسطة الحال، وتعلم القرآن وحفظه في سن مبكرة، وكذا مختصرات المتون في الحديث والفقه، ويعتبر شيخه عبد الرحمن السعدي مرجعه الأول الذي تأثر بمنهجه وتأصيله واتباعه للدليل وطريقة تدريسه، تولى التدريس في الحرمين الشريفين وفي الجهات العلمية الأكاديمية، من مؤلفاته الكثيرة، الشرح الممتع على زاد المستقنع، شرح العقيدة الواسطية، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، القول المفيد على كتاب التوحيد، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة (١٤٢١هـ) ودفن بمكة المكرمة، انظر: موسوعة ويكيديا.

(٥) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، ٣١٥/٦.

القسم الخامس: يثبت رؤية هلال شوال وباقي الشهور بشهادة رجلين عدلين.

اتفق جمهور الفقهاء على اشتراط رؤية عدلين في هلال شوال، في حالة السماء كانت صحواً أو غيمًا، واستدلوا بذلك على قوله ﷺ: ((فَإِنْ شَهِدَ شَاهِدَانِ فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا))^(١). واشترط الأحناف في حالة أن السماء كانت صحواً، أن يكون الشهود جماعة يحصل العلم للقاضي بخبرهم، ولم يقبلوا في حال الغيم إلا شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين مسلمين حرين عاقلين بالغين^(٢).

القسم السادس: رؤية الهلال نهارًا.

فرق العلماء بين رؤية الهلال نهارًا قبل الزوال وبعد الزوال، إلى قولين: القول الأول: إذا كانت رؤية الهلال قبل الزوال، فإنه يكون لليلة الماضية. القول الثاني: إذا كانت رؤية الهلال بعد الزوال، فإنه يكون لليلة المقبلة. والمعتبر في رؤية هلال رمضان وشوال أن يُرى الهلال بعد غروب الشمس^(٣).

(١) رواه الإمام النسائي في سننه، كتاب الصيام، باب قبول شهادة الرجل الواحد على هلال شهر رمضان، ١٣٢/٤، رقم الحديث: ٢١١٦، الطبعة الثالثة، بيروت - لبنان، دار البشائر، ١٤١٩هـ، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي، ٩٥/٢، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٢/٢٧.
(٣) انظر: الشرح المختصر على متن زاد المستقنع، صالح الفوزان، ٣٤٦/٢، والشرح المتمتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، ٣٠٨/٦.

القسم السابع: استخدم وسائل التقنية في إثبات الرؤية.

ذكر فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمته الله، في جوابه عن سؤال الاعتماد بوسائل التقنية في إثبات الرؤية، فقال: "فإن كانت الوسائل المذكورة وسائل لتقريب الرؤية، كالمجاهر الكبيرة والتلسكوبات، فهي وسائل صحيحة، يصح الاعتماد عليها في إثبات رؤية الهلال؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم علق الحكم بإثبات رؤية الهلال، فمتى روي بأي وسيلة - من الوسائل التي ذكرت آنفاً والتي تساعد على تقريب المنظر من على الأرض - ثبت الحكم"^(١).

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المحقق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، الرياض، ١٤١٣ هـ، ٥٩/١٩.

المطلب الثاني

المجال العلمي

وفيه خمسة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف العلم في اللغة والاصطلاح.

المسألة الثانية: الرحلة في طلب العلم من أجل التثبت.

المسألة الثالثة: التثبت من سند الرواية.

المسألة الرابعة: علم الجرح والتعديل وارتباطه بالتثبت.

المسألة الخامسة: الإفتاء بغير علم والتسرّع فيه.

المسألة الأولى: تعريف العلم في اللغة والاصطلاح.

أ- تعريف العلم في اللغة:

مصدر قولهم: علم يعلم علما وهو مأخوذ من مادة [ع ل م] التي يدلُّ على أثرٍ بالشيء يتميِّزُ به عن غيره^(١).

"والعلم نقيض الجهل، وأعلمه علما: عرفته، وتقول: علم وفقه أي: تعلم وتفقه، وعلم الأمر وتعلمه: أتقنه، وعلم الرجل: خبره، وأحب أن يعلمه أي يخبره"^(٢).

وقال الراغب: العِلْمُ إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان:

أحدهما: إدراك ذات الشيء.

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه.

فالأول: هو المتعدّي إلى مفعول واحد نحو قوله تعالى:

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَنْعَلْمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٣).

والثاني: المتعدّي إلى مفعولين، نحو قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾^(٤) (٥).

ب- تعريف العلم في الاصطلاح:

قال الجرجاني: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع^(٦).

وقال الكفوي: العلم: هو معرفة الشيء على ما هو به، ثم قال: والمعنى الحقيقي للفظ

العلم، هو الإدراك^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤/١٠٩.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ١٢/٤١٦.

(٣) سورة الأنفال، آية (٦٠).

(٤) سورة الممتحنة، آية (١٠).

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصبهاني، ص ٥١٣.

(٦) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ٢٣٢.

(٧) انظر: الكليات للكفوي، ص ٦١٠ - ٦١١.

وقال في موضع آخر: "العلم يقال لحصول صورة الشيء عند العقل وللاعتقاد الجازم الثابت والإدراك الكلي والإدراك المركب"^(١).

وقال المناوي: العلم: "هو صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، أو هو حصول صورة الشيء في العقل"^(٢).

(١) انظر: الكليات للكفوي، ص ٨٢٤.

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص ٥٢٣.

المسألة الثانية : الرحلة في طلب العلم من أجل التثبت.

لقد تحملَّ الرعيل الأول من الصحابة -رضوان الله عليهم- الصعاب في الرحلة، وقطع الفيافي والقفار، والسعي من أجل التثبت، وسماع حديث رسول الله ﷺ، متحملين في ذلك مشاقا عظيمة، لا يمكن تحمُّلها إلا من أصحاب همة عالية، وعزائم صادقة ونفوس كبيرة.

فعن عبد الله بن بريدة^(١) قال: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد^(٢) وهو بمصر، فقدم عليه، فقال: أما إني لم آتِك زائراً، ولكني سمعتُ أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم^(٣).

وعن جابر بن عبد الله^(٤)، قال: بلغني حديث عن رجل، من أصحاب رسول الله ﷺ، فاشتريت بعيراً، فشددت عليه رحلاً، ثم سرت إليه شهراً، حتى قدمت مصر، قال: فخرج إلي غلام أسود، فقلت: استأذن لي على فلان، قال: فدخل، فقال: إنَّ أعرابياً بالباب يستأذن، قال: فخرج إليه، فقل له من أنت؟ قال: فقال له أخبره أي جابر بن عبد الله، قال: فخرج إليه، فالتزم كل واحد منهما صاحبه، قال: فقال ما جاء بك، قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ في القصاص، وما أعلم أحداً يحفظه غيرك، فأحببت أن تذاكرني، فقال:

(١) عبد الله بن بريدة ابن الحصيب الأسلمي المروزي، أبو سهل، الحافظ الإمام، شيخ مرو وقاضيها، روى عن جمع من الصحابة وعن أبيه بريدة بن الحصيب فأكثر منه، و روى عن عمران بن الحصين وأبي موسى وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والمغيرة بن شعبة ومعاوية وعبد الله بن مسعود مرسلًا، وكان من أوعية العلم، تولى قضاء مرو إلى أن توفي بها سنة: (١١٥هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/٥٠.

(٢) الصحابي: فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس الأوسي الأنصاري، أبا محمد، أول مشاهده أحد، ثم شهد المشاهد كلها، وكان ممن بايع تحت الشجرة، انتقل إلى الشام، وشهد فتح مصر، وسكن الشام، وولى القضاء بدمشق لمعاوية، توفي سنة (٥٣هـ)، في خلافة معاوية، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٤/٣٦٣-٣٦٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الترجل، أول كتاب الترجل، ٤/٤٤٤، رقم الحديث: ٤١٥٧، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٢/٥٣٥، رقم: ٤١٦٠.

(٤) الصحابي: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن سلمة الأنصاري السلمى، أبا عبد الله، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وشهد مع النبي الغزوات بعد أحد، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب، وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسنن، توفي بالمدينة سنة (٧٤هـ)، وقيل سنة (٧٧هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١/٣٠٧-٣٠٨.

نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، أَوْ النَّاسَ، عُرَاءَ غُرْلًا بُهْمًا))، قلت: ما بهما؟ قال: ((لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ))، أحسبه قال:

((كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ: أَنَا الْمَلِكُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَدْخُلُ النَّارَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ))، قلت: كيف وإنما نأتي الله عرأة بهما؟ قال: ((بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ))^(١).

ومن ذلك أيضاً: أَنَّ أبا أيوب رضي الله عنه، خرج إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه^(٢) وهو بمصر، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره، وغير عقبة، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري رضي الله عنه^(٣)، وهو أمير مصر، فأخبر به، فعجل فخرج إليه فعانقه ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ، غيرى وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدل على منزل عقبة، فأخبر عقبة به، فعجل فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيرى وغيرك، في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم،

(١) انظر: الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: علي عبد الباسط وعلي عبد المقصود، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، باب المعانقة، ص ٤٤٤، رقم الحديث: ٩٧٠، واللفظ له، وحسنه الألباني، انظر: صحيح الأدب المفرد، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٣٧١، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده، مسند عبد الله بن أنيس، ٤١٣/٢٥، رقم الحديث: ١٦٠٤٢.

(٢) الصحابي: عقبة بن عامر بن عيس بن عديين جهينة الجهني، يكنى أبا حماد، وقيل: أبا لبيد، وقيل غير ذلك، شهد صفين وشهد فتوح الشام، وكان والي معاوية بن أبي سفيان على مصر، وتوفي بها سنة (٥٥٨هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٥٣/٣ - ٥٤.

(٣) الصحابي: مسلمة بن مخلد بن الصامت الخزرجي الأنصاري، كان مولده حين قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً، شهد فتح مصر، وسكنها، ثم تحول إلى المدينة، وكان من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وقيل أنه شهد معه صفين، واستعمله معاوية على مصر والمغرب، توفي بالمدينة، وقيل: بمصر سنة (٥٦٢هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١٧٤/٥ - ١٧٥.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَيَّ خِزْيَةٌ، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعا إلى المدينة^(١).

فكأن مقصد جابر بن عبد الله وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما، من رحلتهم إلى مصر، هو التأكد والتثبت من صحة حفظهما وعلمهما، وفي هذا إظهار لما كانا يحملانه من حبهما للسنة، والحرص على حفظها، وتذاكرها، والعمل بها.

وهكذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- قدوة لمن بعدهم، في عكوفهم على طلب العلم، والاستزادة منه، فكانوا إذا سمعوا الحديث والعلم من راويه، لم يشف ذلك ما في صدورهم، فيرحلون إليه في مصر من الأمصار، طلبا للعلو وزيادة في التثبت، وإمعاناً في الطلب والتلقي من أفواه العلماء.

ومن بعد الصحابة سار التابعون على هذا المنوال، في الرحلة لطلب الحديث، والتثبت منه، فكان أحدهم يخرج من بلده لا يُخرجه إلا حديث صحابي، يريد أن يسمعه منه مباشرة، بدون واسطة، وطلب الإسناد العالي، لما فيه من اختصار لطرق الحديث المتصلة، فبدلاً من أن يأخذ التابعي عن تابعي، بدوره أن يأخذ عن صحابي، فسار يسأل عن مكان الصحابي، وذلك لانتشار الصحابة في الأمصار، ثم يقوم بالرحلة إليه، ويروي عنه الحديث مباشرة.

ومما زاد الرحلة في طلب الحديث، هو ظهور الوضع في الحديث، فكان له الأثر في تنشيط تلك الرحلات، طلباً للحديث من مظانه، وتدقيقاً لمصادره، وبحثاً عن أصوله، وتحريماً عن رواته. فعن بسر بن عبيد الله^(١) أنه قال: "إن كنت لأركب إلى مصر من الأمصار، في الحديث الواحد لأسمعه"^(٢).

(١) انظر: المسند، ل عبد الله بن زبير الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، حيد آباد - الهند: نشر لجنة العلوم الإسلامية، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣، ١/١٨٩-١٩٠، حديث رقم: ٣٨٤، والحديث في سنده أبو سعد المكي وهو: مجهول، ولكن الحديث له تخرجات أخرى تقوي الحديث، ويرتقى بها إلى درجة الحسن، انظر: الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، ص ١٢٠.

وقال أبو العالية^(٣): كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ، فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم^(٤).

فكانت الرحلة، وتحمل مشاقها، من أجل حديث تم سماعه، والتأكد من خلوه من خطأ الراوي أو الزيادة فيه.

ولقد كان للرحلة في طلب الحديث، أثر في شيوع ونشر علم السنة، وتكثير طرق الحديث، كما كان لها أثر بارز في معرفة الرجال، بصورة دقيقة، لأن المحدث يذهب إلى البلدة فيتعرف على علمائها ومحدثيها ويخالطهم ويسألهم.

وبهذا استطاع الرعيل الأول ﷺ، أن يزرعوا في نفوس من جاء بعدهم، مبدأ الرحلة في طلب الحديث، والتثبت من سماعه، حتى أصبح منهاجا ثابتا في طلب العلم، لما يحمله من تطبيق واقعي لحديث رسول الله ﷺ ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ))^(٥).

(١) بسر بن عبيد الله الحضرمي، فقيه شامي ثقة، قال أبو مسهر: هو أحفظ أصحاب أبي إدريس الخولاني، عاش إلى حدود سنة عشر ومائة، وكان من علماء دمشق، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك، انظر: سير أعلام النبلاء، ٥٩٢/٤.

(٢) انظر: الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، ص ١٤٧-١٤٨، رقم: ٥٧.

(٣) رفيع بن مهران الرياحي البصري، إمام مقرئ حافظ مفسر، وأحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق، وسمع عن كثير من الصحابة، حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وتُعد صيته، توفي سنة: (٩٠هـ)، وقيل غير ذلك، انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٠٧/٤-٢١٣.

(٤) انظر: الرحلة في طلب العلم، لخطيب البغدادي، ص ٩٣، رقم: ٢١.

(٥) رواه أبي داود في سننه، كتاب العلم باب الحث على طلب العلم، (٢٣٧/٤)، رقم الحديث: ٣٦٣٦، واللفظ له، ورواه الترمذي في سننه كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم، ٢٨/٥، رقم الحديث: ٢٦٤٦، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٤٠٧/٢، رقم: ٣٦٤١.

المسألة الثالثة : التثبيت من سند الرواية.

إن من فضل الله تعالى على هذه الأمة، أن وعدّها بحفظ ما أوحى به إلى نبيها ﷺ من تشريع، فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١)، وإذا كان الذكر هو القرآن الكريم، فإن حديث النبي ﷺ هو المبين له، والمفصل لأحكامه، فكان حفظه بحفظه.

وإن من مزيد النعم التي أنعمها الله على هذه الأمة، أن يسرّ لها رجالاً يحفظون نصوص هذا الدين، جيلاً بعد جيل، إلى أن وصل إلينا بغير انقطاع، وذلك من خلال الإسناد الذي هو ميزة هذه الأمة لا تعرفه الأمم الأخرى.

تعريف الإسناد

الإسناد في اللغة: "مصدر سند، يقال: فلان سند، أي: معتمد، ويقال: ساندته إلى الشيء فهو يتساند إليه أي أسندته إليه، والمسند من الحديث ما اتصل إسناده حتى يسند إلى النبي ﷺ"^(٢).

وفي الاصطلاح: "هو سلسلة الرجال الموصولة للمتن"^(٣).

والإسناد خصيصة من خصائص هذه الأمة، إذ يروى بها الأحاديث، ويعرف بها طريقه، فصار اهتمام الرواة والأئمة بالأسانيد، وأصبح الحديث الذي لا إسناد له لا قيمة له، لأنه يعرف به الحديث الصحيح عن سقيمه.

ولما ظهرت الفتن في أواخر الخلافة الراشدة، وما تبع ذلك من انقسامات واختلافات، وظهور الفرق والمذاهب المبتدعة، عندها بدأ العلماء من الصحابة والتابعين بالتثبيت والتحري في نقل الأحاديث، من خلال البحث عن الأسانيد، والنظر في مصادر الروايات، بحيث لا يقبلون منها إلا ما عرف طريقه، واطمئن إلى ثقة راويه، وعدالته وضبطه.

(١) سورة الحجر، آية: (٦).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٢٢/٣، مادة: سند.

(٣) أصول التخريج ودراسة الأسانيد، محمد الطحان، المطبعة العربية، حلب - سوريا، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م،

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه ^(١).

ومما يدلُّ على ذلك أيضًا قول محمد بن سيرين ^(٢): لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمو لنا رجالكم فلينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم؛ وينظر إلى أهل البدعة، فلا يؤخذ حديثهم ^(٣).

ومقولة ابن سيرين وضعت أساسيات المنهج العلمي لقبول الحديث، بحيث: أدت إلى الالتزام بالإسناد في الرواية، فلا يقبل حديث بغير إسناد - سمو لنا رجالكم -، وميّزت بين الرواة، وذلك بقبول رواية أهل الصدق والأمانة، ورد رواية أهل الزيغ والضلال ^(٤).

وكان من شدة اهتمامهم، التثبت من صحة سماع الراوي، للتأكد من اتصال سنده، "فعن شعبة ^(٥) أنه روى عن عبد الرحمن بن القاسم ^(٦)، عن أبيه، عن عائشة، أنها أرادت أن تشتري بريرة،

(١) انظر: صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، ١٢/١.

(٢) محمد بن سيرين البصري، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي من أشراف الكتاب، مولده ووفاته في البصرة، تفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، استكتبه أنس بن مالك بفارس، توفي سنة (١١٠هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/٦٠٦-٦٢٢، والأعلام للزركلي ١٥٤/٦.

(٣) انظر: صحيح مسلم في المقدمة باب في أن الإسناد من الدين، ١٢/١.

(٤) انظر: المفيد في تعديد علوم الحديث، علي بن إبراهيم آل عجين، الطبعة الأولى، عمان، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٥٤.

(٥) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي البصري، أبو بسطام، من أئمة رجال الحديث، حفظا ودراية وتثبنا، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، قال الإمام الذهبي: كان أبو بسطام إماما ثبتا، حجة، ناقدًا، جهيدًا، صالحًا، زاهدًا، قانعا بالقوت، رأسا في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو أول من جرح وعدل، له كتاب الغرائب في الحديث، توفي بالعراق سنة (١٦٠هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢٠٢/٧، والأعلام للزركلي، ١٦٤/٣.

(٦) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي القرشي، أبو محمد، من سادات أهل المدينة، قال الإمام الذهبي: كان إماما، حجة، ورعا، فقيه النفس، كبير الشأن، حدث عنه شعبة وسفيان الثوري والأوزاعي، ومالك، وسفيان بن عيينة، وآخرون، توفي في الشام سنة (١٢٦هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥/٦، والأعلام للزركلي، ٣٢٢/٣.

فذكر الحديث^(١).

قال شعبة: فقلت لسماك بن حرب^(٢): إني أتقي أن أسأله عن الإسناد، فسله أنت، قال: وكان في خلقه شيء، قاله له سماك: بعدما حدث، أحدثك بهذا أبوك عن عائشة؟ قال عبد الرحمن: نعم، فلما خرج قال لي سماك: يا شعبة استوثقت لك منه^(٣).

ولهذه الأمور ولغيرها، تواترت الأخبار عن الأئمة في بيان أهمية الإسناد، والحث عليه، حتى جعلوه قرينة وديناً، فجاءت عبارات الأئمة والرواة، في التشديد على التمسك بالإسناد، والتزامه في الرواية، واعتباره جزءاً من الدين، مما يوجب على المرء أن يعرف، عمن يأخذ دينه.

عن عبد الله بن المبارك رحمته الله قال: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد، لقال من شاء ما شاء^(٤).

وعنه أيضاً قال: الذي يطلب دينه بلا إسناد، كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم^(٥).

وقال الحافظ يزيد بن زريع^(٦): لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد^(٧).

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالى أزواج النبي، ٥٤٣/٢، رقم الحديث: ١٤٢٢.
(٢) سماك بن حرب بن أوس بن خالد البكري، أبو المغيرة، من رجال الحديث، أدرك جلة من الصحابة روى له مسلم وأصحاب السنن، والبخاري في التاريخ، توفي سنة (١٢٣هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٤٥/٥، والأعلام للزركلي ١٣٨/٣.

(٣) انظر: دراسات في الجرح والتعديل، محمد ضياء الأعظمي، الطبعة الأولى، المدينة المنورة: مكتبة الغرابة الأثرية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ٢٤٠.

(٤) انظر: صحيح مسلم في المقدمة، باب في أن الإسناد من الدين، ١٢/١.

(٥) انظر: الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، مراجعة عبد الحليم محمد وعبدالرحمن حسن محمود، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ص ٥٥٨.

(٦) يزيد بن زريع البصري العيشي، أبو معاوية، محدث البصرة في عصره، قال أحمد بن حنبل: كان ربحانة البصرة، ما أتقنه وما أحفظه، وقال ابن سعد: كان ثقة حجة كثير الحديث، توفي سنة (١٨٢هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٩٦/٨، والأعلام للزركلي، ١٨٢/٨.

(٧) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، مبارك بن محمد بن الأثير، تصحيح محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩، ٥٩/١.

وقال الإمام سفيان الثوري: الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟^(١).

ونتج عن ذلك الاهتمام بالإسناد، ومعرفة صدق الرواة، والتأكد من حسن سماعهم لما يروونه، وحقيقة لقائهم بشيوخهم، وعدم الزيادة أو النقصان أو التحريف أو التصحيف فيما يروون، من أجل التثبت من أهليتهم لرواية الحديث، وكما نتج عنه، الاهتمام بمعرفة اتصال السند أو انقطاعه، وعلوه ونزوله، وغير ذلك ممّا فصله وبينه فن علم مصطلح الحديث.

فكان للإسناد أهمية كبيرة في صيانة الشريعة من التحريف والتبديل، وحفظها من الزيادة أو النقص، ومعرفة صحة الحديث أو ضعفه، أو أنه خبر موضوع لا أصل له، وذلك من خلال التثبت في الأخبار، والتفتيش عن الرجال، ومعرفة حال ناقل الخبر، من حيث القبول أو الرد، ومعرفة صدقه وعدله، وضبطه وإتقانه وأمانته، والتي برزت وظهرت بجهود علماء الحديث.

وهذا ما جعل العلماء يؤكدون على ضرورة التثبت، في مصادر الرواية، ويسألون عن الرجال الذين اشتركوا في نقلها، وكانوا لا يقبلون حديثاً ورد إليهم، إلا إذا أسنده صاحبه وتأكدوا من صحة هذا الإسناد، مهما كانت مكانة راويه .

قال الإمام ابن أبي حاتم الرازي^(٢): فإن قيل، فبماذا تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة؟ قيل: بنقد العلماء الجهابذة الذين خصهم الله بهذه الفضيلة، ورزقهم هذه المعرفة في كل دهر وزمان^(٣).

ونتيجة لهذا التأكيد على المطالبة بالإسناد، وما حظي به من اهتمام بالغ وعناية فائقة، كانت طريقة تدوين الحديث منذ القرن الثاني الهجري، والتي سلكها أهل الحديث، طريقة أطلق

(١) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، مبارك بن محمد بن الأثير، ٥٩/١.

(٢) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم، قال الإمام الذهبي: طوف البلاد، وبيع في المتن والاسناد، وجمع وصنف، وجرح وعدل، وصحح وعلل، له تصانيف، الجرح والتعديل والرد على الجهمية، وعلل الحديث، والمراسيل، و آداب الشافعي ومناقبه، توفي سنة (٣٢٧هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٤٧/١٣، والأعلام للزركلي، ٣٢٤/٣.

(٣) انظر: الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ٢/١.

عليها اسم المسانيد: وهي جمع أحاديث كل صحابي على حده، وترتيب أسماء الصحابة فيها قد يكون على نسق حروف المعجم، أو الأسبقية في الإسلام، أو القبائل والبلدان^(١).

ومن أشهر هذه المسانيد:

أ- مسند الطيالسي^(٢).

ب- مسند الحميدي^(٣).

ت- مسند أحمد بن حنبل.

ث- مسند البزار^(٤).

ج- مسند أبي يعلى الموصلي^(٥).

وغيرها من كتب المسانيد.

فكانت هذه المسانيد، هي العمدة في الطريقة التي سلكها المؤلفون الذي جاؤوا من بعد، فعولوا عليها، واعتمدوها مصادر لهم، واستمر نهج العلماء الذين كتبوا الصحاح والمسانيد والسنن على هذا النهج في التزام الإسناد التزاماً دقيقاً.

(١) انظر: محاضرات في علوم الأحاديث، محمد إبراهيم عبدالرحمن، الطبعة الثانية، كنده للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٤٢.

(٢) سليمان بن داود بن الجارود، أبو داود الفارسي، الحافظ الكبير البصري، قال عنه العجلي: أبو داود ثقة، كثير الحفظ، وقال النسائي: ثقة من أصدق الناس لهجة، وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث، توفي سنة (٢٠٤هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٧٨/٩.

(٣) عبد الله بن الزبير الحميدي الاسدي، أبو بكر، أحد الأئمة في الحديث، من أهل مكة رحل منها مع الإمام الشافعي إلى مصر، ولزمه إلى أن مات، فعاد إلى مكة يفتي بها، وهو شيخ البخاري، توفي بمكة سنة (٢١٩هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٦١٦/١٠، والأعلام للزركلي، ٨٧/٤.

(٤) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار، حافظ من العلماء بالحديث، من أهل البصرة، توفي سنة (٢٩٢هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٥٤/١٣، والأعلام، للزركلي، ١٨٩/١.

(٥) أحمد بن علي بن المثني التميمي الموصلي، أبو يعلى، حافظ من علماء الحديث، ثقة مشهور، نعته الذهبي بمحدث الموصل، توفي سنة (٣٠٧هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٧٤/١٤، والأعلام للزركلي، ١٧١/١.

وكل هذا، يؤكد لنا أهمية الإسناد، في علم الحديث، ومدى عناية الأمة به، فحري بأهل الحديث، وطلبة العلم والدعاة إلى الله، الالتزام بطريقة المحدثين في التثبت في الرواية، والتمحيص للأخبار، والنظر في أحوال الرجال، لما في ذلك من موافقة لمنهج الكتاب والسنة، وهدى السلف الصالح.

المسألة الرابعة: علم الجرح والتعديل، وارتباطه بالتثبّت .

إن التحديات التي واجهت أهل العلم والمحدثين من تدفق الأسانيد والمرويات بكثرة، وذلك بعد الفتوحات الكبرى للمسلمين، والتي نتج عنها تجاور وتمازج للحضارات التي كانت لها تأثيرات واسعة، وانتشار الفتن، وما أعقبها من ظهور الفرق والاتجاهات، ذات الآراء المتعارضة والأهواء المذهبية، والتي أدت إلى تفشي الكذب، ولجوء أتباع هذه الفرق إلى الوضع في الحديث والأخبار، كل ذلك كان دافعاً للعلماء إلى التأكيد على ضرورة التثبّت، في مصادر الرواية، والسؤال عن الرجال، الذين اشتركوا في نقلها، فكان أن تحتم عليهم، أخذ الحيطّة من محاولات الأعداء من تحريف مصادر التلقي عند المسلمين، والوقوف وقفة جادة من تلك الروايات المغرّضة، ودرئها برسم السبل الناجعة لمواجهتها، وكشف عوار ناقلها.

فنتج عن هذا كله، نشأة وبروز علم الجرح والتعديل، أو علم الرجال، وكان الغرض منه الكشف عن أحوال رواة السنة، وتمييز الصادق من الكاذب، والضابط من الواهم، والموثوق بروايته من المطعون فيها.

تعريف الجرح والتعديل:

الجرح في اللغة: هو التأثير في البدن بشق أو قطع، واستعير في المعنويات، بمعنى التأثير في الخلق والدين بوصف يناقضهما.

والجرح في الاصطلاح: هو وصف الراوي، بما يقتضي رد روايته .

والتعديل في اللغة: هو التقويم والتسوية، واستعير في المعنويات، بمعنى الثناء على الشخص، بما يدل على دينه القويم، وخلقة السوي.

والتعديل في الاصطلاح: هو وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته^(١).

فعلم الجرح والتعديل، عبارة عن قواعد وألفاظ مخصوصة، يبني عليها معرفة الرواة، وإنزال كل راوٍ منزلته التي يستحقها، وما يترتب عليها من قبول روايته أو ردها.

(١) انظر: التأصيل لعلم الجرح والتعديل، د. حاتم الشريف، الطبعة الأولى، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ

والجرح والتعديل كان له دافعه في حياة النبي ﷺ، ومن ذلك قوله ﷺ لفاطمة بنت قيس^(١): ((أُمَّا أَبُو جَهْمٍ^(٢)، فَلَا يَضْعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ))^(٣).

وقوله أيضاً، لرجل استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال له: ((بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ))^(٤).

كما أن بعض الصحابة، كانت تأخذهم الحيطة والحذر، عند ذكر حديث رسول الله ﷺ، والتثبث من الرواة، فعن ابن عباس أنه جاءه بشير العدوي^(٥)، وجعل يحدث ويقول: "قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس ما لي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع، فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"^(٦).
وقد ذكر الإمام الحاكم النيسابوري^(٧):

(١) الصحابية: فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية، كانت من أوائل المهاجرات، وكانت تحت أبو حفص بن المغيرة، فطلقها، فتزوجت بعده أسامة بن زيد، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٢٣٠/٧.

(٢) الصحابي: أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر القرشي العدوي، قيل: اسمه عامر، وقيل: عبید بن حذيفة، أسلم عام الفتح، كان معظماً في قريش، مقدماً فيهم، توفي أيام معاوية، انظر: أسد الغابة، ١٢٠/٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، ١١١٤/٤، رقم الحديث: ٣٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ٢٢٤٤/٥، رقم الحديث: ٥٨٦٥.

(٥) الصحابي: بشير بن كعب العدوي البصري، أبو أيوب، اختلف في صحبته، انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ٢٣٦/١.

(٦) صحيح مسلم، في المقدمة، ١٢/١.

(٧) محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث، والمصنفين فيه، ولي قضاء نيسابور، من مصنفاته: المستدرک على الصحيحين، المدخل في أصول الحديث، وتراجم الشيوخ، والصحيح في الحديث، وفضائل الشافعي، توفي بنيسابور سنة (٤٠٥هـ)، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ١٥٥/٤، والأعلام للزركلي، ٢٢٧/٦.

أن أبا بكر وعمر وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت^(١) -رضوان الله عليهم أجمعين- جرحوا وعدلوا، وبحثوا عن صحة الروايات وسقيماها^(٢).

ثم كان التابعون رؤساء الجرح والتعديل، وكانوا جماعة، منهم: سعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، ومحمد بن مسلم بن الشهاب الزهري^(٣)، وكان كل منهم بمثابة نواة لنشأة مادة واسعة في علم الرجال، يتداولها العلماء والنقاد في العصور التالية، حيث الذين جاءوا بعدهم، سلكوا طريقة من سبقهم، واهتدوا بسنتهم، فطلبوا الإسناد، وقوموا الرواة، وعدلوا في ذلك كل العدل، فأعطوا كل راو ما يستحقه، من أوصاف الضبط والعدالة، دون محاباة، وما كان من تجريح لغيرهم من الرواة، ليس هدفه الطعن فيهم، أو الانتقاص منهم، وإنما الهدف منه؛ المساهمة في حماية الدين والشرع الحنيف، من الأخبار والروايات الموضوعية والمكذوبة.

ثم صُنِّفَت الكتبُ في الجرح والتعديل والعلل، والتي كان فيها تبيين لأحوال الرواة، من تلك الكتب: أ- كتاب الجرح والتعديل، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.

ب- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام يوسف بن عبد الرحمن المزني^(٤).

ج- كتاب تهذيب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

د- كتاب ميزان الاعتدال، وكتاب تذكرة الحفاظ في نقد الرجال، للإمام محمد بن أحمد

الذهبي.

(١) الصحابي: زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي، كان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة، إحدى عشرة سنة، وأول مشاهدته الخندق، وكان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، وغيره، وكان أعلم الصحابة بالفرائض، ومن الراسخين في العلم، قال رسول الله ﷺ: ((أفرضكم زيد))، روى عنه من الصحابة: ابن عمر، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وغيرهم، ومن التابعين: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وسليمان بن يسار، وأبان بن عثمان، وغيرهم، توفي سنة (٤٥هـ)، وقيل سنة (٤٢هـ) وقيل غير ذلك، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٢/٢٧٨.

(٢) انظر: معرفة علوم الحديث، محمد بن عبد الله النيسابوري، تصحيح وتعليق: معظم حسين، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٧م، ص ٥٢.

(٣) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أبو بكر، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، وروي عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، قال: ما رأي أحد جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب، توفي سنة (١٢٤هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٢٦/٥، والأعلام، للزركلي، ٧/٩٧.

(٤) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي المزني، أبو الحجاج، محدث الديار الشامية في عصره، مهر في اللغة، ثم في الحديث ومعرفة الرجال، له من التصانيف: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، و تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، توفي بدمشق سنة (٧٤٢هـ)، انظر: المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، ص ٢٩٩، والأعلام للزركلي، ٨/٢٣٦.

ر - كتاب المجروحين، وكتاب الثقات، للإمام محمد بن حبان البستي.

والطريق إلى معرفة الحديث الصحيح من السقيم، لا يكون إلا بمعرفة علم الجرح والتعديل، والوقوف على أحوال الرجال، قال الإمام الرازي: فإن قيل: كيف السبيل إلى معرفة ما ذكر من معاني كتاب الله ﷻ ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه النجباء الذين شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل، فإن قيل: فماذا تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة؟ قيل: بنقد العلماء الجهابذة، الذين خصهم الله بهذه الفضيلة، ورزقهم هذه المعرفة في كل دهر وزمان^(١).

وقال الإمام مسلم مبيناً أهمية الجرح والتعديل:

وإنما التزموا، أي أئمة الحديث بالكشف عن معايب رواة الحديث، وناقلي الأخبار، وأفتوا بذلك حين سئلوا لما فيه من عظيم الخطر، إذ الأخبار في أمر الدين، إنما تأتي بتحليل أو تحريم أو أمر أو نهي، أو ترغيب أو ترهيب، فإذا كان الراوي لها ليس بمعدن للصدق والأمان، ولم يبين ما فيه لغيره ممن يجهل معرفته، كان آثماً بفعله، ذلك غاشا لعوام المسلمين، إذ لا يؤمن على من سمع تلك الأخبار أن يستعملها، أو يستعمل بعضها، ولعلها أو أكثرها أكاذيب، مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات، وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة^(٢).

وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني^(٣): فلما وجب طاعته ومتابعته ﷺ، لزم كل عاقل ومخاطب الاجتهاد في التمييز بين صحيح أخباره، وسقيم آثاره، وأن يبذل مجهوده في معرفة ذلك، واقتباس سنته وشريعته، من الطرق المرضية، والأئمة المهديّة، وكان الوصول إلى ذلك متعذراً إلا

(١) انظر: الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، الطبعة الأولى، ١٣٧١ - ١٩٥٢م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد، الهند (٢/١).

(٢) صحيح مسلم، المقدمة، ١٢/١.

(٣) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم، حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية، من تصانيفه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ومعرفة الصحابة، ودلائل النبوة، وذكر أخبار أصبهان مجلدان، توفي بأصبهان سنة (٤٣٠هـ)، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٤/١٨، والأعلام للزركلي، ١/١٥٧.

بمعرفة الرواة، والفحص عن أحوالهم وأديانهم، والبحث والكشف عن صدقهم وكذبهم، وإتقانهم وضبطهم، وضعفهم ووهائهم وخطئهم"^(١).

قال علي بن المديني موضحاً أهمية الجرح والتعديل، وأنه نصف ما يقوم عليه علم الحديث: التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم^(٢).

فلما رأى أهل العلم ذلك، نهضوا لتبيين أحوال الرجال، والذب عن حديث رسول الله ﷺ، فما من مصر من الأمصار إلا وفيه جماعة يمتحنون الرواة، ويعرفون أحوالهم، ويقارنون مروياتهم، ويتحققون من سماعتهم.

واستخدم أئمة الجرح والتعديل ألفاظاً كثيرة في تقديم لرواة الحديث، ولكثرة تعددها وتشعبها كانت الألفاظ متعددة المراتب.

وأول من تكلم في مدلولات ألفاظ الجرح والتعديل، هو الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي حيث قال: ووجدت الألفاظ في الجرح والتعديل على مراتب شتى:

المرتبة الأولى: فإذا قيل للواحد إنه ثقة أو متقن ثبت، فهو ممن يحتج بحديثه .

المرتبة الثانية: وإذا قيل له صدوق أو محله الصدق أولاً بأس به، فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه.

المرتبة الثالثة: وإذا قيل شيخ، فهو بالمنزلة الثالثة يكتب حديثه وينظر فيه إلا أنه دون الثانية.

المرتبة الرابعة: وإذا قيل صالح الحديث، فانه يكتب حديثه للاعتبار".

ثم قسم مراتب التجريح إلى أربع مراتب:

المرتبة الأولى: وإذا أجابوا في الرجل بلين الحديث فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتباراً.

المرتبة الثانية: وإذا قالوا ليس بقوى، فهو بمنزلة الأولى في كتابة حديثه إلا أنه دونه.

المرتبة الثالثة: وإذا قالوا ضعيف الحديث، فهو دون الثاني لا يطرح حديثه بل يعتبر به.

(١) انظر: كتاب الضعفاء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: فاروق حمادة، الطبعة الأولى، المغرب، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ص ٤٥.

(٢) انظر: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الحسن بن عبد الرحمن الراهمزمي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٣٩١هـ-١٧٧١م، ص، ٣٢٠.

المرتبة الرابعة: وإذا قالوا متروك الحديث أو ذاهب الحديث أو كذاب، فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه وهي المنزلة الرابعة^(١).

المسألة الخامسة: الإفتاء بغير علم والتسرّع فيه.

إنَّ لنشر العلم وسائل كثيرة، منها: التصدي للإفتاء، وذلك لحاجة الناس إليه، وكثرة التعويل عليه، خاصة في الأزمنة التي يقلُّ فيها الإقبال على العلم وطلبه.

والفتوى تحظى بأهمية بالغة، وذلك لمنزلتها الكبيرة، ومكانتها العظيمة، ونفعها العميم، ولكونها المنصب الذي تولاه الربُّ ﷻ، حيث أفتى عباده ونسب الإفتاء إلى ذاته ﷻ، حيث قال: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ﴾^(٣).

قال ابن القيم ﷻ: وأول من قام به من هذه الأمة سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، عبد الله ورسوله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين، وكان كما قال له أحكم الحاكمين ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكَلَّفِينَ﴾^(٤)، فكانت فتاواه ﷻ، جوامع الأحكام، ومشملة على فصل الخطاب^(٥).

تعريف الفتوى.

الفتوى في اللغة:

يقال: أفتى الرجلُ في المسألة، واستفتيته فأفتاني إفتاءً، ويقال: أفتيتُ فلاناً في رؤيا رآها، إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته: إذا أجبتُه عنها، وأفتى المفتي: إذا أحدث حكماً^(٦).

(١) انظر: الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ٣٧/٢، بتصرف.

(٢) سورة النساء، آية: (١٢٧).

(٣) سورة النساء، آية: (١٧٦).

(٤) سورة ص، آية: (٨٦).

(٥) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، ١٧/٢.

(٦) انظر: تهذيب اللغة، ل محمد بن أحمد الأزهرى، ٣٢٩/١٤.

وأفتاه في الأمر: أبانته له، وأصل الإفتاء والفتيا تبين المشكل من الأحكام^(١).
و الفتوى في الاصطلاح:

قال القرافي^(٢): "الفتوى إخبار عن حكم الله تعالى في إلزام أو إباحة"^(٣).

وقيل إنها: "توقيع عن الله تبارك وتعالى"^(٤).

فالمفتي موقَّع عن الله ﷻ في فتواه، التي بيّن من خلالها حكم الله من إباحة أو تحريم،
والتسرّع والتقول فيها من غير علمٍ من أعظم المحرمات، لما فيه من إغواء وتضليل للمستفتيين،
وإلى ما قد يفضي من عدم إصابة الحق، وإلى الجرأة للافتراء على الله، والوقوع فيما نهي عنه،
قال تعالى منبّهًا ومحذّرًا من ذلك:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٥)،

ويقول ﷻ:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ

يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(٦).

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤٥/١٥، مادة: فتا.

(٢) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي، أبو العباس، من علماء المالكية، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها أنوار البروق في أنواع الفروق، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، وتصرف القاضي والإمام، وشرح تنقيح الفصول، وغيرها من المصنفات، توفي بمصر سنة (٦٨٤هـ)، انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون، ٢٠٥/١، والأعلام للزركلي، ٩٤/١.

(٣) انظر: الفروق وأنوار البروق في أنواع الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، ضبطه: خليل المنصور، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ١١٢/٤.

(٤) انظر: أدب المفتي والمستفتي، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق د. موفق عبد الله، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ص ٧٢.

(٥) سورة الإسراء، آية: (٣٦).

(٦) سورة النحل، آية: (١١٦).

وفي رواية مرسله^(١) لعبيد الله بن أبي جعفر^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: ((أجرؤكم^(٣) على الفتيا، أجرؤكم على النار))^(٤).

قال الإمام المناوي رحمه الله: أي أقدمكم على إجابة السائل عن حكم شرعي من غير تثبث وتدبر، ثم قال: لأن المفتي مبين عن الله حكمه، فإذا أفتى على جهل، أو بغير ما علمه، أو تهاون في تحريره أو استنباطه، فقد تسبب في إدخال نفسه النار، لجرأته على المجازفة في أحكام الجبار^(٥).

فلا ينبغي لأحد أن يقتحم حمى الفتوى، ولم يتأهل لذلك.

وقد جاء التنبيه والتحذير، بأن من أفتى وليس بأهل للفتوى، فهو آثم عاص، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ أَفْتَى بِفُتْيَا غَيْرِ ثَبَّتٍ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ))^(٦). وفي هذا توجيه وتنبيه لمن أقحم نفسه في حمى الفتوى، وهو غير مؤهلاً لها، أنه معرض لتحمل ما يترتب عليه من الإثم والوزر.

-
- (١) المرسل، هو: ما رفعه التابعي إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، انظر: أصول الحديث علمه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٢٢٢.
- (٢) عبيد الله بن أبي جعفر، أبو بكر المصري، إمام حافظ فقيه مصر، ولاؤه لبني أمية، واسم أبيه يسار، قال الإمام أحمد بن حنبل: ليس به بأس كان يتفقه، وقال أبو حاتم: ثقة، توفي سنة (١٣٦هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، ٨/٦-١٠، وشذرات الذهب، عبد الحي العكبري الحنبلي، ١/١٩٠.
- (٣) الجرأة: الإقدام على الشيء، انظر: تاج العروس للزبيدي، ١/١٧٠.
- (٤) مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، الرياض: دار المغني، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، في المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، ١/٢٥٩، رقم الحديث: ١٥٩، قال المحقق: إسناده معضل، عبيد الله بن أبي جعفر ماعرفنا له رواية عن الصحابة، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزياداته، ل محمد بن ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٢٣، رقم: ١٤٧.
- (٥) انظر: فيض القدير في شرح الجامع الصغير، للمناوي ١/٣٠٠.
- (٦) سننه ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، حققه خليل مأمون شيحا، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، كتاب السنة، باب اجتناب الرأي والقياس، ١/٤٠، رقم الحديث: ٥٣، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ل محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ٣٥/١، رقم: ٤٧.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية، شديد الإنكار على من يدعي العلم ويتصّدر للفتيا، فقال له بعض هؤلاء المتسرعين في الفتوى: أجمعت محتسبًا على الفتوى؟ فقال له: يكون على الحُبَّازين والطباخين محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب! (١).

كما أن السلف رضوان الله عليهم، كانوا يتحرزون ويتهيّبون من التّسرّع والاستعجال في الفتوى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وكان السلف من الصحابة والتابعين، يكرهون التسرع في الفتيا، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه، بذل جهده في معرفة حكمها من الكتاب أو السنة، أو قول الخلفاء الراشدين، ثم أفتى (٢).

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى (٣) رحمه الله: أدركت عشرين ومائة من الأنصار، ما منهم من رجل يحدث بحديث إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا يفتي في مسألة، إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا فيها (٤).

وفي لفظ آخر قال: كانت المسألة تُعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر، ويردها الآخر إلى الآخر، حتى تعود إلى الأول (٥).

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: العجلة في الفتوى نوعٌ من الجهل والحرق (٦). فكانوا يتدافعون في موضوع الخبر والفتيا؛ خشية التسرع أو التعجل من التقول على الشرع دون علم أو بصيرة .

(١) انظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، ٦/١٣١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢/٦٣.

(٣) عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، أبو عيسى، وقيل أبو محمد، ولد في خلافة الصديق، وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه، روى عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهم من الصحابة، توفي سنة: (٨٣هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/٢٦٢-٢٧٦.

(٤) انظر: إعلام الموقعين، ٢/٦٣.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ١/٩٢.

(٦) انظر: إعلام الموقعين، ٣/٤٤٥.

ومن جاء بعدهم من التابعين والعلماء الربانيين، كانوا كذلك يتدافعون في الفتيا، وكانوا يكثرون من قول: لا أدري، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالم لا أدري، أُصيبت مقاتلته ^(١)، لأنه إذا فاتته قول: لا أدري، فقد يعرض نفسه للضرر العظيم، و يوقعها في حرج لا مناص منه .

فكان السلف - رضوان الله عليهم - يكرهون التسرع في الفتيا، ولا تصدر الفتوى إلا بعلم وتأمل وتأكد، ولا يستعجلون فيها، ويقولون فيما لا يدرون: لا ندري!، خشية الوقوع في الخطأ، وكان الواحد منهم، إذا رأى أنها قد تعيَّنت عليه، أجلَّ السائل يومًا، حتى يتأمل المسألة ليبدل جهده في معرفة الحكم من الكتاب والسنة، وأقوال الخلفاء الراشدين، ثم أفتى بما سئل عنه .

والنبي صلى الله عليه وآله حذَّر ونبَّه من الإفتاء بغير علم، وعدَّ إفتاء المصاب دون علم بمنزلة القاتل له. فقد ذُكر في حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجرٌ في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات؛ فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وآله أُخبرَ بذلك، فقال: ((قتلوه قتلهم الله؛ ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ وإنما شفاء العيِّ السُّؤال)) ^(٢).

والتَّسرع في الفتيا، يدفع كثير من النَّاس إلى عدم التثبت في الأقوال والأفعال، فيكون في ذلك نشر الآراء الباطلة عن العلماء، ونقل الفتاوى دون التثبت من مصادرها، أو التحري في صحتها من خطأها، وبسبب ذلك تجد كثيرًا من الآراء الغريبة والشاذة انتشرت عند الناس.

(١) انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص ٨٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب في المرحوح يتيمم، ٣١٦/١، رقم الحديث: ٣٤٠، وحسنه الألباني،

صحيح سنن أبي داود، ١٠١/١، رقم: ٣٣٦.

ومن التسرع المذموم في الفتيا التَّقُول والخوض فيها من غير علم ومعرفة، رأى رجلٌ ربيعةَ بن أبي عبد الرحمن^(١) ييكي، فقال له: ما ييكيك؟ فقال: استُفِّيتي من لا عِلْمَ لَهُ، وظهرَ في الإسلام أمرٌ عظيم، وقال: لبعض من يُفِّيتي، ها هنا أحق بالسجن من السُّراق^(٢).

وذلك لما ظهر من بعضهم، ضَعْف في أمانته، وتخبُّطه في الفتوى، والتسرع في إصدارها من غير علم وتأنٍ وتثبت ودراسة.

و في زمن الفتن يجب الحذر والحيطه من التسرع في إصدار الفتوى، لأنها تزداد تعقيداً وعسراً عند حلول الفتن، ولهذا كان الإمام مالك رحمته الله، يقول إذا سئل عن شيء: "اللهم سلمنا وسلم منا".

إنَّ العاقل والمتأني يُدرك أنَّ التسرع في الفتوى والجرأة فيها من غير علم، قد تُجلب آثاراً سلبية للدين وشرائعه، من الاستهانة به، وتشويش لقضاياها واضطرابها، وتجربة للغير على التطاول على مقامات العلماء، والخوض في أمور هي من شأن الراسخين في العلم.

(١) ربيعة بن فروخ المدني، أبو عثمان، إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيراً بالرأي، فلقب بريعة الرأي، وكان صاحب الفتوى بالمدينة، روى عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار، وعن غيرهم، وكان من أوعية = العلم، وثقه أحمد بن حنبل، وأبو حاتم، وجماعة، توفي سنة ١٣٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٧٩/٦، والأعلام للزركلي، ١٧/٣.

(٢) انظر: إعلام الموقعين، ١١٨/٦.

المطلب الثالث

المجال الإعلامي في نشر الأخبار

وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الإعلام في اللغة والاصطلاح.

المسألة الثانية: الدعوة إلى تحري الصدق والتثبت في نشر

الأخبار.

المسألة الثالثة: في كيفية التثبت والتعامل مع الأخبار.

المطلب الثالث: المجال الإعلامي

تمهيد:

الإعلام هو السمة المميزة في المجتمع، وأصبح له تأثير في حياة الناس، في تغيير اتجاهات الأفراد، وإبراز الأحداث و الأخبار، كما أنه الوسيلة التي تتقدم بها الشعوب والدول. وقد يكون لها دور في الحفاظ على سلامة المجتمعات، من الشرور والأخطار، وذلك بالوعي، وتقوية الوازع الإيماني، وتبيين الحقائق ونشرها، بإخلاص وصدق وشفافية، دون تزييف أو إلتواء، وعدم التساهل في ما ينقل من الكلام، لاسيما في أوقات الأزمات. ويتضمن هذا المطلب المسائل التالية:

المسألة الأولى: تعريف الإعلام في اللغة والاصطلاح.

أ- الإعلام في اللغة: من مادة علم، والعلم: نقيض الجهل، وأذنتك بالشيء أعلمتكم، وأذنته أعلمته، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ ﴾^(١) أي: إعلام، والأذان والأذنين والتأذنين: النداء إلى الصلاة وهو الإعلام بما وبوقتها، ويقال: استعلم لي خبر فلان، وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمني الخبر فأعلمته إياه، وعلم الأمر وتعلمه: أتقنه^(٢).

ب- تعريف الإعلام في الاصطلاح.

عرّف الإعلام بعدة تعريفات منها:

١- الإعلام هو: تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعاً عن عقلية الجماهير، واتجاهاتهم وميولهم^(٣).

٢- وقيل: الإعلام، هو التعبير الموضوعي لعقيلة الجماهير، ولروحها وميولها، واتجاهاتها في نفس الوقت^(٤).

٣- الإعلام هو: العملية التي ينتقل بمقتضاها معنى بين الأفراد^(٥).

٤- وقيل: الإعلام، هو نشر للأخبار والحقائق والأفكار والآراء، يتم التعبير عنها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في إطار موضوعي، بعيد عن الهوى والغرض، من خلال أدوات ووسائل محايدة، بهدف إتاحة الفرصة للإنسان، للوقوف على الأخبار والحقائق، والأفكار والآراء، ليكون قادراً على تكوين فكره الخاص به، الذي يمكنه من اتخاذ الموقف الذي يراه ملائماً^(٦).

(١) سورة التوبة، آية (٣).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٤١٦/١٢) (٩/١٣) مادة (علم- الأذان).

(٣) انظر: التخطيط الإعلامي، المفاهيم والإطار العام، حميد الدليمي، دار الشروق، عمان- الاردن، ١٩٩٨م، ص ١٢١.

(٤) انظر: المدخل إلى وسائل الإعلام، عبد العزيز شرف، ص ٧٤.

(٥) انظر: البحث العلمي والإعلام، نظريات وتطبيقاته، د. إسحاق القطب، ص ١.

(٦) انظر: الإعلام موقف، د. محمود محمد سفر، مكتبة تامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، (١٤٠٢هـ-

ومن مجموع تلك التعريفات، يتبين أن المقصود بالإعلام: تزويد الجماهير بالأخبار
وبالمعلومات الصحيحة، وبالمواد التثقيفية، التي تتوافق مع أفهامهم وميولهم، من خلال وسائل
إعلامية متعددة.

المسألة الثانية : الدعوة إلى تحري الصدق والتثبث في نشر الأخبار.

لقد ابتليت المجتمعات الإسلامية بكثير من الإعلام والإعلاميين، الذين يشوهون الحقائق، ويقبلون الحق باطلاً والباطل حقاً، حتى فقد الإعلام في المجتمعات المسلمة مصداقيته في الغالب، وانصرف الناس عنه يتلمسون الأخبار عند غيرهم .

وهذا في حين إن مادة الإعلام، وما يقدمه من أخبار وحوادث ومن تفاصيل وتحليلات، أصبحت هي الموجه للمجتمعات في عالمنا اليوم، وأصبح المتابع لها في حيرة من أمره، لأن ما يؤكد هذا، ينفيه ذلك، وما يعلنه الأول، يكذبه الثاني، وهذا الأمر له أثره النفسي والعملي السيئ على الفرد والمجتمع^(١).

ومنا هنا أصبح الناس اليوم في بلاد المسلمين، يثقون على مصادر الإعلام الغربي، أكثر من اعتمادهم بوسائل الإعلام في البلاد الإسلامية، وذلك بسبب التعقيم على ما تنقله، أو عدم مصداقيتها في نقل الأخبار، مما جعل الجمهور المسلم ينصرف عنها.

هذا، ولو التزمت وسائل الإعلام في البلاد المسلمة بضوابط المهنية والتزمت على منهج التثبث والتبين، وجعلت من قوله تعالى:

﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

﴿^(٢) شعاراً ونبراساً تقتدي به لتلقي الأخبار، والتوثق من تلك الأخبار المبتوثة عبر وسائلها، وعدم اتخاذ مواقف عملية ضدها، قبل إجراء التحقيق فيها وتمحيصها، ثم التزمت بالمصداقية والحياد في نقلها لتلك الأخبار، والتأني في النقد، والحكم على الآخرين، لكان لها القبول عند متابعيها من الجمهور.

وبناء عليه؛ فإن على هيئات الإعلام ومؤسساته الالتزام بالتحري والدقة عند نقل الحدث، ووجوب التثبث منها قبل نشرها، لأنه عمل ينبثق من عقيدة المسلم؛ عقيدة الالتزام بأمانة

(١) انظر: سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية، ناصر العمر، ص ٢٨٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: (٦).

الكلمة وصدقها ، ولا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة، قال تعالى:
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١)،

يقول سيد قطب: "و هذه الكلمات القليلة، تقيم منهجًا كاملاً للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثًا ، و يضيف إليها استقامة القلب، ومراقبة الله، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة، فالتثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة قبل الحكم عليها، هو دعوة القرآن الكريم، و منهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج، لم يبق مجال للوهم، والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم، ويجعل الإنسان مسئولاً عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع و البصر والفؤاد، إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب، أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح و الحواس و العقل والقلب جميعًا، أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها، كلما نطق اللسان بكلمة، و كلما روى الإنسان رواية، و كلما أصدر حكمًا على شخص أو أمر أو حادثة، ﴿و لا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، ولا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين، و ما لم تثبت من صحته، من قول يقال و رواية تروى، من ظاهرة تفسر أو واقعة تعلق، و من حكم شرعي أو قضية اعتقادية"^(٢).

ولذا يجب على أجهزة الإعلام عند التعامل مع المستجدات والأحداث، بأن تنظر إليها النظرة الإيمانية، و أن تعمل على توحيد مصادر التثبت في الأنباء، على منهج القرآن المدلول عليه
بقلوبه
سبحانه:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣).

(١) سورة الإسراء، آية: (٣٦).

(٢) في ظلال القرآن، ٤/٢٢٢٧.

(٣) سورة النساء، آية: (٨٣).

وهكذا يكون المسلم والداعية، يقوم بنشر الحق، ويدعو إليه، وينشره في وسائل الإعلام، مع التثبت والتبين في معرفة الحق، على بصيرة وعلم، كما قال ﷺ:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(١).

والاجتهاد في دفع الباطل، والقضاء عليه، حماية لعقول وأبصار المسلمين، من الوقوع في الشبهات المضلة، والمشاهد التي يتخللها الفساد، والذي يثيره الإعلام.

وهذا رسول ﷺ حين ما بلغه الموقف في يوم الأحزاب من نقض بني قريظة للعهد، لم يقبل الخبر على ما نقل إليه، بل أراد أن يتثبت ويتبين، فأرسل السعديين^(٢) ليستجلبوا له الخبر، ثم قال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم، أم، لا، فإن كان حقاً، فالحنوا لي لحنا أعرفه، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس.

ثم أقبل السعديين ومن معهما من الصحابة، على رسول الله، فقالوا لرسول الله ﷺ: عضل وقارة، -ذكروه بأخبار بعض من سلف من الغادرين-، فقال النبي ﷺ: الله أكبر! أبشروا يا معشر المسلمين^(٣).

فكان ﷺ يدرك المنهج الذي ينبغي أن تبث من خلاله الأخبار، وأن تنشر الوقائع. وهذا، خلاف ما هو حاصل في الإعلام، وذلك بنشر الحوادث والجرائم، وذكر تفاصيلها الدقيقة، فيكثر في نشرها الناحية السلبية من الإيجابية؛ والتهوين للمجتمع، وتجريتهم عليه. فينبغي مراعاة مثل هذه الأمور، واستخدام الدقة في مثلها؛ حتى لا يحصل من ذلك ما يكون فيه أثر غير محمود.

(١) سورة يوسف، آية: (١٠٨).

(٢) سعد بن عباد، وسعد بن معاذ، ﷺ.

(٣) انظر: السيرة النبوية، ل عبد الملك بن هشام، تحقيق، سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ، ٣/١٦٦ -

المسألة الثالثة: كيفية التثبت والتعامل مع الأخبار.

على ضوء ما سبق، يمكن توضيح كيفية التعامل ، في التثبت والتبين من الأخبار التي ترد عبر وسائل الإعلام، وذلك على نحو النحو التالي:

أولاً: أخبار ذات تأثير على الأفراد والجماعات أو الدول، مثل الأخبار العدوانية، ومثل هذه الأخبار لا بد فيها من التثبت والتبين منها، والرد عليها، من أولي الأمر من الحكام والعلماء كل فيما يخصه، وذلك بتحليل الخبر الوارد، وبيان صدقه أو كذبه، والرد عليه بما يناسب المقام في صدق وموضوعية.

والتصدي لحمالات التشكيك التي يشنها الأعداء من وقت لآخر، ومن أسلوب لآخر، وذلك بالإجابة الفورية الكاملة على كل الأسئلة التي تثار في نطاق هذه الحملات، بما يقطع الطريق على أصحابها، ويسكب الطمأنينة في قلوب الناس^(١).

وتكون هذه الأخبار ترد من جهة مجهولة الحال، بحيث لا تستطيع أن تقف على عدالتها وضبطها ، أو أن تكون ذات أثر على الآخرين، سواء على الأفراد أو الجماعات أو الدول .
و الواجب على المسلم تجاه مثل هذه الأخبار، إبلاغ ولي الأمر عنها، ثم التوقف، حتى لا يكون سببا في إشاعتها وبثها، ثم إدراك أن الغالب في الأخبار العدوانية هو المبالغة في الأمر، وتصوير الأمور على غير حقائقها، وينتظر من أولي الأمر بيانها، وتحليلتها والرد عليها.

(١) انظر: الإعلام الإسلامي الأهداف والوظائف، سيد محمد الشنقيطي، الطبعة الثانية، الرياض: دار عالم الكتب،

ثانياً: أخبار تبثها وسائل الإعلام المعادية للإسلام، وتثير من خلالها الشبهات بين المسلمين وتدعوا إلى الحقد على الإسلام وأتباعه ، فمثل هذه الأخبار معلوم كذبها، بسبب العداوة بين الإسلام والكفر، وهو من قبيل كيد الكافرين ومن نحا نحوهم ، للإسلام وأهله .

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(١).

وقال تعالى:

﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾^(٢).

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقَانًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٣).

والموقف من مثل هذه الأخبار ردها، وعدم قبولها البتة، فهي غير قابلة للنقاش بأي حال. ثالثاً: أخبار تمس حياة الأفراد والشعوب وتتعلق بحقوقهم، كالأخبار التي تنقلها وسائل الإعلام ضد من يخالفونهم ويعادونهم، لتشويه صورتهم لدى شعوب العالم . فمثل هذه الأخبار هي أخبار عدوانية، تحمل في طياتها التضخيم الإعلامي، فالواجب تجاه مثل هذه الأخبار التوقف والتبين من حقائقها، ولكن لمن يخصه الأمر، وليس لعامة الأمة.

(١) سورة البقرة، آية: (١٢٠).

(٢) سورة البقرة، آية: (١٠٩).

(٣) سورة آل عمران آية: (١٠٠).

رابعاً: أخبار وردت ونقلت عن كتب التوراة والإنجيل، فمثل هذه الأخبار الأصل فيها، قول الرسول ﷺ: ((لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكذِّبُوهُمْ))^(١).

والمعنى: إذا كان ما يخبرونكم محتملاً لئن يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه، فتقعوا في الحرج^(٢).

والأحرى بالمسلم تجاه هذه الأخبار عدم تصديقها، أو تكذيبها، فقد تكذبهم في خبر صحيح في شرعهم، ولكن نسخ في شرعنا، أو نصدقهم في خبر، وقد حرفوه وبدلوه .

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ ((لا تسألوا أهل الكتاب عن

شيء))، ٦/٢٦٧٩، رقم الحديث: ٦٩٢٨.

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ص ٢٠/٨.

المطلب الرابع

المجال الاجتماعي

وفيه سبعة مسائل:

- المسألة الأولى: مفهوم المجال الاجتماعي.
- المسألة الثانية: الوسائل المستخدمة للإثبات في مجال القضاء.
- المسألة الثالثة: إثبات الأحكام بالشهادة والبيئة.
- المسألة الرابعة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراحل تغيير المنكر.
- المسألة الخامسة: التثبت من خبر من اتصف بالفسق.
- المسألة السادسة: التاني في أمر الطلاق.

المطلب الرابع: المجال الاجتماعي .

تمهيد:

تتنوع المجالات الاجتماعية في الحياة إلى ظواهر كثيرة، وفي هذا المطلب يتطرق الباحث إلى جزء من تلك الظواهر، والتي تحتاج إلى التثبث والتبين عند التعامل معها، ويمكن توضيحها من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: مفهوم المجال الاجتماعي .

هناك عدة تعاريف ومفاهيم علمية دقيقة لعلم الاجتماع، من تلك التعاريف:

التعريف الأول: علم الاجتماع هو: العلم الذي يدرس ما استطاع الإنسان إنجازَه في البيئة الحضريّة من معالم المدينة والتراث الحضاري وباقي الفنون الحياتية، التي طورت المجتمع ونمته في ضروب ومجالات مختلفة^(١).

التعريف الثاني: يقصد بعلم الاجتماع العلم الذي يدرس طبيعة العلاقات الاجتماعية، وأسباب هذه العلاقة ونتائجها، والعلاقة الاجتماعية، هي: اتصال، أو تفاعل أو تجاوب، يقع بين شخصين أو أكثر، بغية سد وإشباع حاجات الأفراد الذين يُكوّنون هذه العلاقة، أو تلك العلاقة الاجتماعية^(٢).

التعريف الثالث: علم الاجتماع، العلم الذي يهتم بدراسة شبكة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، التي تقع بين الأفراد والجماعات والمؤسسات على اختلاف أنواعها وأغراضها^(٣).
وتلخص للباحث من تلك التعريفات المفهوم التالي للمجال الاجتماعي: العلاقات والتفاعلات التي تقع بين الأفراد والجماعات، لسد وإشباع الحاجات الحياتية التي تعتره من مشكلات مادية أو فكرية.

(١) انظر: علم الاجتماع الرياضي، إحسان محمد الحسن، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، ٢٠٠٥م، ص

٢٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠.

المسألة الثانية: الوسائل المستخدمة للإثبات في مجال القضاء .

تعريف الإثبات .

الإثبات في اللغة: "مصدر أثبت، ثبت الشيء ثباتاً وثبوتاً، وأثبتته غيره وثبته، وثبت الرجل في الأمر بمعنى اعتبر الشيء دائماً مستقراً"^(١).

وفي الاصطلاح: "الإثبات إقامة الدليل الشرعي أمام القاضي في مجلس قضائه على حق أو واقعة من الوقائع"^(٢).

وقال المناوي: الإثبات ضد الإزالة، ويقال: لما يخرج من العدم نحو أثبت الله كذا، وتارة لما ثبت بالحكم فيقال: أثبت الحاكم كذا، وتارة لما يكون بالقول سواء كان صدقاً أم كذباً، فيقال: اثبت التوحيد وصدق النبوة^(٣).

أنواع وسائل الإثبات، منها:

أولاً: الإقرار.

تعريفه: هو إخبار الشخص بحق على نفسه للآخر، ويكون الإقرار بالاعتراف وإظهار الحق لفظاً أو كتابة أو إشارة.

وأجازت الشريعة الإسلامية الإقرار، وهي وسيلة من وسائل الإثبات، قال تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِينَ عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾^(٤)، فقد أمر الله تعالى المدين أن يملي على الكاتب الحق الذي عليه للدائن، وقد حكم رسول الله ﷺ بموجب الإقرار، وأمر برجم ماعز لاعترافه وإقراره بالزنا^(٥).

وكان في مشروعية الإقرار، من الحكم العظيمة والأثر الكبير، حيث أن كثيراً من الحقوق قد ينعدم فيها الشهود، وتتعدر فيها الكتابة، ولا يعرفها إلا أصحابها، فلا سبيل إلى إحقاق

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وتاج العربية، للجوهري، ٢٤٥/١، والمصباح المنير، للفيومي، ٤٩٩/١.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٣٢/١.

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص ٣٣.

(٤) سورة البقرة، آية: (٢٨٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ١٣٢١/٣ - ١٣٢٢ رقم الحديث:

الحق وردة إلى صاحبه إلا ذمة المدین وضميره، فإما أن یقر به لیصل إلى ذویه، وإما أن ینکره ویهضمه، ویختلس حقوق الآخربن، فدعا الله في القرآن الکریم وفي سنة نبیه ﷺ، إلى إظهار حقوق الناس، والاعتراف بها.

فهو ذو أثر عظیم، وفائدة جلیة في إحقاق الحق، وتأمين العدل والإنصافن عند فقدان الأدلة والبینات.

ثانياً: الیمین.

وهي من وسائل الإثبات التي یستند إليها في إصدار الأحكام، وفصل النزاع، وإنهاء الخلاف بین الأطراف المتنازعة، وإعطاء الحقوق لأصحابها، وهي وسيلة داخلية ذاتية، تعتمد على العقيدة والإیمان والضمیر.

وتعریف الیمین: هو توكید حکم بذكر معظم علی وجه مخصوص^(١).

وهذه الوسيلة مشروعة، لتأكيد جانب الصدق علی جانب الکذب، في إثبات الحقوق أو نفيها، لقول رسول الله ﷺ ((لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ))^(٢).

ومنها ما رواه الأشعث بن قيس^(٣) قال: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ حُصُومَةٌ فِي شَيْءٍ فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ((شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ))، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ إِذَا يَخْلِفُ وَلَا يُبَالِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَعِجْلٌ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ))، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ :

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٤٥/٧.

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾، ١٦٥٦/٤، رقم الحديث: ٤٢٢٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الأفضية، باب: اليمين على المدعى عليه، ١٣٣٦/٣، رقم الحديث: ١٧١١، واللفظ له.

(٣) الصحابي: الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي، أبو محمد، وفد إلى النبي ﷺ في وفد كنده، شهد اليرموك، والقادسية والمدائن ونهاوند، وصفين، واستعمله عثمان بن عفان ؓ على أذربيجان، توفي بالكوفة سنة (٤٢هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ١١٨-١١٩.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَيَأْمِنُنَهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٧) (١)، (٢).

والحكمة في مشروعية اليمين، حمل المخاطب على الثقة بكلام الحالف، وأنه لم يكذب فيه إن كان خبيرا، ولا يخلفه إن كان وعدا أو وعيدا أو نحوهما... فالغاية العامة لليمين قصد توكيد الخبر ثبوتا أو نفيا (٣).

واليمين ذات أثر ديني ودنيوي، لما يترتب عليها من الأجر والثواب، أو الحق والعقاب، ولما تفضي إليه من فض النزاع، واكتساب الحق أو نفيه.

وشدد الشارع الحكيم في شأن الأيمان، وحث على التثبت فيها قبل الحلف، وأوعد الحالف كذبًا، بالهلاك والبوار والدمار في الدنيا، والعذاب والنكال في الآخرة، وأن اليمين الكاذبة من أكبر الكبائر، ويغمس صاحبها في النار، قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكٍ)) (٤).

واليمين المشروعة يجب أن تكون جازمة، لا مجال فيها للتردد، والظن والتخمين، حتى تحسم النزاع، وتنتهي الخلاف، كما يجب أن يحلف الشخص على البت والقطع على فعل نفسه، سواء أكان إثباتًا أم نفياً، أما إذا كانت اليمين على فعل غيره، فيحلف على سبيل القطع في الإثبات، ويحلف على نفي العلم في النفي .

ثالثًا: التوثيق بالكتابة.

(١) سورة آل عمران، آية: (٧٧).

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب اليمين على المدعى عليه في الأموال والحدود، ٩٤٩/٣، رقم الحديث: ٢٥٢٥، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

(٣) ١١٢/١، رقم الحديث: ٢٢١.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٤٥/٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ١٢٢/١، رقم الحديث:

تعريف التوثيق: مصدر وثق، وثبت فهو وثيق ثابت محكم^(١)، والوثيقة في الأمر إحكامه، ووثقت الشيء توثيقاً فهو موثق^(٢).

تعريف الكتابة:

مصدر كتب، يقال: كتب الشيء يكتبه كتباً وكتاباً وكتابةً، وكتبه خطه، والكتاب اسم لما كتب مجموعاً، ويقال اكتتب فلان فلاناً، أي: سأله أن يكتب له كتاباً في حاجة، واستكتبه الشيء، أي: سأله أن يكتبه له، والكتاب ما كتب فيه^(٣).

والكتابة وسيلة من وسائل الإثبات، وهي طريقة الحفظ للحقوق، واستعملت في المعاملات والقضاء والتوثيق، وهي وسيلة قديمة في حفظ العلوم.

والكتابة كالخطاب، لما فيها؛ من التعبير عن الإرادة وإظهار النية، وإبراز العزيمة، وأن الكتابة تمتاز عن اللفظ بالثبات والضبط.

والأصل في مشروعية التوثيق بالكتابة، القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ

وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا

يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا﴾^(٤)، فالله ﷻ أمر بكتابة الديون والمعاملات من أجل الاعتماد عليها في

القضاء عند النزاع والاختلاف، مع أخذ الحيطة، وأشار المولى القدير إلى الوسيلة القويمة، والسليمة للكتابة، وذلك عن طريق كاتب متعلم ومختص، كما قال تعالى، في الآية السابقة:

﴿وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، الذي أرشده الله إلى التثبت في الكتابة

﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾، ثم أمره وأرشده إلى إتباع الحق، والتزام الصدق والأمانة والتقوى،

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، ويُدوّن ما يملي عليه المدين ليكون تسجيلاً لإقراره واعترافه .

(١) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ٢٤٩/١٠، مادة: [و ث ق].

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣٧١/١٠، مادة: وثق.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٦٩٨/١، مادة: كتب.

(٤) سورة البقرة، آية: (٢٨٢).

وقد استعمل رسول الله ﷺ الكتابة في جميع معاملاته، وأمر أصحابه -رضوان الله عليهم- بتعلم الكتابة من أسرى بدر، واتخذ الكُتَّاب، لكتابة الوحي، وكتابة الرسائل والأحكام إلى عماله وأمرائه وولاته، واستخدم الكتابة، وسيلة لتبليغ الرسالة، وكتابة الأحكام الشرعية، وفي المعاهدات والصلح والأمان والإقطاع، ومع القادة في السرايا والحروب، كما استعملها في المعاملات كالبيع وفي الوصية والقضاء وغير ذلك من كتابة الأحاديث والخطب، ثم سار عليها الخلفاء والمسلمون من بعده، واستعملوها في حياتهم.

رابعاً: الإثبات بالقرائن.

تعريف القرائن: جمع قرينه، وهي: الأمانة التي ترجح أحد الجوانب عند الاشتباه^(١).

ولها ألفاظ مرادفة لها مثل: الأمانة^(٢)، والعلامة^(٣).

ويشترط عند العمل بالقرائن، أمران:

الأمر الأول: أن يوجد أمر ظاهر ومعروف وثابت، ليكون أساساً لاعتماد الاستدلال منه، لوجود صفات وعلامات فيه، ولتوافر الأمارات عليه.

الأمر الثاني: أن تظهر الصلة بين الأمر الظاهر الثابت، والقرينة التي أخذت منه في عملية الاستنباط والاستنتاج، وذلك باستخراج القرينة من النصوص والوقائع وذلك من خلال التأمل والتفكير الناشيء عن فرط الذهن، وقوة القرينة.

وعليه؛ فيشترط وجود الصلة بين القرينة وبين الأمر المصاحب لها، وأن تقوم هذه العلاقة والصلة على أساس سليم، ومنطق قويم، ولا تعتمد على مجرد الوهم والخيال.

والأخذ بالقرائن، جاء العلم به في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وجعلها الشارع الحكيم

أمانة على شيء معين، مثل الدم قرينة على القتل في قصة يوسف عليه السلام:

﴿وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِيهِ يَدٌ مِرْكَبٌ﴾^(٤).

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٤/٤٠٢.

(٢) الأمانة: هي العلامة، وتقول: هي أمانة ما بيني وبينك، أي: علامة، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤/٢٦، مادة: أمر.

(٣) العلامة: ما يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤/١٠٩، مادة: علم.

(٤) سورة يوسف، آية: (١٨).

ولكن يعقوب عليه السلام، لم يقبل هذه القرينة من أبنائه، لأنها اقترنت مع قرينة أقوى منها تكذبها، وهي أن الثوب سليم غير ممزق، وترجحت عنده عليه السلام، أن الذئب لا يمكن أن يأكل يوسف، ولا يمزق قميصه، قال تعالى:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١).

وكذلك ما كان من الغلام الذي أنطقه الله وعلي، الذي أورد قرينة شق الثوب على المباشرة، في قصة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾^(٢).

ومثل علامات النجم، التي أقامها الله تعالى للاهتداء بها، كما في قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمَتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٣).

وفي السنة النبوية، وضعت علامات، تدل على المؤمن، وتمييزه عن المنافق والكافر، قال عليه السلام:

((إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ))^(٤).

وقوله عليه السلام: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانًا))^(٥).

فجعل النبي عليه السلام ارتياد المساجد أمانة على الإيمان، وبين صفات المنافقين التي يعرفون بها. وسكوت البكر في الزواج، دلالة وعلامة على رضائها، قال عليه السلام: ((لَا تُنْكِحُ الْبِكْرَ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَلَا الثَّيِّبَ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ إِذْنُهَا، قَالَ: إِذَا سَكَتَتْ))^(٦)، فجعل رسول عليه السلام سكوت البكر دليلاً وقرينة على الرضا.

(١) سورة يوسف، آية: (١٨).

(٢) سورة يوسف، الآيات: (٢٦-٢٧).

(٣) سورة النحل، آية: (١٦).

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ١٤/٥، رقم الحديث: ٢٦١٧، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب حسن، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، السعودية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ٢٦٨، رقم: ٢٦١٧.

(٥) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، ٢١/١، رقم الحديث: ٣٣، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث، ٧٨/١، رقم الحديث: ١٠٧.

المسألة الثالثة: إثبات الأحكام بالشهادة والبيينة.

الشريعة الإسلامية رغبت في التستر على عورات المسلمين، وإمساك الألسنة عن الجهر بالفواحش، وإن كانت وقعت، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ولأجل المحافظة عليها، شرع القرآن الكريم جلد القاذف ثمانين جلدة، قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جُلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾^(٣).

ولقد أمر الله ﷻ، بالبيينة في الأحكام الشرعية، وأمر بها رسوله ﷺ، وقضى بها من أجل التثبث والتأني فيها، ومن أجل أن يتبين ويظهر وجه الحق للحاكم فيقضي به.

تعريف الشهادة:

الشهادة: إخبار عن عيان بلفظ، أشهد، في مجلس القاضي، بحق لغيره على غيره^(٤).

وقد أثبت القرآن الكريم، والسنة النبوية مشروعيتها، ومنها قوله تعالى:

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾^(٥)، ثم قال تعالى في الآية نفسها:

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^(٧).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحيل، باب في النكاح، ٦/٢٥٥٥، رقم الحديث: ٦٥٦٧.

(٢) سورة النور، آية: (١٩).

(٣) سورة النور، آية: (٤).

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص ٤٣٩.

(٥) سورة البقرة، آية: (٢٨٢).

(٦) سورة البقرة، آية: (٢٨٢).

(٧) سورة الطلاق، آية: (٢).

ومن السنة، فقد قال رسول الله ﷺ، لرجل اختصم إليه: ((شَاهِدَاكَ، أَوْ يَمِينُهُ))^(١).

وقال ﷺ، لرجل عندما سأله عن الشهادة، قال: ((هَلْ تَرَى الشَّمْسَ))؟ قال: نعم، قال: ((عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ، أَوْ دَعْ))^(٢).

تعريف البينة:

البينة هي: اسم جامع لكل ما يبين من الحق^(٣).

وقيل: الدلالة الواضحة، عقلية كانت، أو محسوسة^(٤).

وهي تحصل بالشاهدين، أو شاهد ويمين، أو غيرها، مما يحصل به تبين الحق وظهوره مما يستدعيه الحال والمقام.

قال الشيخ أبو الأعلى المودودي^(٥) رَحِمَهُ اللهُ:

إن أول ما يثبت به وقوع جريمة الزنا، أن تقوم عليها الشهادة، وهذا الأصل له أربعة أحوال، نذكرها فيما يلي:

الحالة الأولى: ما جاء في تصريح القرآن، بأن الجريمة لا تثبت في قضية الزنا بأقل من

أربعة شهود، قال تعالى:

(١) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب اليمين على المدعى عليه في الأموال والحدود، ٩٤٩/٢، رقم الحديث: ٢٥٢٥، و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ١٢٢/١، رقم الحديث: ٢٢١، واللفظ له.

(٢) الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى، بمومباي، الهند: الدار السلفية، ١٤٠٩هـ، ٧٢/٢٠، رقم الحديث: ١٠٤٦٩، قال المحقق: إسناده ضعيف.

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، ٩٠/١.

(٤) انظر: مفردات غريب القرآن، الحسن بن محمد الأصفهاني، ص ٨٩.

(٥) أبو الأعلى المودودي، نشأ بين أسرة محافظة اشتهرت بالتدين والثقافة وعلم وفضل، درس على أبيه اللغة العربية والقرآن والحديث والفقه، عمل في الصحافة، وأصدر مجلة ترجمان القرآن، وكان المؤسس للجماعة الإسلامية في الهند، تفرغ في آخر حياته للكتابة والتأليف، توفي في لاهور، باكستان، سنة: (١٣٩٩هـ)، انظر: موقع وكيبيديا.

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾^(١)، وقال تعالى:
﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ﴾^(٢).

الحالة الثانية: يجب أن يكون الشهود ممن يجوز الاعتماد عليهم، بحيث أنهم يوصفون بالصدق والعدالة، وعدم الخيانة، وأن لا تكون بينهم وبين المتهم خصومة.

الحالة الثالثة: يجب أن تكون الشهود متفقين على أنهم رأوا رأي العين، بأن فلاناً يزني بفلانة، بمكان كذا، وساعة كذا.

الحالة الرابعة: يجب أن تكون شهادتهم، بأنهم رأوهما يزنيان، وفرجه في فرجها، كالميل في المكحلة والرشاء في البئر، وإلا فاختلافهم في أحد هذه الأمور، يسقط شهادتهم^(٣).

والغرض من هذا التشديد، أن يسدَّ السبيل على الذين يتَّهمون الأبرياء ظلماً، ويقذفون المحصنات بهتاناً، كلُّ ذلك بغية حماية الإنسان من أن تطاله العقوبة، وهو بريء من فعل ما يوجبها، فإذا وجدت البينة، وحضر الشهود، واتفقوا على قول واحد، ثبت الحكم، وأقيم الحد، وإذا لم يجد الزوج البينة، فإن الله ﷻ، جعل له مخرجاً عن طريق الملاعنة، كما قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ

﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾﴾^(٤)، أما إذا لم يكن القاذف زوجاً، ولم

يستطع إحضار الشهود على صدق ما قذف به، أقيم عليه الحدن لثلاثا يجترئ أحد على أعراض المسلمين بعد ذلك.

(١) سورة النساء آية: (١٥).

(٢) سورة النور، آية: (٤).

(٣) انظر: تفسير سورة النور، ل أبي الأعلى المودودي، دار الفكر، بدمشق، بدون تاريخ ورقم الطبعة، ٥٩-٦٠،

(٤) سورة النور، الآيات: (٦-٧).

ولذا ورد في سبب نزول هذه الآية: أن هلال بن أمية^(١)، قذف امرأته عند النبي ﷺ، بشريك بن سحماء^(٢)، فقال النبي ﷺ: ((الْبَيْئَةَ، أَوْ حَدُّ فِي ظَهْرِكَ))، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيْئَةَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ، يَقُولُ: ((الْبَيْئَةَ وَإِلَّا حَدُّ فِي ظَهْرِكَ))، فَقَالَ هَالَلٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنِّي لَصَادِقٌ فَلْيُنزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبْرِئُ ظَهْرِي مِنْ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جَبْرِيْلُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فَانصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هَالَلٌ، فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ، يَقُولُ: ((إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ))، ثُمَّ قَامَتْ، فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْحَامِسَةِ، وَقَفُوها وَقَالُوا إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ، وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ، فَمَضَتْ، فَقَالَ ﷺ: ((أَبْصُرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، سَابِعِ الْأَيْتَيْنِ، خَدَجُ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ))، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ))^(٣).

فنزلت آيات اللعان، بعد أن كاد الرسول ﷺ يقيم عليه الحد.

فأحاطت الشريعة الأعراض بسياج عظيم ومنيع، فيه من الضمانات التي تكفل لها الحقوق، حتى والرجل يرى المرأة تزني، لا بد أن يحضر البينة، لأن هذه حالات فردية، ونادرة في المجتمع المسلم، ولذلك لا بد من سدِّ الذريعة، عن طريق تكليف المخبر من زوج وغيره، بالبينة، وهكذا يكون سدِّ الذرائع، لأنه لو ترك الأمر سهلاً، فإن هناك قلوبٌ ملكت بالحقِّد والحسد، وحبِّ الإفساد، لا هم لها إلاَّ اتهام أعراض المسلمين.

(١) الصحابي: هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن الأوسي الأنصاري الواقفي، شهد بدرًا وأحدا، ومن السابقين للإسلام، وهو أحد الثلاثة الذي تخلفوا عن غزوة تبوك، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٤٠٦/٥.

(٢) الصحابي: شريك ابن عبدة بن معتب بن العجلان البلوي، والسحماء اسم أمه، قيل: إنه شهد مع أبيه أحدا، وهو أخو البراء بن مالك لأمه، ودُكر بأنه أول من لاعن في الإسلام، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٥٢٢/٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب قوله تعالى: ﴿وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ

إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، ١٧٧٢/٤، رقم الحديث: ٤٤٧٠.

ومن أجل هذه الحرمة، ولقطع ألسنة السوء، أمر الإسلام، ألا يكتفي في البينة على القذف بشهادة رجلين، بل جعل الشهادة التي تثبت هذا القذف أربعة من الرجال المؤمنين العادلين، ولا بدّ أن يكونوا قد شاهدوا الفعل بأنفسهم جميعهم، لا بعضهم، فإن لم يأت القاذف بهذا العدد من الشهود، كان هو الفاسق، وأقيم عليه الحد، ثمانين جلدة، وسقطت عدالته من المجتمع، قال الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾^(١).

ومن خلال هذا يتبين دور الشهادة، والبينة، في ثبوت الأحكام الشرعية، باعتبارها إحدى طرق التثبت، فإذا ادعى مدعى شيئاً ما، فإنه لا يحكم عليه، إلا بعد أن يتثبت القاضي من أحقيته به، عن طريق الشهود، كما قال ﷺ: ((البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه))^(٢).

(١) سورة النور، آية: (٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في أنّ البينة على المدعي واليمين على من أنكر عليه، ٦٢٦/٣، رقم الحديث: ١٣٤١، وصححه الألباني، انظر: انظر صحيح الترمذي، ٧١/٢، رقم: ١٣٤١.

المسألة الرابعة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراحل تغيير المنكر.

الأمة المحمدية جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، وذلك لأمرها بالمعروف، ونهيها عن

المنكر، وإيمانها بالله ﷻ، قال تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(١).

كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خلق من أخلاق المؤمنين، ووصف من

أوصافهم الحميدة، التي أثنى الله به عليهم، وأنه من أسباب الرحمة لهم، قال تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢)،

كما أنه من صفات من وعدهم الله بالنصر والتمكن، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ

وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾^(٣).

تعريف المعروف:

المعروف هو: اسم جامع لكل ما عُرف، من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى

الناس، وكل ما ندب إليه الشرع^(٤).

وقيل: المعروف هو: اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال

الصالحة، والأخلاق الفاضلة^(٥).

(١) سورة آل عمران، آية: (١١٠).

(٢) سورة التوبة، آية: (٧١).

(٣) سورة الحج، آية: (٤١).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٣٦/٩، مادة: عرف.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٢٦٥/٢.

تعريف المنكر:

المنكر هو: ضدّ المعروف، وكلُّ ما قَبَّحَه الشرعُ وحرَّمَه وكرَّهه فهو مُنْكَرٌ^(١).

وقيل هو: كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة^(٢).

وتغيير المنكر، يكونُ على ثلاث مراحل:

لقوله ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))^(٣).

المرحلة الأولى: تغيير المنكر باليد، وذلك أن يقوم الأمر بالمعروفة والناهي عن المنكر بتغيير المنكر، وإزالته باستعمال يده، أو ما يقوم مقامها، ويكون هذا لولي الأمر، أو الأمر بالمعروف، المولى من قبل ولي الأمر، وإذا احتاج إلى إشهار سلاح أو ردع بالقوة، فليُكَلِّ الأَمْر إلى ولي الأمر، تجنُّبًا للفتنة والفوضى.

المرحلة الثانية: تغيير المنكر باللسان، أي: بالقول، وهذا التغيير له أنواع، هي:

أ- التعريف بالمنكر: لأنه قد يُقدِّم على المنكر من هو جاهل به، وإذا عرف أنه منكر تركه، فيجب تعريف من هذه حاله، تعريفه بالمنكر باللفظ من غير عنف، وليكن الوعظ تعريضا وإرشاداً، من غير تنصيص على شخص، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا كره شيئاً قال: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا))^(٤).

ففي الحديث عدم مواجهة صاحب المعصية بمعصيته، لأن المقصود يحصل له ولغيره، بدون فضيحة وشناعة عليه .

(١) انظر: نهاية الغريب في الحديث والأثر، مبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م، ١١٥/٥.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٢٦٥/٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٦٩/١، رقم الحديث: ٧٨.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنة، ١٠٢٠/٢، رقم الحديث: ٥.

ب- النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله، وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك، ويحكي له سيرة السلف، وعبادة المتقين، كل ذلك بشفقة، ولطف من غير عنف وغضب، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه، وينبغي أن يكون ذلك سرًّا بينه وبينه، فيقلع العاصي عن معصيته، إذا سمع النصح والوعظ، ويحصل المقصود.

ج- التقرير والتعريف بالقول الغليظ، لأصحاب المنكرات، كقولهم: يا فاسق، يا جاهل، و مثل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) (١)، من غير استعمال الألقاب الممنوعة، والكلمات غير مشروعة.

د- التهديد والتخويف بإنزال العقوبة بصاحب المنكر، ويكون هذا مما يقدر عليه القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومما يدخل في ولايته ووظيفته.

قال صاحب الفيض القدير: بلسانه، أي: بالقول كاستغاثة أو توبيخ، أو تذكير بالله أو إغلاظ، بشرط أن لا يغلب الظن أن النهي يزيد عنادًا، أو أن لا يعلم عادة أنه لا يؤثر على ما عليه الأكثر (٢).

المرحلة الثالثة: تغيير المنكر بالقلب، ويقصد بذلك كراهية المنكر، وتمني زواله، والحرص وعقد النية على تغييره عند الاستطاعة والمقدرة، وكل ذلك عند عدم القدرة على تغيير المنكر باليد أو اللسان.

ويكون تغيير المنكر بالقلب: بمجانبة أصحاب المنكرات، وعدم مودتهم، أو مجالستهم أو الرضا بفعالهم وتصرفهم، وإشعارهم بعدم الرضا، عن منكراتهم ومعاصيهم. نبه الإمام المناوي رحمته الله، إلى أهمية الإنكار القلبي، فقال: ينكره وجوبًا، بأن يكرهه به، ويعزم أنه لو قدر بقول أو فعل فعل، وهذا واجب عينًا على كل أحد (٣).

(١) سورة الأنبياء، آية: ٦٧.

(٢) انظر: فيض القدير بشرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ٥٨٠١/١١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٥٨٠١/١١.

والأمر بالمعروف والنهي المنكر، له ضوابط وشروط، وحرّيٌّ بمن يقوم بهذه الشعيرة الالتزام والعمل بها، ومن تلك الضوابط والشروط ما يلي:

أولاً: القدرة والاستطاعة.

إن الإنسان لا يكلف فوق طاقته وقدرته، بل ينتهي إلى الحد الذي يستطيعه، وعلى ذلك توافرت النصوص الكثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١)، وقوله: ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢).

وقوله ﷺ: ((إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))^(٣).

والقدرة والاستطاعة، يلزم منها أمران، هما:

الأمر الأول: القدرة والاستطاعة الحسية، كسلامة الجسم، وكمال حواس الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وقوته.

الأمر الثاني: القدرة والاستطاعة المعنوية والعلمية، وذلك بأن يكون الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، عالماً بالمعروف الذي يأمر به، والمنكر الذي ينهى عنه، وأن يكون ملماً بالمنهج أو الكيفية التي يأمر وينهى الناس بها، ويعلم مواقع الحسبة، وحدودها، وموانعها.

ثانياً: أن لا يكون الأمر أو النهي، يؤدي إلى مفسدة .

لأن ذلك مناقض للحكمة ولأهداف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وللأحكام والمقاصد التي جاءت من أجلها الشريعة الإسلامية.

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: إن الشريعة مبناه وأساسها على الحكيم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلُّها، ورحمةٌ كلُّها، ومصالح كلُّها، وحكمةٌ كلُّها، فكل مسألة

(١) سورة البقرة، آية: (٢٨٦).

(٢) سورة التغابن، آية: (١٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ٦/٢٦٥٨، رقم

خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل^(١).

وكان الرسول ﷺ حليماً ورفيقاً، في أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، دائم النظر إلى عواقب الأمور، فإذا كان في عاقبة الأمر مفسدة، انتظر حتى يجد الفرصة المناسبة، للأمر بالمعروف، وتغيير المنكر، وإذا لم تكن هناك مفسدة باشر تغيير المنكر بيده، ومن أوضح الأمثلة عن ذلك؛ حادثة تبول الأعرابي في المسجد، وتسبق الصحابة ﷺ على توبيخه على هذه الفعلة، ولما لاحظ النبي ﷺ عمل الصحابة، عالج الأمر كله بالحلم والأناة، ونهى أصحابه عن زجر وتوبيخ الأعرابي، فقال: ((دَعُوهُ، وَأَهْرِيْقُوا عَلَيَّ بِبَوْلِهِ ذُتُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ))^(٢)، فلما تركه الصحابة حتى انتهى من بوله، دعاه النبي ﷺ، فقال له: ((إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَحُجَّتِكَ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))^(٣)، ولو استمر الصحابة في زجرهم واحتسابهم لوقعت هناك مفسد كثيرة، منها: انتشار البول في المسجد، واتساخ ثوب الأعرابي، ولربما نفر من فعل الصحابة، وترك الإسلام، ولكن القدوة ﷺ، انتظر حتى انتهى من فعله، ثم بيّن له خطأ تصرفه، وأعلمه بالعمل الصحيح ببيان واضح ومقنع.

ثالثاً: عدم الإنكار في المسائل الاجتهادية، والمختلفة فيها بين العلماء، فلا بد أن يكون المنكر المقصود إزالته متفقاً عليه، معلوماً بغير اجتهاد.

والواقع أن الخلاف إما أن يكون سائغاً، وإما أن يكون غير سائغ، ولكل حكمه.

أ- الخلاف السائغ يمنع من الاحتساب على رأي بعض الفقهاء، وقال آخرون: يجوز للمحتسب، أن ينكر على فاعل المنكر المختلف فيه، بشرط أن يكون المحتسب مجتهداً.

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن القيم، ٣٣٧/٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ، ((يسروا ولا تعسروا))، ٢٢٧٠/٥، رقم الحديث: ٥٧٧٧.

(٣) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم الحديث:

ب- الخلاف غير السائع، وهو الخلاف الشاذ، أو الباطل، الذي لا يعتد به، لعدم قيامه على أي دليل مقبول، كالذي يخالف صريح القرآن والسنة الصحيحة المتواترة المشهورة، أو إجماع الأمة، أو ما علم من الدين بالضرورة، فمثل هذا الخلاف، لا قيمة له، ولا يمنع المحتسب من الإنكار والاحتساب^(١).

رابعًا: عدم تجاوز نطاق المسؤولية.

ويقصد به، أن يعلم الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، حدود مسؤوليته ونطاقها، فلا يتجاوزها إلى أبعد من ذلك، ولا يتكلف ما ليس له .

قال ﷺ، موضحًا حدود مسؤولية كل إنسان: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))^(٢).

والمسؤولية في ذلك نوعان:

النوع الأول: مسؤولية خاصة، كمسؤولية الأب والأم تجاه أبنائهما، والسيد مع عماله، وما أشبه ذلك من المسؤوليات الخاصة.

النوع الثاني: مسؤولية عامة، وهي المسؤولية التي تعني بأمور المسلمين العامة، كمسؤولية الحاكم، أو من له نظر على أحوال الناس، والأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، المولى من قبل ولي الأمر.

خامسًا: إدراك منازل الناس ومراتبهم، وعدم اجتيازها وإهمالها.

فيتنبه الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر لذلك، ويدرك منازل الناس ويعرف مكانتهم وما لهم من الحقوق وأثر في المجتمع، فلا يهملها، أو يغض الطرف عنها، لأنه قد يؤدي إلى

(١) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ١٨٢.

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، ١٩٩٦/٥، رقم الحديث:

٤٩٠٤، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق

بالرعية، ١٤٥٩/٣ رقم الحديث: ٢٠.

تفويت من الخير، أو معروف أكبر، فيعطي كل إنسان حقه، وأن يقف عن حده فلا يتجاوز ذلك الحد^(١).

سادسًا: التأكد من كل أمر، والتثبت بشأنه، وعدم التسرع والعجلة، و أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع، من العلم والرفق، والصبر، وسلوك سبيل حسن القصد مع الناس، والملاطفة معهم حال أمرهم أو نهيهم.

سابعًا: تحلي الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، بالصبر والاحتمال، مع التخلق بما يلحق ذلك من الأقوال والأفعال، والصبر على ما يصاب به من أجل المقامات، قال تعالى: مثنيًا على الأنبياء ؛ لصبرهم على أذى قومهم وتكذيبهم، ثم نصرهم عليهم:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآذُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا﴾^(٢).

والصبر على ما يصاب به الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر بخصوصه، فقد جاء مصرحًا به في قوله تعالى، حكاية عن عبده لقمان الحكيم عليه السلام، حين وصى ابنه بقوله:

﴿يَبْنِي أَعْمُرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٣)

قال المفسرون: لما نهى لقمان ابنه عن الشرك، وأخبره ثانيا بعلمه تعالى، وباهر قدرته، أمره بما يتوسل به إلى الله من الطاعات، فبدأ بأشرفها؛ وهو الصلاة، حيث يتوجه إليه بها، ثم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن جميعها، أو على ما يصيبه بسبب الأمر بالمعروف ممن يبعثه عليه، والنهي عن المنكر، ممن ينكره عليه، فكثيرا ما يؤدي فاعل ذلك^(٤)، وأن يكون قلبه مليئا بالرحمة والعطف على الناس، لأنه يقصد من أمره ونهيه لهم توجيههم وإرشادهم إلى السلوك الصحيح وأن يكون يدا حانية، على المخطئ منهم، ويتأسى

(١) انظر: الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبد الرحيم محمد المغدوي، دون ذكر رقم الطبعة ومكانها، ١٤٢١هـ، ٢٠٥-٢٤٣، بتصرف.

(٢) سورة الأنعام، آية: (٣٤).

(٣) سورة لقمان، آية: (١٧).

(٤) انظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، الطبعة الثانية دار الفكر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ٧/١٨٨.

بالنبي ﷺ الذي قال الله في حقه:

﴿ فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(١).

وكذلك؛ حينما يصاحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الرفق، فإن الناس تقبل عليه، وترضى به، وتسارع إلى تنفيذه طواعية، وأما إذا صاحبه عنف، أو قسوة، فإن الناس تنفر عنه وتُدبر عن صاحبه، قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))^(٢).

فينبغي على الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يلتمس الرفق بالناس، ولين الجانب معهم، والبعد عن التشديد عليهم، وخاصة عند أمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه الشروط والضوابط والأصول، تجعل الداعية، والأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، في سلامة من الوقوع في الزلل، إذا التزم وعمل بها.

(١) سورة آل عمران، آية: (١٥٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٤/٢٠٠٣، رقم الحديث: ٧٧.

المسألة الخامسة: التثبت من خبر من اتصف بالفسق.

إنَّ مما أمتاز به المجتمع الإسلامي، أنه مجتمع قد شهد الله له بالخيرية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١). فهو مجتمع متآلف يشد بعضه بعضاً، مجتمع يتحلى ويبرز فيه المحبة والصدق والطهر والعفاف.

إنه مجتمع العدالة والوسطية في الأمور، ولكن مما يؤسف له، أنه لم يخلُ مجتمع من مجتمعات المسلمين من المنافقين الحاقدين الحاسدين، الذين لا يروق لهم أن يروا المجتمع المسلم مجتمعاً متآلفاً، متآخياً يسعى بدمتهم أذناهم، وإذا اشتكى أذناهم اشتكى أقصاهم^(٢). ولذلك أنزل الله ﷻ، في كتابه قاعدة تتلى إلى يوم القيامة وهي: التثبت والتبين من خبر الفاسق إذا جاء به، لضمان حماية المجتمع المسلم من مثل هؤلاء.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣)

، فأرشدنا ﷻ إلى قاعدة هي من أصول العدل، وأعظم أسباب السلامة، والظفر، وهي: وجوب التأكد من سلامة الناس، والبحث عن أحوالهم، عند ورود ما يتطلب، وذلك حماية للمجتمع، وصيانتهم من الأخبار والشائعات، التي يروجها الفساق، فأمر الله تعالى المؤمنين، أن لا يقبلوا خبر الفاسق؛ لما يجر على المسلمين من مضرة، نتيجة نقله أخباراً كاذبة، فعليهم أن يتبينوا من خبره حتى لا يندموا .

قال الإمام القرطبي: في الآية دليل، على قبول خبر الواحد، إذا كان عدلاً، لأنه إنما أمر فيها بالتثبت، عند نقل خبر الفاسق، ومن ثبت فسقه، بطل قوله في الأخبار إجماعاً، لأن الخبر أمانة، والفسق قرينة يبطلها^(٤).

(١) سورة آل عمران، آية: (١١٠).

(٢) انظر: معالم المجتمع المسلم كما بينتها سورة الحجرات، عبد العظيم بدوي، ص ١٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٩٧/١٦.

وقال الإمام ابن كثير: يأمر ﷺ، بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله، فيكون في نفس الأمر كاذبًا أو مخطئًا^(١).

والمقام يدعو إلى تعريف الفسق، كما يلي:

تعريف الفسق:

الفسق في اللغة: الخروج، يقال: فسق فسوقًا، من باب قعد، خرج عن الطاعة، وفسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها، وأصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد^(٢).

وفي الاصطلاح:

قال الإمام المناوي: الخروج عن الطاعة بارتكاب الذنب، وإن قل، ولكن تعورف فيما إذا كان كبيرة، وأكثر ما يقال الفاسق، لمن التزم حكم الشرع، وأخل بأحكامه العملية^(٣).
وقيل الفسق هو: "الترك لأمر الله تعالى، والعصيان، والخروج عن طريق الحق، أو الفجور"^(٤).

ويظهر من التعريف الاصطلاحي ما يلي:

أ- أن الفسق يأتي بمعنى الكفر، كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا لَهُمْ نَارٌ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٦).

(١) تفسير القرآن العظيم، ٤/٣٠٨.

(٢) انظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ص ١٢٨.

(٣) انظر: التوقيفات على مهمات التعاريف، ص ٥٥٧.

(٤) المرجع السابق ص ٥٥٧.

(٥) سورة البقرة، آية: (٩٩).

(٦) سورة السجدة، آية: (٢٠).

ب- كما يأتي الفسق بمعنى الخروج عن الطاعة والأمر، قال تعالى:

﴿وَأِنْ تَفَعَّلُوا فِإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾^(١)، وكما في آية سورة الحجرات:

﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ﴾^(٢).

ومن هذا يتبين أن الفسق، المراد في آية سورة الحجرات، هو المقصود عند أهل السنة والجماعة، بقولهم عن الفاسق هو: "من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، دون الشرك، فهو يسمى فاسقاً، ساقط العدالة، لا تقبل شهادته، ولا يقبل خبره، وهو ليس بكافر، بل هو مؤمن، ولكنه ناقص الإيمان، لا تقبل شهادته، ولا يعتبر عدلاً حتى يتوب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ مما ارتكبه من الذنوب والمعاصي، ثم تعود إليه العدالة"^(٣).

وفي التثبت من خبر الفاسق فيه حرز للإنسان من الوقوع في أعراض الناس وإتلاف نفوسهم وأموالهم بغير حق.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: وهذا أيضاً من الآداب، التي على أولي الألباب التأدب بها، واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بنبأ، أي: خبر، أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجرداً؛ فإن في ذلك خطراً كبيراً، ووقوعاً في الإثم؛ فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه؛ فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق، بسبب ذلك الخبر، ما يكون سبباً للندامة، بل الواجب عند سماع خبر الفاسق التثبت والتبين^(٤).

وتخصيص الفاسق في آية الحجرات: "لأنه مظنة الكذب، حتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها، فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذ بها، فأما الفاسق، فهو موضع الشك حتى يثبت خبره.

(١) سورة البقرة، آية: (٢٨٢).

(٢) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٣) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، صالح بن فوزان الفوزان، ١٧٠/٢.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٧٩٩/١.

وبذلك يستقيم أمر الجماعة، وسطاً بين الأخذ والرفض، لما يصل إليها من أنباء، ولا تتعجل الجماعة في تصرف وعمل بناء على خبر فاسق، فتصيب قومًا بظلم عن جهالة وتسرع، فتندم على ارتكابها ما يغضب الله، وتجانب الحقن والعدل في اندفاع"^(١).

ومع هذا لم يأمر الله ﷻ، برد خبر الفاسق وتكذيبه جملة، وإنما أمر بالتثبت فيه، قال تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ﴾، فإن قامت قرائن، وأدلة من خارج، تدل على صدقه، عمل بدليل الصدق.

قال العلامة الشنقيطي^(٢) رحمه الله: قد دلت هذه الآية من سورة الحجرات على أمرين: الأول: أن الفاسق إن جاء بنبأ ممكن معرفة حقيقته، وأن ما قاله فيه الفاسق حق أو كذب، فإنه يجب فيه التثبت.

والثاني: هو ما استدل عليه بما أهل الأصول، من قبول خبر العدل، لأن قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ﴾ يدل بدليل خطابه، أعني مفهوم مخالفته، أن الجائي بنبأ إن كان غير فاسق، بل عدلاً، لا يلزم التبين في نبئه، على قراءة فتبينوا، ولا التثبت، على قراءة فتثبتوا، وهو كذلك^(٣).

وأما شهادة الفاسق فهي مردودة، لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤)، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء^(٥).

وبهذا يعلم، أنه متى ظهرت الأدلة على صدق خبر الفاسق قبل، وإن ظهرت على كذبه لم يقبل.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/٦/٣٣٤.

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مفسر مدرس من علماء شنقيط -موريتانيا-، ولد وتعلم بها، وحج سنة ١٣٦٧هـ، واستقر مدرسا في المدينة المنورة، له كتب، منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، وآداب البحث والمناظرة، توفي بمكة المكرمة، سنة ١٣٩٣هـ. أنظر: الأعلام للزركلي، ٦/٤٥٠.

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ ٧/٤١٥ - ٤١٦.

(٤) سورة النور، آية: (٤).

(٥) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي، ٧/٤١٥، بتصرف.

المسألة السادسة: التآني في أمر الطلاق .

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وإذا تطرق إليها الفساد، فسد المجتمع، بفسادها، لأن المجتمع مكون من مجموعة أسر، والمرأة لبنة في تلك الأسرة، فهي ربة المنزل، ومصنع الرجال، جعل الله بينها وبين الرجل مودة ورحمة، وجعل بينهما علاقة شريفة، ومصالح عظيمة كثيرة، منها: أنها أغض للبصر، وحفظ للفرج عما حرم الله، وحصول الراحة النفسية، والسكن والأنس، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

وليستقيم رباط الأسرة على الحب والتعاون بين الطرفين، حرص الإسلام على إقامة رابطة الزوجية على المشاركة في نعيم الحياة وبؤسها، وجعل الوفاء عنصراً أساسياً للالتزام بها، كما حرص الإسلام على سلامة بناء الأسرة المسلمة من التصدع، ليكون صلباً، لا يحركه الخلاف والخصام، ولا الطبيعة البشرية التي جبل عليها الإنسان من الاستعجال، فأمر المسلم منذ اختيار الزوجة، أن يحرص على ذات الدين، لأنها تسرُّ الزوج إذا حضر، وتحفظه في نفسها وماله وأولاده، إذا غاب عنها، كما أن الإسلام شرع للرجل، أن ينظر للمخطوبة، لأنه أدعى إلى التوفيق بينهما، وضمان لبقاء الرابطة الزوجية بينهما إذا رضي كل طرف منها بالآخر، كل ذلك من أجل تكوين أسرة تساهم في بناء المجتمع المسلم، كما رغب بالإبقاء على العلاقة الزوجية، ونهى عن كل ما يعرضها للزوال، فأمر بالمعاشرة بالمعروف ولو مع كراهة أحدهما للآخر، فقال سبحانه:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢).

(١) سورة الروم، آية: (٢١).

(٢) سورة النساء، آية: (١٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((استَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ، كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))^(١)، وفي رواية لمسلم: ((وَكَسْرُهَا، طَلَاقُهَا))^(٢).

ونظرًا؛ إلى أن هناك حالات ينهدم فيها رباط الزوجية، بالرغم من الضمانات والتوجيهات التي شرعها الإسلام، وإذا شعر الزوج بنفرة زوجته منه، وبعدم انقيادها لحقه، لذا فقد أمر الله تعالى في مثل هذه الحالات، بالأناة والتريث، والتبين من الأمور، وعدم التعجل، وأرشد إلى أن علاج ذلك يكون بالحكمة، واتخاذ الخطوات المناسبة، من وسائل تأديبية وإصلاحية ناجعة، فقال تعالى:

﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضْجِعِ وَأَصْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(٣)، و يكون ذلك على مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الصبر والتحمل من الزوجة، فمجرد التذمر، وكراهية الزوج لزوجته، ليس سببًا كافيًا للطلاق، بل أمر الزوجين بالعشرة بالمعروف وحث على تحمل الكراهية، فعمل فيها خيرًا، قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا﴾^(٤)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَا يَفْرُقُ^(٥) مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))^(٦)، فإذا تتبع الزوج حسنات امرأته، مع ما قد يكون فيها من سيئات، لما تسرع في أمر قد يكرهه، ويندم عليه.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ٣/١٢١٢، رقم الحديث: ٣١٥٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ٢/١٠٩٠، رقم الحديث: ٥٩.

(٣) سورة النساء، آية: (٣٤).

(٤) سورة النساء، آية: (١٩).

(٥) الفرق، أي: لا يبغضها بغضا كلياً يحمله على فراقها، انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي،

٢٢٢/٤.

(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ٢/١٠٩١، رقم الحديث: ٦١.

المرحلة الثانية: الموعظة وذلك تخويفها بالله، وتذكيرها بحقوق الزوج، والعشرة الحسنة، وجزاء هذه العشرة الطيبة عند الله، والإثم الذي يصيب المرأة إذا عصت زوجها، فإذا لم تُجِد الموعظة من لفت النظر، والتنبيه والتصريح مع الرفق في الموعظة، كان الانتقال إلى المرتبة التي تليها.

المرحلة الثالثة: الهجر في المضجع، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الهجر ألا يجامعها، أو أن يضاجعها على فراشها، ويوليها ظهره ^(١)، وهذا الهجر، يكون فيها إشعاراً لمقدار من السخط قد يؤدي إلى حرمان متعة اللقاء، ويشعرها بالخطأ، الحاصل منها، تجاه زوجها وبيتها. فإذا لم تُجِد وسيلة الهجر في رد الزوجة إلى الطاعة والاستقامة، كان اللجوء إلى المرتبة التي بعدها، وهي:

المرحلة الرابعة: الضرب غير المبرح، بحيث يكون ضرب تخويف دون ألم، يهدف إلى التقويم، وتهذيب وتأديب، لا ضرب انتقام، أو تشفي أو إهانة، أو إذلال.

كل تلك المراحل يتخذها الزوج مع زوجته، دون تدخل من أحد خارجي، فإن استمر الخلاف، وتوتر الأمر، ولم ينفع الوعظ والإرشاد، ولم يجد الهجر في المضجع، ولا الضرب غير المبرح، وأعيى العلاج، وتجاوز الأمر الكراهية والتذمر والنشوز إلى المخالفة والنزاع والشقاق، فقد أمر الله تعالى بالتدخل بينهما، وذلك للقيام بأمر الإصلاح بين الزوجين، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ ^(٢).

وذلك بأن يُختار لكل واحد من الطرفين، حكم من أهلها، يتحلين بالإنصاف والعدل، أحدهما من أسرة الزوج، والثاني من أسرة الزوجة، وذلك للنظر في الخلاف الحاصل بين الزوجين، ودراسة ملابسات الخلاف، فيعملان على إزالة الخلاف، وتقريب وجهات النظر،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/٢٩٤.

(٢) سورة النساء، آية: (٣٥).

ويسعيان إلى تأليف القلوب بينهما، ويأخذان على يد المعتدي، وينصفان المعتدى عليه ويسويان النزاع ،

كل تلك الإجراءات والمراحل لكي يبقى عقد النكاح مستمرًا، ويرجع بيت الزوجية إلى الوئام والمحبة التي كانت بينهما.

قال سيد قطب: فالإسلام، لا يسرع إلى رباط الزوجية المقدسة فيفصمه لأول وهلة، ولأول بادرة من خلاف، بل إنه يشد على هذا الرباط بقوة، فلا يدعه يفلت، إلا بعد المحاولة واليأس، إنه يهتف الرجال:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١)

، فما يدر بهم أن في هؤلاء النسوة المكروهات خيراً، وأن الله تعالى يدخر لهم هذا الخير، فلا يجوز أن يفلتوه... فإذا تجاوز الأمر مسألة الحب والمودة، إلى النشور والنفور، فليس الطلاق أول خاطر يهدي إليه الإسلام، بل لا بد من محاولة يقوم به الآخرون، وتوفيق يحاوله الخيروّن

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢) ، ^(٣).

فإن لم يستطع هذان الحكمان إنقاذ الحياة الزوجية، تعيّن الطلاق.

تعريف الطلاق:

الطلاق في اللغة: الحلّ، ورفع القيد.

وفي الاصطلاح: رفع قيد النكاح في الحال أو المال، بلفظ مخصوص، أو ما يقوم مقامه^(٤).

والأصل في مشروعيته قوله تعالى:

(١) سورة النساء، آية: (١٩).

(٢) سورة النساء، آية: (٣٥).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٣٥٩٧.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٣٢/١٠٧.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾^(١)، وما رواه ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، طلق حفصة، ثم راجعها^(٢)،^(٣).

فإذا كان بقاء الزوجين، ضرر على أحدهما بدون مصلحة راجحة، فقد شرع الله الفراق بينهما بالطلاق، الذي هو آخر المراحل، وهو في مثل هذه الحالة رحمة من الله، يتخلص به المتضرر، ويتيح له الفرصة للحصول على بديل أحسن، قال الله تعالى:

﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كَلَامًا مِنْ سَعْتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾^(٤).

فحينئذ؛ لا مجال لإبقاء النكاح بينهما "لما فيه مفسدة وضرر مجرد بين الزوجين، مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقترضى ذلك شرع ما يزيل النكاح، لتزول المفسدة الحاصلة منه"^(٥).

وينبغي في هذه الحال أن يسلك الزوج مسلماً يقيه شر العجلة والتسرع، والغضب، وأن يوقع الطلاق بالكيفية التي رسمها الإسلام، وهي: أن يكون الطلاق في حالة طهر لم يجامع فيه الزوج، أو في الحمل حتى لا يكون الطلاق بدعيًا^(٦)، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾^(٧).

(١) سورة الطلاق، آية: (١).

(٢) رواه أبي داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في المراجعة، ٣/٢١٤، رقم الحديث، ٢٢٧٧، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، للألباني ٢/٣٤، رقم: ٢٢٨٣.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٩/٥-٨.

(٤) سورة النساء، آية: (١٣٠).

(٥) انظر: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ل عبد الله بن أحمد بن قدامة، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ٨/٢٣٤-٢٣٥.

(٦) الطلاق البدعي، هو: أن يطلق الرجل امرأته ثلاث تطليقات، بلفظ واحد، أو أن يطلقها وهي حائض، أو يطلقها في طهر جامعها فيه، والأصل في حرمة، حديث البخاري في صحيحه، والذي فيه أن عبد الله بن عمر، طلق امرأته وهي حائض، فبلغ ذلك عمر، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال له صلى الله عليه وسلم: ((مره فليراجعها))، انظر: تفسير أضواء البيان، للشنقيطي، ٨/٢٢٤، بتصرف.

(٧) سورة الطلاق، آية: (١).

وفي هذا تأجيل لوقت الطلاق، الأمر الذي قد يؤدي إلى تغيير النفوس في هذه الفترة، فيصلح الشأن، وتعود الألفة.

ولكنه، إذا حصل الطلاق، فقد جعله الله ﷻ على ثلاثة مراحل، فإن ذلك فيه من التريث والتأني، والفرصة للمراجعة مرة أخرى إلى رباط الزوجية، قال تعالى:

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾^(١).

ثم تأتي بعد فترة الطلاق الرجعي فترة العدة، والتي يجب أن تكون في بيت الزوج، فلعلّ القلوب تعود إلى سابق ودها، ولعل الغضب يزول ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٢). قال العلامة السعدي في تفسيره: أي لعل الله يحدث في قلب المطلق الرحمة والمودة، فيراجع من طلقها، ويستأنف عشرتها، ولعله طلقها بسبب منها، فيزول ذلك السبب، في مدة العدة، فيراجعها لانتفاء سبب الطلاق^(٣).

والعدة تكون في بيت الزوج، فلا يجوز للمرأة الخروج، ولا يجوز للزوج أن يخرجها، ويستمر هذا النهي حتى تمام العدة، لأن ذلك أدمى للعودة، والوفاق بين الزوجين، أما الاستثناء في خروج المعتدة من بيت الزوج، يجب أن يكون بفاحشة مبينة، قال تعالى:

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾^(٤).

ومن التثبت والتأني في الطلاق، الإشهاد عليه، لقوله تعالى:

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^(٥)،

(١) سورة البقرة، آية: (٢٢٩).

(٢) سورة الطلاق، آية: (١).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٥/٢٦٠.

(٤) سورة الطلاق، آية: (١).

(٥) سورة الطلاق، آية: (٢).

وهذا فيه إشعار بأن الطلاق ينبغي الإشهاد عليه، كما أن الرجعة ينبغي الإشهاد عليها، لقول عمران بن حصين^(١) رضي الله عنه، عندما سئل عن الرجل يطلق امرأته، ثم يقع بها، ولم يشهد على طلاقها،

ولا على رجعتها، فقال رضي الله عنه: "طَلَّقْتَ لغير سُنَّةٍ، وراجعت لغير سُنَّةٍ، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها، ولا تعد"^(٢).

وفي هذه الخطة الحكيمة التي رسمها الشارع الحكيم، للطلاق تقليل من وقوعه، والمتمشي على تلك السنة الإلهية، لا يتضرر به ولا يندم عليه، ويجعله يتجنب الآثار السيئة التي يقع فيها من أحل بها.

فالتثبت والتأني في المصالح والحقوق التي بين الزوجين، لاسيما في أمر الطلاق وأحكامه المصاحبة له، فيها من الضمانات التي وضعها الإسلام، لاستمرار واستقرار الرابطة الزوجية، وإدامتها على المودة والوئامن لتحقيق أغراضها المرسومة لها، وذلك سلامة للمجتمع من التصدع، وسلامة للأسرة من الضياع والتفراق.

(١) الصحابي: عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي الكعبي، يكنى أبا نجيد، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزوات، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة، ليفقه أهلها، وكان من فضلاء الصحابة، توفي بالبصرة سنة (٥٥٢هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، ٤/٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) رواه أبي داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث، ٣/٦٧، رقم الحديث: ٢١٧٩، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٨/٢، رقم: ٢١٨٦.

الفصل الثالث

أثر التثبيت، وفوائده، في الدعوة إلى الله.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الإيجابية للتثبيت .

المبحث الثاني: الآثار السلبية لعدم التثبيت .

المبحث الثالث: فوائد التثبيت في الدعوة إلى الله .

المبحث الأول

الآثار الإيجابية للتثبت .

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : التثبت فيه تحقيق وإعمال لقاعدة (اليقين لا يزول

بالشك) .

المطلب الثاني : في التثبت ترويض للنفس على تتبع الحق .

المطلب الثالث : في التثبت مجانبة للنفس عن الوقوع في اتباع الهوى .

المطلب الرابع : في التثبت تطهير لسان من الآفات .

المطلب الخامس : إشاعة الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع .

المطلب الأول: التثبت فيه تحقيق وإعمال لقاعدة: اليقين لا يزول

بالشك .

إن كثيرا من الأخبار، والأقوال التي تثار في أوساط المجتمع، قد يشوبها شيء من الضبابية، مما يجعل متلقيها حائر بين اليقين بها، أو الشك فيها.

والعوامل التي ساعدت في إيجاد هذه الضبابية المتناقضة وغير المستقرة، هي مايلي:

العامل الأول: أن من الطبيعة الفطرية عند الإنسان، الرغبة في السبق إلى نشر الخبر.

العامل الثاني: رغبة البعض بأن يوصفوا بين أقرانهم بسعة العلم، والإحاطة بالأمر، وسعة علاقتهم الكبيرة، والتي أتاحت لهم الاطلاع على الأمور قبل غيرهم .

وفي هذا، انسياق وراء الظنون، والشكوك التي لها آثار مدمرة في المجتمع المتماسك، والذي غالبًا ما ينتج منه البلبلة والانشقاق في المجتمع المسلم، وإضعاف الثقة في أهل الدعوة وأهل الإصلاح والتوجيه.

ولهذا؛ جاءت الشريعة الإسلامية بنهج يدعو فيه إلى ترسيخ وتحقيق قاعدة (اليقين لا يزول بالشك)، وإعمالها بين أفراد المجتمع ، فتعمهم الطمأنينة والاستقرار ، ويتماسك أفرادها فيما بينهم ، فلا تفرقهم إشاعة أو خبر ، الذي غالبًا ما يعتريه عامل الشك والظنون.

وفيما يلي، تعريفٌ لليقين والشك.

تعريف اليقين:

اليقين في اللغة: قيل هو: "العلم، وزوال الشك"^(١).

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ٦/٢٢١٩.

وقيل: "زوال الشك" (١).

وقيل: "اليقين، العلم وإزاحة الشك، وتحقيق الأمر" (٢).

فتبين، أن اليقين في اللغة: هو العلم، وهو ضد الشك .

واليقين في الاصطلاح:

قال الجرجاني هو: اعتقاد الشيء بأنه كذا، مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقا للواقع، غير ممكن الزوال (٣).

وقيل هو: العلم المستقر في القلب لثبوته عن سبب متعين له، بحيث لا يقبل الانهدام (٤).

فاتضح معنى اليقين في الاصطلاح أنه: "الاعتقاد بالشيء والجزم به، وأنه غير قابل للزوال.

أما الشك في اللغة:

قال ابن منظور هو: نقيض اليقين، وجمعه شكوك، وقد شككت في كذا و تشككت

وشك في الأمر (٥). وقيل: "شك الأمر يشك شكا إذا التبس وشككت فيه (٦).

والشك في الاصطلاح:

جاء في المصباح المنير، قال أئمة اللغة الشك: خلاف اليقين، فقولهم خلاف اليقين، هو

التردد بين شيئين، سواء استوى طرفاه، أو رجع أحدهما على الآخر (٧).

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا، ١٥٧/٦.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤٥٧/١٣.

(٣) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ٣٦٣.

(٤) انظر: الكلبيات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ١١٦/٥.

(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤٥١/١٠.

(٦) انظر: المصباح المنير، أحمد الفيومي، ٥٩/٥.

(٧) انظر: المرجع السابق، ٥٩/٥.

والصورة التطبيقية للتثبت في الموضوع وإعمال لقاعدة (اليقين لا يزول بالشك) فهي تظهر في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لماعز بن مالك: ((أحق ما بلغني عنك، قال: وما بلغك عني، قال: بلغني أنك وقعت بجارية آل فلان، قال: نعم، قال: فشهد أربع شهادات، ثم أمر به فُرجم))^(١).

فالشاهد في هذا الحديث، قول النبي صلى الله عليه وسلم ((أحق ما بلغني عنك)).

وهذا فيه إفادة أنّ هناك من نقل للنبي صلى الله عليه وسلم عن أمر ماعز، فلم يسرع النبي صلى الله عليه وسلم في الحكم عليه قبل أن يتبين من حاله، وإنما تثبت من الأمر الذي نقل إليه، من خلال استيضاحه وسؤاله لماعز بن مالك رضي الله عنه.

فكان الخلق الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم التثبت والتيقن من الأخبار والأقوال المنقولة إليه، وعدم الخوض في أعراض المسلمين بالظن والشك.

إن الخوض في الأمر من غير تثبت وتيقن، فيه هتك لعرض المسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ المُسلِمِ عَلَى المُسلِمِ حَرَامٌ، عَرَضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ))^(٢).

والقاعدة الأصولية في ذلك: الأصل براءة الذمة^(٣)، فالأصل في ذم الناس، أنه فارغة من جميع أنواع التحمل، والالتزام إلى أن تثبت التهمة بدليل وبينة، فالبشر يولدون وذمهم فارغة،

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم الحديث: ٤٥٢٣.

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، ٢٨٦/٤-٢٨٧، رقم الحديث:

١٩٢٧، قال الإمام أبو عيسى الترمذي: هذا الحديث حسنٌ غريب، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن

الترمذي، للألباني، ٣٥١/٢-٣٥٢، رقم: ١٩٣٠.

(٣) الأشباه والنظائر، للسيوطي، ص ١٢٢.

والتحمل والالتزام صفة طارئة عليهم، فالإدانة لا تكون بشك أو ظن، وإنما تكون بيقين وتثبت من خلال الدليل^(١).

ولاشك أن سير المسلم في عبادته ومعاملاته، والداعية في دعوته، طبقاً لهذه القاعدة، سيُكسب الجميع ملكة، يستطيعون من خلالها أن يسيروا بها في كافة نواحي حياتهم.

فالحاجة ضرورية لمثل هذه القاعدة، والعلم والعمل بها، ولتصبح جزءاً من الشخصية، مما يُندر أن يكون عرضة للتبع الظن، أو أن يحركه مجرد الشكوك، وإنما يتحرك من مواقف ثابتة لا تنزل إلا بيقين آخر.

ففائدة هذه القاعدة، أنها تمنح المسلم والداعية التثبت والتبين عند الحكم على الأفراد والجماعات، أو على مقتضيات أعمالهم، لأن يأوي إلى جبل من اليقين، وأن الأصل في المسلم البراءة والعدالة، والسلامة مما يتهمبه.

كما، أن إهمال هذه القاعدة يؤدي إلى الانسياق وراء الظنون والشكوك، مما يكون له آثاراً سيئة على الفرد والجماعة.

(١) انظر: القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، د. محمد عثمان شبير، الطبعة الثانية، عمان - الأردن:

دار الفرقان، ١٤٢٠هـ، ص ١٤٧.

المطلب الثاني: في التثبث ترويض النفس على تتبع الحق.

على المسلم المثبت، توطين نفسه على المجاهدة، وتدريبها على التثبث والتأني والتريث، ويكون ذلك بالتعلم والتدريب، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

أي: "النوْقَتَهُم لإصابة الطرق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام"^(٢).

ففي الآية وعدُّ من الله، بأنَّ من جاهد نفسه في البحث والتحري عن الحق لاتباعه والاستقامة عليه، بأنَّه يوفقه إلى تحقيق مبتغاه .

وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ))^(٣).

ولهذا، فإن من أعظم الأسباب إلى التوفيق في الوصول إلى الحق؛ هي المجاهدة، وهي مفاعلة من الجهاد، فهو جهادٌ بعد جهاد، وحملٌ للنفس على تحقيق مراد الله .

ويُقصد بمجاهدة النفس: بأُتها: محاربة النفس الأمارة بالسوء، بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوبٌ في الشرع^(٤).

وقيل: هي حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى^(٥).

(١) سورة العنكبوت، آية: (٦٩).

(٢) جامع البيان، للطبري، ١٥/٢١.

(٣) المعجم الأوسط، للإمام سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد حسن الشافعي، الطبعة الأولى، عمان- الأردن: دار

الفكر ١٤٢٠هـ، ١٠٣/٢، رقم الحديث: ٢٦٦٣، والجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، ٣٤٤/١٩، رقم الحديث:

١٠٢٤٥، وحسنه الألباني: انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٤٦١/١، رقم: ٢٣٢٨.

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ل المناوي ص ٢٠٤.

(٥) انظر: التعريفات، ل الجرجاني، ص ٢٨٥.

وإن من مجاهدة النفس عند الثبث، تحري الصدق في النيات والأقوال والأعمال وفي جميع الأحوال، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا))^(١).

وتحري الصدق يوصل صاحبه إلى مرتبة الصديقية، والتي هي مرتبة بعد مرتبة النبوة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢).

وإن من مجاهدة النفس عند الثبث، الإخلاص والبعد عن الرياء ورفضه، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهَ بِهِ))^(٣).
سئل الإمام سهل بن عبد الله^(٤) عن أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص لأنه شيء ليس فيه نصيب^(٥).

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ٢٠١٢/٤، رقم الحديث: ١٠٥.

(٢) سورة النساء، آية: (٦٩).

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، ٢٣٨٣/٥، رقم الحديث: ٦١٣٤، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ٢٢٣/٨، رقم الحديث: ٧٦٦٧.

(٤) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد، عالم زاهد، من علماء فن الكلام والرياضيات، من مصنفاته: مختصر في تفسير في القرآن ورفائق المحبين، توفي سنة (٢٨٣هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٣٠/١٣، والأعلام للزركلي، ١٤٣/٣.

(٥) انظر: بستان العارفين، للإمام يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد سعيد، مصر: إدارة الطباعة المنيرية، بدون رقم الطبعة وتاريخها، ص ٢٥.

وإن من مجاهدة النفس منعها من الانتصار لذاتها، أو التعصب لرأيها، ممّا يؤدي بها إلى رفض الحق، وفي هذا مخالفة للمنهج الذي كان عليه السلف الصالح، قال الإمام الشافعي: ما ناظرتُ أحداً على الغلبة، وودت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه^(١).

فبالتجرد للحق، تُزال الاختلافات وتستقيم النفوس، ويكون ذلك بمجاهدة النفس، وإلزامها الحق بالقوة.

ونبه الإمام الغزالي^(٢) إلى علاقة النفس بأصحابها، وما يجب عليه تجاهها، فقال: إن النفس عدو منازع، يجب علينا مجاهدتها^(٣).

فبالإرادة والعزيمة والقوة، يستطيع المسلم مجاهدة نفسه، لتغيير سلوكه وطبعه السيئ، والتحلي بمكارم الأخلاق وفضائله، مع اليقين بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يعينه إذا لجأ إليه واستعان به.

(١) انظر: بستان العارفين، للإمام النووي، ص ٢٧.

(٢) محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، مولده ووفاته بخراسان، رحل إلى بغداد والحجاز والشام ومصر، له مصنفات كثيرة منها: الاقتصاد في الاعتقاد، والمستصفي من علم الأصول، عقيدة أهل السنة، والمقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى، وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٥٠٥هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٩٢٩/١٩، والأعلام للزركلي، ٢٢/٧.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، محمد أبي حامد الغزالي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الخير، ١٤١١هـ، ١٩٢/٣.

المطلب الثالث: في التثبت مجانبة للنفس عن الوقوع في اتباع الهوى.

إنَّ التثبت والتبين حصنٌ لنفس المسلم والداعية منَّ إتباع الهوى، ومانعًا له من الوقوع في الظنون الكاذبة التي لا دليل عليها، ولا حجة فيها، كما أن فيه ترويضًا للنفس على الانقياد للحق، وتشديد عليها في ذلك حتى يصير انقياده للحق، ومجانبته للهوى عادة وطبيعة في تفكيره وسلوكه .

واتباع الهوى والظن، وعدم التثبت؛ هو من أخطر الأسباب المعينة في رد الحق واتهام الآخرين بما هم منه براء؛ مما يكون وسيلةً للوقوع في الجور والظلم، قال تعالى:

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾^(١).

ولقد بين القرآن الكريم، خطورة اتباع الهوى، لما فيه من إضلال عن سبيل الله، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

إن التجرد في اتباع الحق، والعمل به، وإخلاص النية، وضبطها ما أمكن، هو السبيل لقطع الطريق لأهواء النفس من أن تضل أو أن تطغى .

فعن علي عليه السلام أنه قال: إن أخوف ما أتخوفُ عليكم اتباع الهوى؛ فإنه يصدُّ عن الحق^(٣). والنفس التي تتبع هواها لا يستقيم لها رأي ولا قول، وميزان الحكم لديها لا اعتدال فيه، وإذا كان الحق ليس فيما يراه فلا خضوع ولا انقياد له، بل التثبت والتمسك بما يراه من قول وعمل وإن كان على باطل.

وقد كان السلف رضوان الله عليهم، يحدرون من مجالسة أهل الأهواء، مغبة من أن يكون في مجالستهم سبيل للوقوع في أهوائهم واتباع لضاللتهم.

(١) سورة النجم، آية: (٢٣).

(٢) سورة ص، آية: (٢٦).

(٣) انظر: فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د. وصي الله عباس، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة،

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب ^(١).

قال أبو قلابة: لا تجالسوهم ولا تخالطوهم، فإنّي لا آمنُ أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما تعرفون ^(٢).

فأهل الأهواء يقومون باستخفافات! تخرج المسلم عن طوقه وعقله؛ لينساق وراء عاطفته وهواه.

فعلى المسلم؛ أن يجعل هواه تبعاً لحكم الله وشرعه، بحيث يتحلي ويتمسك بالتثبث والتبين في سلوكه وتعامله، وليحذر وليتنبه في نفسه من الانسياق وراء الأهواء والأوهام الباطلة، ويحميها من الخضوع للجهل والانجرار للوقوع في الظلم والجور.

(١) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة، عبد الله بن محمد بن بطة الحنبلي، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، الطبعة الثانية، الرياض: دار الراجعية، ١٤١٥هـ، ٤٣٨/٢.

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لـ هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق د. أحمد بن سعد حمدان رحمته الله، الطبعة الرابعة، الرياض: دار طيبة، ١٤١٦هـ، ١٣٤/١.

المطلب الرابع: في التثبث تطهير لسان من الآفات.

إن في اتباع مسلك التثبث والتأني خير معين لصيانة اللسان عن الثثرة واللغو وإثارة الإشاعات والفتن، وحماية له من الخوض في الباطل، والوقوع في أعراض الناس، وغير ذلك من الآفات، وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ))^(١)، ومن كان في سكوته و في كلامه مخالفاً هوى نفسه، فهو أجدر بتوفيق الله له، وتسديده في نطقه وسكوته.

قال وهب بن منبه^(٢): أجمعت الحكماء، على أن رأس الحكمة الصمت^(٣).

إنَّ في المجتمع فئات من الناس أصبح ديدنهم البحث عن الأخطاء وتصيدها، وتتبع العورات، ونشر ذلك في وسائل البث والإذاعة، دون تحقق أو تثبث، وربما حوّلوا مزايا الشخص إلى عيوب، وحسناته إلى سيئات، وذلك بسبب نفوسهم المريضة ونظراتهم السوداء، والسبيل في الابتعاد عن مثل هذه السلبيات التي تُضّر النفس والآخرين، هو دفع النفس إلى الترويض على صيانة اللسان، وإمساكه عن الوقوع في مثل هذه المساوي، ذلك أن اللسان هو الذي يورد النفس المهالك، ويوقعها في الموبقات، وقد أخبر النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه، ضمن وصيته له ضرورة حفظ اللسان، ولما سأل معاذ: أنحن مؤاخذون يا رسول الله بما نقول؟ أجابه ﷺ بقوله: ((تَكَلِّمْتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَيَّ وَجُوهِهِمْ أَوْ عَلَيَّ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))^(٤).

(١) سبق تخريجه ص ١٠٤.

(٢) وهب بن منبه الصنعاني الذماري، أبو عبد الله، مؤرخ، يعد في التابعين ولاة عمر بن عبد العزيز قضاءها، قال العجلي: تابعي ثقة، كان على قضاء صنعاء، وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة، من مصنفاته: ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، وقصص الأنبياء، وقصص الأخيار، توفي في صنعاء سنة (١١٤هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٥٤٤/٤، الأعلام، للزركلي، ١٢٥/٨.

(٣) انظر: حسن السميت في الصمت، للسيوطي، ص ٢٤.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، ١١/٥، رقم الحديث: ٢٦١٦، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي، ٤٢/٣-٤٣، رقم:

ولهذا قال قتادة^(١): لا تقل سمعت ولم تسمع، ولا تقل رأيت ولم تر، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله^(٢).

وهذا فيه تنبيه وإرشاد للإنسان من أن يقول شيئاً لا يعلمه، ولكن يجب التأكد والتثبت قبل أن يفتح فمه بما يقول، والعبد سيسأل يوم القيامة عن سمعه وبصره وفؤاده، فاحذر وتثبت

إن الحاجة إلى التثبيت من القيل والقال، تعظم في أوقات الفتن، وفي الأجواء التي تروج فيها الشائعات والأراجيف، وذلك بحفظ اللسان وصيانة السمع، لأنه السبيل الذي يعين على ثبات الجماعات واستقرار الأمم.

فأمرت الشريعة الإسلامية بحفظ اللسان، وحثت على التثبيت والتبيين في نقل الأخبار، وأخبرت أن الإنسان مسؤول أمام الله **وَعَلَيْكَ**، ومحاسب عن كل صغير وجيليل، قال تعالى **﴿وَلَا تُقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**^(٣).

كما نبهت، وحذرت الشريعة الإسلامية من إلغاء العقول من التثبيت عند كل شائعة، والتفكر في كل ما يُذاع ويُنقل وعدم الانسياق وراءها، وذلك سدًا للباب أمام المغرضين والمتربصين، ومنعًا لهم بنقل الإشاعات والبلاغات الكيدية المغرضة والأخبار الملفقة المكذوبة، لترويجها على البرآء.

إن في حفظ اللسان، سلامة للمرء من الوقوع في الخطأ، ودليل على كمال إيمانه وحسن إسلامه، ودليل على مروءته وحسن خلقه وطهارة نفسه، مما يثمر ذلك كله محبة الله، ثم محبة الناس ومهابتهم له، فالعاقل لا يبتدئ الكلام إلا إذا سُئل، ولا يسرع الجواب إلا بعد تثبيت وتبين.

(١) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي البصري، أبو الخطاب، مفسر حافظ، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وأعلم أهل الحديث، ورأساً في العربية ومفردات اللغة، مات بواسط سنة (١١٨هـ)، انظر: الأعلام للزركلي، ١٨٩/٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧٥/٥.

(٣) سورة الإسراء، آية: (٣٦).

قال أبو بكر بن عياش^(١): العقل؛ إمساك اللسان والتؤدة^(٢).

إن تطهير اللسان من الآفات، والتثبت قبل القول، ووزن الكلام قبل التكلم به أمر ذو شأن، إذ به تضمن الجنة كما قال النبي ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ))^(٣).

إنه يتطلب من الناقل التثبت فيما يقال، واجتناب الظنون والأوهام، والحذر من التحدث بكل ما يسمع، كما قال ﷺ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ))^(٤)، ففيه أن على المسلم التثبت وأن لا ينقل كل ما يسمع.

(١) أبو بكر بن عياش ابن سالم الأسدي الكوفي، المقرئ الفقيه الحدث، وفي اسمه أقوال: أشهرها شعبة، قال ابن المبارك: ما رأيت أحدا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش، توفي سنة (١٩٣هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، ٨/٤٩٥ -

٥٠٧، والأعلام للزركلي، ٣/١٦٥.

(٢) الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، ٨/٥٤٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ٥/٢٣٧٦، رقم الحديث: ٦١٠٩.

(٤) سبق تخرجه ص ٨٢.

المطلب الخامس: إشاعة الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع.

من الأمور التي تعين على إشاعة الطمأنينة والثقة بين أفراد المجتمع؛ تفعيل مبدأ التأني والتؤدة في التعامل في ما بينهم، فهي تربي فيهم الاحترام والتقدير للآخرين، فإحسان الظن والثقة بالآخرين، من العوامل التي تساعد للوصول بالمجتمع إلى الاستقرار والازدهار، مما ينتج إلى إيجاد روح التعاون والثقة والألفة والمحبة فيما بينهم، وإنَّ انعدام هذه الثقة بين الأفراد من نتاجه التخلف والانحطاط في المجتمع.

وبما أن الإسلام يريد للفرد والمجتمع الخير كله، فإنه قد أوصى المسلمين بحسن الظن، وتبادل أفراد الثقة بعضهم إلى بعض، لما في ذلك من حفظ للمجتمع وانسجامه واستقراره.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(١) فاجتناب النظرة

المتشائمة، وسوء الظن بالآخرين، فيه منع لانتشار روح التردد والتشكيك وانعدام الثقة وعدم التعاون بين أفراد المجتمع .

وفي حادثة الإفك عندما أئتمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، وهي صاحبة الطهر والعفاف، لحق المؤمنين همٌّ وكرب من جراء هذا الاتهام الباطل، فأنزل الله برأتها من فوق سبع سموات، فكان في ذلك عتاب وتنبية للمسلمين من أن لا يخوضوا بالباطل، أو أن يقول بدون علم وبينة، و أنَّ عليهم أن يثقوا فيما بينهم، وأن يظنوا بأنفسهم خيرا^(٢) ، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(٣).

وفي الحث على إشاعة الثقة في المسلمين عامة، وولاية الأمر والعلماء خاصة، خير معين لإحسان الظن بهم، لأن المسلم الأصل فيه البراءة.

فعلى المسلم التثبت والتبين من كل كلام مسموع ومنقول؛ لئلا يقع في الظلم والجهل، ويقطع العلاقة المترابطة بين أفراد المجتمع، والتي أنشأها مبدأ إحسان الظن والثقة فيما بينهم .

(١) سورة الحجرات، آية: (١٢).

(٢) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٣/٥٥٣-٥٥٥، بتصرف.

(٣) سورة النور، آية: (١٢).

المبحث الثاني

الآثار السلبية لعدم التثبت

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: عدم التثبت يَجلب الندامة.

المطلب الثاني: انتشار الإشاعات بين الناس.

المطلب الثالث: عدم التثبت دافع للنفس لاتباع هواها.

المطلب الرابع: النفور والكراهية من الآخرين.

المطلب الخامس: تعريض النفس للوقوع في الجور والظلم.

المطلب الأول: عدم التثبت يجلب الندامة.

إنَّهَ مَّا يُلاحِظُ في واقع حياة كثير من الناس عدم التثبت في ما يتلقونه من الأحداث والأخبار، سواء كانت مسموعة أو مقرّوة، وتلقيهم لها من غير تمحيص وتدبّر، مما يؤدي بهم للوقوع في الفساد والضرر، فصار الواحد منهم يسارع في تصديق ما نقل إليه على أساس أنه حق واقع، ثم يظهر خلاف ما توقّعه؛ حيث يتبين له أنه مكذوب أو مبالغ فيه، أو أن مراد ما نقل إليه خلاف ما فهمه، فتأخذه الحسرة والندامة بسبب استعجاله وعدم تثبته.

فبه الشارع الحكيم إلى أهمية التثبت والتبين، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١)

، فكانت الحكمة الإلهية من التثبت والتبين، كراهة أن تصيبوا قوماً بجهالة، فتصيبكم الندامة والحسرة على عدم تثبتكم.

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: أمهلوا حتى تعرفوا صحته ولا تعجلوا بقبوله... لئلا تصيبوا قوماً براء مما قذفوا به بجهالة منكم.. فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها^(٢).

قال سيد قطب: فالتثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة، قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق^(٣).

فيجب على المسلم امتثال أمر الله تعالى بالتأني والتثبت من الأمور بحيث تبصرها واستيضاحها قبل الحكم لها أو عليها، وتدبّرها على مهلٍ من غير عجلة؛ لتظهر لهم حقيقة الأمر واضحة لا غموض ولا التباس فيها^(٤).

(١) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ١٢٣/٢٦-١٢٥.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، ٤/٢٢٢٧.

(٤) انظر: موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، ١٥/٣، بتصرف.

قال الإمام ابن الجوزي: ما اعتمد أحد أمرًا إذا همَّ بشيءٍ مثل التثبُّت، فإنَّه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب كان الغالب عليه الندم^(١).

فقد يكون الندم عظيمًا، وما ينتج عنه من خسارة قد لا تنحصر آثاره، لما فيه من فرقة ونزاع وشقاق تكون عواقبها وخيمة على الأفراد والجماعات.

فعلى المسلم أن يبصر العاقبة حتى يأمن الندامة، ويكون ذلك بتدبر جميع الأمور التي تواجهه، فإذا كانت حقًا وصوابًا مضى، وإن كانت غيًّا، وضلالًا وظنًّا خاطئًا وقف، حتى يتضح له الحق والصواب.

(١) صيد الخاطر، أبي الفرج عبد الرحمن الجوزية، ص ٣٧٤.

المطلب الثاني: انتشار الإشاعات بين الناس.

الإشاعة سوقه رائجة في المجتمعات، وبضاعته متقبلة فيما بينهم، إلا من كان له قلب واع، وعقل متيقظ، فإنه عارفٌ بالآثار والتأثير السيئة التي قد يترتب عليها عند تصديقه لتلك الإشاعة، ومساهمته في نشرها دون تثبتٍ وتبين، والإشاعة آفةٌ سرت في جسد الأمة، وزعزعت الثقة، وفرقت فيما بينهم من علاقات وصدقات.

كما أنّ الإشاعة لها عواقب وخيمة إذا انتشرت وشاعت في المجتمع، فتتسبب في اضطراب الأمن والأمان في البلاد، وخلل في اقتصاده ومعاشه.

ولذلك جاء التحذير الرباني من التنبه لمثل تلك الآفات، وحثّ على التثبت والتبين منها،

قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُ فَاسِقُ بَنِي فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١)

كما أنّ المنهج النبوي، حذر من نقل كل ما يُسمع ويُقال، قال ﷺ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ))^(٢).

فكان لازماً على المسلمين، الالتزام بذلك المنهج الرباني والنبوي في التثبت والتروي في كل ما يُقال ويُنقل، والحذر من المساهمة في نشره وإشاعته بين الناس.

(١) سورة الحجرات، آية: (٦).

(٢) سبق تخرجه ص ٨٢.

المطلب الثالث : عدم التثبت دافع للنفس لاتباع هواها .

الإنسان جُبِلَ على اتباع هوى نفسه، والهوى يُعميه ويُصمّه، وينحرف به عما أرادَه اللهُ، فيكون سبباً في اتصافه بعدم الإنصاف في الأمور .

والهوى في النفس يكون سببه الرغبة في انتصار نفسه، والفرح بزلة خصمه، فيدفعه ذلك إلى عدم التثبت في ما نُقل إليه من الكلام والأخبار .

والنفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر، أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة، قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله^(١) .

واتباع الهوى والميل معه سبباً في الوقوع في عدم التثبت .

والمسلم إذ غالب هوى نفسه وشهوتها وتجنّبها، والتزم بهدي كتاب ربه وسنة نبيه، دفعه ذلك إلى التثبت من كل خبر وقول .

ولأجل ذلك؛ فإن تجريد النفس عن إتباع الهوى، وتحمل ذلك والصبر عليها، والرغبة في الوصول إلى الحق، وسلوك الطرق الصحيحة كاللتثبت والتبين، سبل موصلة للوقوف على الحقائق والأخبار المنقولة .

ويتبين من هذا؛ أن الانتصار للنفس واتباع هواها، مانع لللتثبت، فيلزم التجرد من تلك الصفة المذمومة، سبيل للوقوف على الحقائق والأخبار المنقول، والتثبت منها .

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، صححه: أبو عبد الله السعيد المنذوره، الطبعة الأولى،

مكة المكرمة: المكتبة التجارية مصطفى الباز، ١٤١٤ هـ، ١/٣٧ .

المطلب الرابع: النفور والكرهية من الآخرين.

ذلك أن من يوصف بعدم التثبّت وعدم التبين والعجلة في الأمور، فإنه يعرض نفسه إلى الكراهية والنفور من الآخرين، كما أن اتصافه بتلك الصفات، يُعرّض نفسه لبغض الله له، ومن ابغضه الله أبغضه أهل السموات، وبالتالي يوضع له البغض في الأرض، فترى الناس ينفرون منه، ويكرهونه ولا يطيقون رؤيته والتعامل معه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ))^(١).

والبشر لا يتأثرون بالكلمات قدر ما يتأثرون بالسلوكيات، وحينما يعرفون عن واحد منهم، أنه يُوصفُ بالعجلة والطيش، وإساءة الظن بالآخرين، وأن أوصافه تلك تنتهي به إلى اتهام الآخرين، من غير دليل ولا برهان، تنفر منه الناس وتكرهه أشد الكراهية، الأمر الذي يفقده ثقة الناس، ولا تحتمله طبيعة البشر، ولا تصبر عليه، فيكون حينئذ النفور، وتكون الكراهية، وحينئذٍ يخسر كثيراً، وتكون هذه الخسارة في الدنيا قبل الآخرة.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حبه إلى عباده، ٢٠٣٠/٤، رقم

المطلب الخامس: تعريض النفس للوقوع في الجور والظلم.

عدم التبين والتثبت يدفع النفس إلى تحريف الحقائق، واتهام الناس، والتقول عليهم بغير حق، والدخول في مقصدهم ونياتهم، مما يُسهلُ للنفس الاعتداء عليهم، وبخس حقوقهم، ويزيل عن النفس الرحمة والشفقة، ويوقعها في الظلم والجور الذي حذرنا منه ربنا ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، كما حذرنا منه النبي ﷺ بقوله: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(٢).

والوقوع في الظلم والجور، يستوجب غضب الله وسخطه، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾^(٣).

كما أن الوقوع في الظلم والجور يعرض النفس إلى اللعنة، والتي يستلزم منها طرد وإبعاد من رحمة الله، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

ولزوم التأني والتؤدة في كل قول وعمل، وعدم الاستعجال فيه، يجنب النفس عن الوقوع في الظلم والجور، مما يجنبها عن التعرض لغضب الرب سبحانه وتعالى، ولعنه ومقتته.

(١) سورة الشورى، آية: (٤٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/١٩٩٦، رقم الحديث: ٢٥٩٨.

(٣) سورة طه، آية: (٨١).

(٤) سورة هود، آية: (١٨).

المبحث الثالث

فوائد التثبيت في الدعوة إلى الله

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية وفضل الدعوة إلى الله، وحكم تبليغها.

المطلب الثاني: فوائد التثبيت في الدعوة إلى الله.

المطلب الأول: أهمية وفضل الدعوة إلى الله ، وحكم تبليغها.

يتضمن هذا المطلب ، المسائل التالية:

المسألة الأولى: أهمية وفضل الدعوة إلى الله.

الدعوة إلى الله ﷻ لها مكانة ومنزلة رفيعة في الإسلام؛ ذلك أنها سبب تفضيل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم؛ لما تقوم به من صيانة المجتمع المسلم من الزلل، والانحراف عن الجادة، وإنما نالت المدح والثناء من الله تعالى؛ لاتصافها بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، لنفسها ولغيرها من أفراد المجتمع، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَتْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾^(١).

وحاجة الناس وضرورتهم إلى الدعوة إلى الله والهداية والإرشاد، أشد من حاجتهم إلى ضروريات الحياة، بل لا يستقيم أمر الناس إلا بالدعوة إلى الله تعالى، ولولا ذلك لعاش الناس فوضى كغيرهم من الخلائق، فالبشرية لا تستغني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه لا يمكن أن يستقل بمعرفة الحق والخير إلا بما وهبه الله له من عقل وحواس، وإن كان يدرك الشر والخير بالجملة، إلا أنه لا يعرف حقائق الأشياء على التفصيل إلا بالوحي من الله تعالى، ولذلك احتاج الخلق إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وقيام الحجة .

والأنبياء والمرسلون-عليهم الصلاة والسلام- لم يألوا جهداً في القيام بالدعوة، فمن اطلع على سيرهم، وتبع قصصهم التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وجد تضافر جهودهم واهتمامهم على الدعوة، والبيان، والبلاغ عن الله تعالى في كل ما من شأنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى:

(١) سورة الحج، آية (٤١).

﴿الرَّكْتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١).

كما أنّ النبي ﷺ كان يُحْتُ أصحابه على الدعوة إلى الله تعالى، ويُثبِرُ حماسهم لذلك، مبيناً لهم الأجر، ورفعة الدرجات عند الله إن هم قاموا بذلك .

صح عنه ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام حين أعطاه الراية يوم خيبر: ((عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))^(٢).

قال الإمام أبي العباس القرطبي رحمه الله: والتعم: هي الإبل، وحمرها هي خيارها حسنا وقوة ونفاسة؛ لأنها أفضل عند العرب، ويعني به - والله أعلم - أن ثواب تعليم رجل واحد، وإرشاده للخير أعظم من ثواب هذه الإبل النفيسة لو كانت لك فتصدقت بها؛ لأن ثواب تلك الصدقة ينقطع بموتها، وثواب العلم والهدى لا ينقطع، يدوم إلى يوم القيامة، كما قال ﷺ: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))^(٣)، فذكر منها: ((عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ))^(٤).

وكان ﷺ يبعث الدعاة من أصحابه إلى الناس؛ ليعلموهم وليفقهوهم، وليرشدوهم إلى الحق، بل إن الصحابة رضوان الله عليهم، لما فهموا أن الدعوة إلى الله تعالى واجبة، فكانوا يبادرون بسؤال الرسول ﷺ لتعليمهم وتفقيهم، ثم يقوموا بعد ذلك ، بدعوة أقوامهم ومن خلفهم.

(١) سورة إبراهيم، آية: (١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ١٠٩٦/٣، رقم الحديث: ٢٨٤٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ١٢٥٥/٣، رقم الحديث: ١٤.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ٢٧٦/٦.

وكان كل من يُسلم حديثاً من الصحابة، يدرك أهمية الدعوة إلى الله تعالى، وأن تبليغها واجب، فعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه في حديث وفد عبد القيس، وفيه قالوا: يا رسول الله، فمرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا، قال: ((أَمُرُّكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ، فَقَالَ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا حُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَأُكُمْ الدُّبَاءَ^(١)، وَالْحَنْتَمَ^(٢)، وَالنَّقِيرَ^(٣)، وَالْمُقَيْرَ^(٤)))^(٥).

وقد صدقوا رضي الله تعالى عنهم رَبَّهُمُ تعالى بأقوالهم وأفعالهم، وقاموا بالدعوة إليه تعالى أتم قيام، وأدوها أحسن أداء.

وما زال المسلمون يتغيثون ظلال دعوتهم المباركة، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فرضي الله عنهم وأرضاهم .

ولما كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة، وإلى أن تقوم الساعة، فإن أمتة قد حُمّلت أمانة

الدعوة إلى الله من بعده، حيث أمرها الله تعالى بذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٦)

كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُعَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))^(٧) ، وأمره صلى الله عليه وسلم لأمته بقوله: ((بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))^(٨).

(١) الدباء: القرع ألبابس، أي: ألوعاء منه، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١/١٣٦.

(٢) الحنتم: جزار خضر يدهن فيها، انظر: المرجع السابق، ١/١٣٦.

(٣) النقير: جذع ينقر وسطه ثم ينتبذ فيه، انظر: المرجع السابق، ١/١٣٦.

(٤) المقير: المطلي بالقار أي الزيت وهو نبت يبيس ثم يطلى به السفن، انظر: المرجع السابق، ١/١٣٦.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، ١/٤٦، رقم الحديث: ٢٣.

(٦) سورة آل عمران، آية: (١٠٤).

(٧) سبق تخريجه ص ٢٩٧.

(٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٣/١٢٧٥، رقم الحديث: ٣٢٠٢.

ويتبين فضل الدعوة إلى الله من خلال الأمور التالية:

١- إن الدعوة إلى الله مفتاح لكل خير، ومما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، فبالدعوة إلى الله يتبين للعبد الفرائض، والأركان والواجبات، والمستحبات من العبادات، والمنهيات والمحرمات منها.

٢- أن الدعوة إلى الله تعالى هي أحسن ما يتكلم به المتكلم، وقول الداعية أحسن الأقوال في ميزان الله وحكمه، وأن منزلته بذلك تكون أحسن المنازل وأفضلها عند ربه جل وعلا إذا قرن دعوته بالعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

قال الحسن البصري - رحمته الله -: "هذه الآية عامة في كل من دعا إلى الله"^(٢).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله:^(٣) فهذه الآية الكريمة من أوضح الآيات في الدلالة على فضل الدعوة، وأنها من أهم القربات، ومن أفضل الطاعات، وأن أهلها في غاية من الشرف وفي أرفع مكانة^(٤).

وأرشد النبي صلوات الله عليه إلى أن الدعاة والعلماء العاملين بعلمهم، والمعلمين لغيرهم هم أعلى الناس درجة، وأعظم الناس انتفاعاً بالغيث الذي أغاث الله به الأرض، فعن أبي موسى عن النبي صلوات الله عليه قال: ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا

(١) سورة فصلت، آية: (٣٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ٣٤٤/١٥.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عالم من علماء الأمة الإسلامية، والمفتي العام للمملكة العربية السعودية، ولد في الرياض سنة (١٣٣٠هـ) نشأ يتيماً، وترى في كنف والدته، وبعد حفظه القرآن الكريم في الصغر، طلب العلم الشرعي، وتولى التدريس والقضاء والإفتاء، من مؤلفاته الكثيرة، منها: التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة، بيان معنى كلمة لا إله إلا الله، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجوب العمل بالسنة وكفر من أنكرها، وغيرها من الرسائل والفتاوى، توفي رحمته الله سنة (١٤٢٠هـ)، انظر:، عبد العزيز ابن باز، عالم فقدته الأمة تأليف د. محمد الشويعر، وموسوعة ويكيبيديا.

(٤) انظر: الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة، عبد العزيز ابن باز، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٣، السنة ٨،

ذو الحجة، ١٣٩٥هـ، ص ١١.

نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أُمَسَكْتِ الْمَاءِ، فَتَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَعَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ))^(١).

٣- أن الداعية إلى الله جل وعلا، ومعلم الناس الخير، يصلي عليه الله وملائكته، ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف الماء.

قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى التَّمَلَّةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ؛ لَيُصَلُّونَ عَلَيَّ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْحَيِّرِ))^(٢).

٤- من فضل الدعوة إلى الله تعالى، أنه لا يقتصر خيرها على المدعو فقط بل ينال الداعي منه خيراً كثيراً، ذلك لأنه أجاب الله فيما أمره به من الدعوة؛ فاستحق ثوابه، وأن كل أعمال المدعو من إرشاد، ودعوة، وطاعة، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، صدقة جارية للداعي. قال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))^(٣).

وقال ﷺ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِ فَاعِلِهِ))^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ٤٢/١، رقم الحديث: ٧٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٤٨/٥-٤٩)، رقم الحديث: ٢٦٨٥، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي، ٧٢/٢، رقم: ٢٦٨٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث: ٦٩٨٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، رقم الحديث: ٥٠٠٧.

وهكذا دلت نصوص السنة، على أن الداعي يُعطى مثل أجور من هداه الله على يديه، مهما كان عدد المدعويين، ولو بلغوا ألوفاً مؤلفة، ودهوراً مديدة، ولا يُنقص ذلك من أجر المدعويين شيئاً، وفي هذا حث وترغيب ودفع إلى القيام بالدعوة إلى الله.

٥- من فضل الدعوة أنها سببٌ لحصول الخيرية لهذه الأمة، وأنه سبحانه تعالى مدح القائمين عليها، قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(١)، والمرء لا يمدح إلا على فضل.

قال الإمام ابن كثير رحمته الله: فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات، دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم^(٢).

وجعل الله سبحك وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين، قال تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٣).

وعدَّ الله من دعا إلى الخير والهدى من المفلحين، قال سبحانه:

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٤)

٦- ومن فضائلها أنها وظيفة الأنبياء، فقد اختارهم الله لها، قال تعالى:

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾^(٥).

ومن المعلوم أن رسل الله هم أفضل خلقه، وقد اختارهم واصطفاهم من ملائكته، ومن

البشر، فقال تعالى:

(١) سورة آل عمران، آية (١١٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠٣/٢.

(٣) سورة التوبة، آية (٧١).

(٤) سورة آل عمران، آية (١٠٤).

(٥) سورة النساء، آية (١٦٥).

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾^(١)، فالذين

اصطفاهم الله اختار لهم طريق الدعوة إلى الله، يقومون بها، وتلك الوظيفة هي أفضل الوظائف وأسمها عند الله ﷻ، وأعلاها .

وأكرم الله الداعية بأنه من أتباع النبي ﷺ، لقيامه بمهمة الدعوة، قال تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢).

ذكر الإمام ابن كثير ﷻ: يقول تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين الجن والإنس، أمرًا له أن يجبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، على بصيرة ويقين وبرهان عقلي شرعي^(٣).

وقال الإمام ابن القيم ﷻ: فلا يكون الرجل من أتباعه حقا، حتى يدعو إلى ما دعا إليه ويكون على بصيرة^(٤).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - ﷻ -: فبين سبحانه أن الرسول يدعو على بصيرة وأن أتباعه كذلك، فهذا فيه فضل الدعوة، وأتباع الرسول هم الدعاة إلى سبيله على بصيرة^(٥).

وعرف العلماء البصيرة بأنها: المعرفة التي تُميِّز بها بين الحق والباطل^(٦).

حيث يلزم الداعية بأن يكون عارفا وعالما فيما يدعو إليه وينهى عنه، وأن الدعوة إلى الله بجهل من غير علم فيه مخالفة لأمر الله تعالى بالدعوة على بصيرة وعلم.

(١) سورة الحج، آية (٧٥).

(٢) سورة يوسف، آية: (١٠٨).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/٤٢٢.

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم الجوزية، ١/١٤٣٤.

(٥) انظر: الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة، عبد العزيز ابن باز، ص ١١.

(٦) انظر: معالم التنزيل، للإمام محمد الحسين البغوي، تحقيق محمد النمر، ومجموعة من المحققين، الطبعة الثانية، الرياض،

المملكة العربية السعودية: دار طيبة، ١٤١٤هـ، ٤/٢٨٤.

٧- أن القيام بواجب الدعوة إلى الله، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يجعل القائمين به في أعلى المنازل، فإن التهاون به، أو تركه؛ يجعل المفرطين المتهاونين في أدنى المنازل، ويعرضهم إلى أسوأ العواقب، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّفْسُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ، مَا تَصْنَعُ؟، فَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ، ثُمَّ قَالَ:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا

وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ

سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ

إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾^(١)، ثُمَّ قَالَ:

((كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ،

وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَتَقْضُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا))^(٢).

فبالدعوة إلى الله؛ نجاة من الهلكة، وأمان للبلاد والعباد، ودفع للكوارث والعقوبات العامة

عن الأمة، قال تعالى:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ

وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٣). وقال تعالى:

﴿وَأَتَّقُوا فَتَنَةَ اللَّاتِصِيْبِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة، الآيات: (٧٨-٨١).

(٢) رواه أبي داود في سننه كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ٥٤-٥٥، رقم الحديث: ٤٣٣٦، وضعفه الألباني، انظر:

ضعيف سنن أبي داود، للألباني، ٣٥٤، رقم: ٤٣٣٦.

(٣) سورة هود، آية: (١١٦).

(٤) سورة الأنفال، آية: (٢٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم، فيعمهم الله بالعذاب ^(١).

وقال عليه السلام: ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ بَخُوا وَبَخُوا جَمِيعًا)) ^(٢).

فالأخذ بأيدي المفسدين والعابثين، وإرشادهم إلى طريق الصواب، فيه محافظة على صلاح المجتمعات، ونجاتها من الهلاك والضياع.

المسألة الثانية: حكم تبليغ الدعوة.

لقد أوضحت وبينت نصوص القرآن الكريم، وشواهد السنة النبوية، على أن تبليغ الدعوة إلى الله، يجب على كل مسلم ومسلمة، لورود الأدلة على ذلك، منها:

(١) تفسير جامع البيان، للإمام الطبري، ٢١٨/٩.

(٢) رواد البخاري في صحيحة، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ٨٨٢/٢، رقم الحديث:

١ - قول الله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(١).

٢ - قوله تعالى:

﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢).

٣ - وقوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٣).

٤ - وقوله تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٤).

٥ - وقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٥).

وفي السنة النبوية من الأحاديث التي فيها دلالة قاطعة على وجوب الدعوة إلى الله

تعالى، منها:

١- أمره ﷺ للمسلمين في حجة الوداع بالتبليغ، فقال: ((وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ

الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ))^(١).

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) سورة المائدة، آية (٦٧).

(٣) سورة النحل، آية (١٢٥).

(٤) سورة يوسف، آية (١٠٨).

(٥) سورة فصلت، آية (٣٣).

٢- وأمره ﷺ بقوله: ((بَلُّعُوا عَنِّي، وَلَوْ آيَةً))^(٢).

٣- أمره وتوجيهه ﷺ للمسلمين أن يسهموا بإزالة المنكر بقدر استطاعتهم، فقال: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))^(٣).

وقد اختلف العلماء ﷺ في مفهوم النصوص الدالة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى وانقسموا في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أن تبليغ الدعوة، فرض كفاية، بحيث أنه يجب على الجميع ابتداءً، ولكنه يسقط عنهم إذا أداه البعض منهم، مستدلين بقوله تعالى:

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤)

فقالوا: أن (من) في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ هي للتبعض.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "إِنَّ (من) في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ للتبعض، ومعناه، أن الأمرين يجب أن يكونوا علماء، وليس كل الناس علماء، وقيل: أن (من) لبيان الجنس"^(٥).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله، في معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: "منتسبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ثم قال: والمقصود

(١) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ ((رَبِّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ))، ٣٧/١، رقم

الحديث: ٦٧، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، حجة النبي ﷺ، ٣/١٣٠٥، رقم الحديث: ٢٩.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٤٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٩٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/١٧٣-١٧٤.

من هذه الآية، أن تكون فرقة من الأمة، متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه^(١).

واستشهدوا أيضا بقوله ﷺ:

﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢).

فقالوا: "إن التفقه في الدين فرض كفاية؛ لأن الله تعالى طلب خروج طائفة من المؤمنين، وليس جميع المؤمنين، فورد التخصيص على طائفة لا على الجميع، وعلى هؤلاء تقع مسئولية الإنذار"^(٣).

الفريق الثاني:

بأن الدعوة إلى الله، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرض عين على كل مسلم ومسلمة مكلف.

وقالوا: إنَّ (من) في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾، هي للبيان والتبيين، وليست للتبعية، فتفيد الآية عندهم، توجيه الخطاب إلى جميع المكلفين.

قال الإمام ابن عطية^(٤) رحمه الله: ذهب الزجاج وغير واحد من المفسرين، إلى أن معنى الآية: لتكونوا كلكم أمة يدعون، و (من) لبيان الجنس، فمعنى الآية على هذا التأويل: أمر الأمة بأن يكونوا دعاة، يدعون العالم إلى الخير، والكفار إلى الإسلام، والعصاة إلى الطاعة، ويكون كل واحد من هذه الأمور على منزلته من العلم والقدرة^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٩١/٢.

(٢) سورة التوبة، آية: (١٢٢).

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ١٧٦/١، بتصرف.

(٤) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحاربي الغرناطي، أبو محمد، كان إماما في الفقه والتفسير، ولي قضاء المرية، له: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة (٥٤١هـ) وقيل: سنة (٤٥٢هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء،

للذهبي، ٥٨٧/١٩، والأعلام، للزركلي، ٢٨٢/٣.

(٥) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، ٢٥٤/٣-٢٥٥.

فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم ومسلمة، بقدر استطاعته.

واستدلوا أيضاً بالأدلة التالية:

١- قول الله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(١).

فقد بين الله تعالى أن المتتمين لهذه الأمة متصفون بثلاثة أوصاف، وهي:

الأمر بالمعروف، والنهي والمنكر، والإيمان بالله، وحيث إنَّ الانتماء إلى هذه الأمة واجبٌ عيني، يكون الاتصاف بتلك الصفات واجباً عينياً أيضاً؛ لأنَّ ما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به، فهو واجب^(٢).

٢- وبقوله ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))^(٣)، وإن (من) من ألفاظ العموم فيعم الحكم الجميع.

٣- وأمره وتوجيهه ﷺ بقوله: ((لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ))^(٤).

(١) سورة آل عمران، آية: (١١٠).

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، سليمان بن عبد الرحمن الحقييل، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ، ص ٤٩.

(٣) سبق تخرجه، ص ٢٩٧.

(٤) سبق تخرجه، ص ٣٤٥٠.

المطلب الثاني: فوائد التثبت في الدعوة إلى الله.

يتضمن هذا المطلب الفوائد التالية:

الفائدة الأولى: التثبت يغرس في نفس الداعية خلق الرفق والحلم .

الرفق والتأني من صفات الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وبإبراز هذه الصفات تتم الاستجابة والقبول، وكثير من القضايا يستجاب فيها، لمن يرفق، ولا يستجاب لمن يعنف أو يشتد، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الشدة، قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))^(١).

والرفق ولين الجانب في القول والفعل، ووضع الأمور في مواضعها الصحيحة، سمة حميدة تدل على كمال حسن الخلق، فلا يكون الإنسان رفيقا ، إلا لأنه مؤثر على أنه ذو خلق حسن، وأنه ذو تثبت ، وأنه ذو صبر وحلم .

وفيها من المصالح الراجحة، والتي هي ضد التسرع والعجلة، فمن افتقد الرفق، يوشك أن يفتقد تلك الصفات المذكورة آنفا، وما تعجل أحد إلا اكتسب ندامة ونال مذمة، فالعاقل يلزم نفسه الحلم والرفق في حياته كلها، ففي ذلك يكون الاحتراز وفي الاحتراز السلامة.

أنشد منصور بن محمد الكريزي^(٢):

الرفقُ أيمَنُ شيءٍ أنتَ تَبِعُهُ والخُرقُ أشأمُ شيءٍ يُقَدِّمُ الرَّجُلَا
وذو التثبِتِ من حمدٍ إلى ظفرٍ من يركبِ الرفقِ لا يستحبُّ الزللا^(٣)

إن الطريقة السليمة في حمل الأفكار، واتخاذ القرارات هو في إتباع المنهج الذي سار عليه السلف الصالح من الترفق والتأني في الأمر، فعن المستورد القرشي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تَقْوَمُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ)) قال عمرو بن العاص: أبصر ما تقول، قال المستورد: ومالي لا أقول ما قاله الرسول ﷺ، فقال عمرو: إن كان ما تقول، فلأن الروم فيهم

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٢٠٠٣/٤، رقم الحديث: ٧٧.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم البستي، ص ٣٥٤، لم أجد له ديوان .

أربع خصال: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ویتيم وضعيف^(١).

فأرشد عمرو بن العاص رضي الله عنه وبين للمسلمين أن بقاء الروم: لأنهم عند الفتن فيهم من الحلم والرفق الذي يجعلهم ينظرون إلى الأمور، ويعالجونها بالرفق دون عجلة.

فالتأني والرفق والحلم عند الفتن وتغير الأحوال محمود، لأنه يُمكن المسلم من رؤية الأشياء على حقيقتها، وأن يبصر الأمور على ما هي عليه.

إنَّ على الداعية إلى الله تعالى عند دعوة الناس إلى الخير، الحرص على ملاطفتهم حال أمرهم أو نهيهم والرفق بهم، والتأكد من كل أمر يثار وينقل من خلالهم، وذلك بالتثبت من شأنه، وعدم التسرع في قبوله، فإن في ذلك من الخير ما لا يحصى.

ولقد امتن الله عز و جل على رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه رفق، ولأن لإخوانه المسلمين، فجمعهم

الله عز وجل على رسوله بهذا الرفق وبهذا اللين، قال صلى الله عليه وسلم:

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢)،

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي لو كنت سيء الكلام، قاسي القلب عليهم، لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم^(٣).

قال الغزالي: اعلم أن الرفق محمود، ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه، بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من التثبت؛ فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة، وحفظهما على حد الاعتدال^(٤).

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ٤/٢٢٢٢، رقم الحديث: ٣٥.

(٢) سورة آل عمران آية: (١٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢/٤٨١.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٣٤٣.

والرفق صفة مهمة جعلها رسول الله زينة للأمور كلها، وأنها سببٌ لكل خير، وغياها عن أي أمر يشين هذا الأمر، قال ﷺ: ((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))^(١).

وقوله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))^(٢).

وفي هذا، أنه لا غنى للداعية عن الرفق والحلم والأناة في كل مجالات حياته ومع كافة من يتعامل معهم.

قال الإمام ابن حبان: الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفة فيها، إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها، ومن مُنِع الرفق منع الخير، كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب، إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة^(٣).

إن الحاجة في هذه الحياة الدنيا تدعو إلى الحلم والأناة في كل حال، وهي أحرى وأولى في زمن الشدائد والفتن، لما فيها من اضطرب للقلوب والعقول، واختلال للموازين والمواقف، وفي هذه الأحوال لا يسعف المرء إلا التثبث والأناة، والحلم والرفق، ويكون هذا بالصبر والمصابرة، وتغليب حظوظ الآخرة على الدنيا.

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٤/٢٠٠٤، رقم الحديث: ٧٨.

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب استبانة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح، ٦/٢٥٣٩، رقم الحديث: ٦٥٢٨، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهلال الكتاب بالسلام، ٤/١٧٠٦، رقم الحديث: ١٠.

(٣) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مكتبة مصطفى الباز،

الفائدة الثانية: في التثبت رجوع إلى العلماء عند وقوع الأزمات والاختلاف.

إن العلماء الناصحين والدعاة المخلصين هم المصاييح والشموع التي تضيء للأمة طريقها في الظلام، وتقودها إلى بر الأمان في النكبات والاختلاف، وقد دلت النصوص على لزوم أمر الله تعالى؛ بسؤالهم، والأخذ عنهم، وسؤالهم فيما أشكل، والرد إليه فيم أخفى، قال تعالى:

﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢).

ذكر الإمام ابن كثير - رحمه الله -: أن أولو الأمر هم العلماء والأمراء^(٣).

فهم مرجع الأمة لما يحملونه من العلم بدين الله تعالى، فيعملون بما تعلموه، ويبينون للناس الحق من الباطل والهدى من الضلال، ولذلك قال النبي ﷺ: ((وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ))^(٤).

فالعلماء يخلفون الأنبياء في العلم بالدين وأحكامه، وفهم نصوصه، وبيان ما يحتاجه الناس من أمور دينهم، مما تصلح به عباداتهم ومعاملاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: إذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة الفتن، وحدثت البدع والفجور، ووقع الشر فيهم^(٥).

(١) سورة النحل، آية: (٤٣).

(٢) سورة النساء، آية: (٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٣٤٥/٢.

(٤) رواه أبي داود في سننه، كتاب العلم، باب من الحث على طلب العلم، ٢٣٧/٤، رقم الحديث: ٣٦٣٦، وصححه

الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٤٠٧/٢، رقم: ٣٦٤١.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، ٣١٠/١٧.

وفي تفسير قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ﴾^(١).

قال العلامة السعدي رحمه الله: أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة^(٢)، ثم قال: وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي، أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يؤول مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ^(٣).

وعندما دخل أبو موسى الأشعري المسجد، وإذا به يرى أناسًا متحلقين في المسجد، في كل حلقة واحد يرمون بحصىٍّ معهم كلما رموا بحصاة، قالوا: كبروا الله مائة، فذهب أبو موسى إلى ابن مسعود: فبماذا أمرتهم؟ فقال أبو موسى: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك^(٤).

فالطريق السليم إلى أن تكون أقوال وأفعال المرء مضبوطة بالأدلة الشرعية، يجب عليه الرجوع إلى العلماء الراسخين، ومشاورتهم، وعدم الانفراد بالرأي، أو التسرع والاستعجال في اتخاذ مواقف دون مشاورتهم، لاسيما في القضايا التي تتعلق بمصالح الأمة.

إنّ العلماء الربانيين هو خير ما يُرجع إليهم عند تلاطم أمواج الفتن، وعندما يلتبس الحق بالباطل، لما يحملونه من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ومن فهمًا لمراد الله، ومراد رسوله ﷺ، كما فهمه السلف الصالح، ولأنهم يبصرون ما لا يُبصره غيرهم من عامة الناس.

فهم في المحن والشدائد من أشد الناس ثباتًا على الدين، وأقوى تمسكًا بالسنة، وكأن تلك الشدائد والمحن، لا تزيدهم إلا جرعًا وصلابة، وقوة في مواقفهم.

(١) سورة النساء، آية: ٨٣.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١/٣٧٨.

(٣) المرجع السابق، ١/٣٧٨.

(٤) مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، المقدمة، باب في كراهية اخذ الرأي، ١/٢٨٧، رقم:

سأل الشافعي^(١) رجلاً عن مسألة، فأفتاه بقول النبي ﷺ، قال له: قال رسول الله ﷺ كذا، فقال الرجل: أتقول بهذا؟! فارتعد الإمام الشافعي، ويحك! أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن رويث عن رسول الله ﷺ شيئاً فلم أقل به، نعم أقول به وعلى الرأس والعينين^(٢).

فالرجوع إلى علماء الأمة، والالتفاف حولهم يعد سبيلاً مهماً من سبل الوقاية والنجاة من الفتن على مختلف أنواعها وأشكالها، ومعيناً لها على التثبث والثبات، وعدم الوقوع في الزيغ والانحراف، فكم أنجى الله بالعلماء الأمة الإسلامية من محن عصبية، وثبت الله المسلمين في تلك الفتن بعلمائهم، كإعزاز الله لدينه بالصديق ﷺ يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة، والعز بن عبد السلام^(٣)، وابن تيمية، وغيرهم ممن لا يحصون، فكان لالتفاف الأمة بعلمائها واجتماعهم بها، من الأثر الظاهر بها، وذلك بالنهوض واستئناف الطريق، بعد أن كان الخذلان والتفرق قد نخر في مجتمعتها .

وقد كان السلف الصالح عند تغير الأحوال يلتفون حول علمائهم .

ذكر ابن القيم عن دور لشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ، فقال: وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضافت بنا الأرض، أتيناها فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوة ويقينا^(٤).

(١) محمد بن إدريس بن العباس ابن شافع الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، له تصانيف كثيرة: أشهرها كتاب الأم في الفقه، والمسند في الحديث، وأحكام القرآن، والرسالة في أصول الفقه، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥/١٠، والأعلام للزركلي، ٢٦/٦.

(٢) انظر: إعلام الموقعين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ٤/٤٦.

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، ولد ونشأ في دمشق، تولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي وبالجامع الأموي، ثم خرج إلى مصر وتولى فيها القضاء والخطابة، من كتبه: التفسير الكبير، و الإمام في أدلة الأحكام، وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام في الفقه، وبداية السؤل في تفضيل الرسول، وغيرها من المصنفات، توفي بالقاهرة سنة: (٦٦٠هـ)، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٢٠٩/٨، والأعلام، للزركلي، ٢١/٤.

(٤) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، للإمام محمد ابن قيم الجوزية، الطبعة الرابعة، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٨هـ، ص ٦٧.

فيلزم من ذلك على المسلمين والدعاة الالتفاف حولهم، وبحضور مجالسهم العلمية، والتواصل معهم باستمرار، فهم الحصن المنيع للمجتمع من الوقوع في الفتن والضلال، لما يحملونه من وسائل تعين على الثبات حين الاختلاف، والأمن حين الخوف والرهبّة، إذ هم المكلفون من قبل الله تعالى ببيان الحق من الباطل والهدى من الضلال.

الفائدة الثالثة: في التثبت ترويض للنفس الداعية، وتربية له على مبدأ العدل

والإنصاف.

إن كثيراً من القضايا والأمور، التي تطالها الألسنة، ويتحركُ فيه الأهواء، تكون بعيدة عن مبدأ الإنصاف والعدل، فيعتريه حينئذٍ العجلةُ والوقوع في الخطأ والظلم .

وعند التأمل في حادثة الإفك، وما كان من صحابة رسول الله ﷺ عندما سأل المقربين منه، يستشيرهم في أمر عائشة رضي الله عنها، قالت عائشة: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيِيَّ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ أَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ:

((أَيُّ بَرِيرَةٌ هَلْ رَأَيْتِ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ))، قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصُهُ، غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ، حَدِيثُهُ السَّنُّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِرُ فَتَأْكُلُهُ))^(١).

فأولئك الصحابة لم يكن لهم أن يحكموا، أو أن يجوروا في حكمهم، بل كان في إبداء آرائهم مجرد حماية لأنفسهم، وتوقيفها عند حدودها، وكان هذا من إحسان الظن بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

هذا هو الإنصاف والعدل، الذي يجب على الداعية أن يضع نفسه في مثل تلك المواقف، بحيث أن لا يرمي التهم بغير بينة أو برهان، بل عليه أن يتحرى في مثل هذه الأمور، حتى وإن كان المخطئ قد وقع في خطئه وثبت خطئه؛ فإن الحكم على المخطئ ينبغي أن لا يتجاوز حدود الخطأ، وهذا هو العدل والإنصاف في حال الحكم على خطئه، أما إذا زاد الحكم في ما لم يثبت من الخطأ، فهو من الجور والظلم، والبهتان العظيم الذي يجب على الداعية الابتعاد عنه، والتعوذ منه .

(١) سبق ترجمته ص ١٠٦.

وأيضاً من تلك المواقف التي تجلّى فيها مبدأ الأنصاف والعدل، ما كان من إنصاف أبا أيوب الأنصاري وزوجه أم أيوب رضي الله عنهما في أمر لم يثبت وقوعه، عندما قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا، والله، ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك ^(١).

وما كان أيضاً من أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ^(٢)، التي كانت منافسة لعائشة في حسن المنزلة عند رسول الله، سألتها النبي صلى الله عليه وسلم في أمر عائشة رضي الله عنها فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا ^(٣).

وهكذا تجلّى أروع مبدأ للإنصاف، والذي تجلّى بالإيمان والورع، وشدة التحري الذي كان من أم المؤمنين زينب بنت جحش، حيث لم تقم بانتهاز تلك الفرصة لإشفاء ما يكون في طبيعة النفس لمن ينافس، قالت عائشة: هِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ ^(٤)، فكان رأيها وجوابها لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر الذي لم يثبت، العدل والانصاف والتورع والإخلاص، والتجنب من الوقوع في الخطأ.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري، ٩٦/١٨.

(٢) زينب بنت جحش، من بني أسد بني خزيمه، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، كانت من السابقين للإسلام، ومن المهاجرات، وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة، مولى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن الله تعالى زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من السماء، وأنزل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة (٣هـ)، توفيت سنة (٢٠هـ)، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ١٢٥/٧-١٢٧.

(٣) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب في حديث الإفك، ١٥١٧/٤، رقم الحديث: ٣٩١٠، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٢١٢٩/٤، رقم الحديث: ٥٦.

(٤) التحريج السابق.

الفائدة الرابعة: التثبت فيه إبراز لخلق الصبر .

التثبت مظهر من مظاهر خلق الصبر، ومن خلاله يظهر صفات من لهم القدرة على التحمل، والعامل من وطن نفسه على الصبر في جميع أحواله، وأصبح التثبت والتبين مسلكه قولاً وعملاً في تعامله مع نفسه ومع الآخرين.

ولقد دعا الله ﷻ في كتابه الكريم المؤمنين إلى توطئ أنفسهم على الصبر والمصابرة، فقال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

والتثبت والتبين من دعائم الصبر، كما أن الاستعجال والاستخفاف من خوارمه .

ففي الصبر أمانٌ واطمئنان، وصاحبه يتصف بسعة الصدر، والقدرة على التحمل، ولهذا وصف النبي ﷺ الصبر بأنه أعظم عطاء، حيث قال: ((مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ))^(٢).

كما أرشد الله ﷻ نبيه الكريم بالتحلي بخلق الصبر، فقال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾^(٤)، وقال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرَجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران، آية: (٢٠٠).

(٢) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ٥٣٤/٢، رقم الحديث: ١٤٠٠، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، ٧٢٩/٢، رقم الحديث: ١٢٤.

(٣) سورة الروم، آية: (٦٠).

(٤) سورة المدثر، آية: (٧).

(٥) سورة المزمل، آية: (١٠).

فكانت تلك الإرشادات والتوجيهات الربّانية إلى التحليّ بالصبر هي الدّافع للرسول ﷺ ولأمته إلى مواصلة السير في طريق الدعوة لنشر دين الله في أصقاع الأرض المعمورة حتى حقق الله لهم العزّ والتّمكين.

فعلى المسلم الذي يريد أن يتثبت من أمر ما ، عليه التحلي بالصبر وممارسته، ومحاولة اكتسابه وتمرين نفسه عليه.

وليس المقصود بالصبر الاستسلام؛ إنما المقصود به الجلد، وتحمّل الصعاب ، وحسن التعايش معها، دون الإذعان لها، وهذا كلّهُ يكون ؛ بطلب العون والاستمداد من الله ﷻ. وبالصبر يظهر الفرق بين ذوي الهمم، وبين ذوي الجبن والضعف، ولذلك وعى السلف الصالح أهمية الصبر عند وقوع الفتن والشدائد .

ومن الصور التي تبقى نموذج ليقندي بها الدعاة في التحملّ والصبر، فتنة خلق القرآن، وما واجه خلالها الإمام أحمد بن حنبل ﷺ من حبس وضرب، ومع كلّ ما أصيب به، كان الصبر مسلكه وسبيله، وتحمله الإيذاء في سبيل إظهار الحق في تلك الفتنة العمياء، حتى رفع الله عنه الغمة، فكان له النصر والتّمكين.

الخاتمة

وفيها:

أولاً: نتائج البحث وثمراته.

ثانياً: توصيات الباحث .

أولاً: نتائج البحث وثمراته.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد منَّ الله تعالى عليَّ بالانتهاء من هذا البحث، وإتمامه، ويسرَّ لي أن ألخص نتائجه وثمراته في النقاط التالية:

١- إن التثبيت هو: الاستيثاق والتأكد من الأمور والأخبار المنقولة، واستيضاحها والتحقق منها، للوصول إلى حقيقتها، والتأكد منها قبل الحكم لها أو عليها، والتأمل والنظر إلى ما يؤول إليه الأمر في عاقبته، وهذا ما دعت إليه الآيات القرآنية، قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١) وقال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ

نَدِيمِينَ﴾^(٢).

٢- إنه لا اختلاف في قراءة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، وقراءة ﴿فَتَّبَبْتُوْا﴾، وهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في القراءات المتواترة وهي بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ.

٣- إن الآيات القرآنية التي دعت إلى التثبيت والتبين، وإن كان نزولها لأسباب خاصة، فهي خطاب عام للمؤمنين إلى قيام الساعة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٤- إن عدم التثبيت تؤدي بصاحبها إلى العجلة، ممَّا ينتج منها الندامة والحسرة بنص القرآن.

٥- إن العجلة في الإنسان ظاهرة طبيعية، ودافعها هو تحقيق مطلب من مطالبها، أو رغبة من رغائبها.

٦- إن العجلة وإن كانت مذمومة، فهي مطلوبة وممدوحة في مواضع أخرى، كأعمال البرِّ والخير والإصلاح والإحسان.

٧- إنَّ الصدق هو: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم، وهو خلاف الكذب الذي يؤدي بصاحبه إلى إضعاف إيمانه.

(١) سورة النساء، آية (٩٤).

(٢) سورة الحجرات، آية: (٦).

٨- إن الصادق تنزل عليه الملائكة مؤيدة له، والكاذب تنزل عليه الشياطين، قال تعالى:

﴿ هَلْ أَنْبَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٣٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ

كَاذِبُونَ ﴿٣٣٣﴾ ﴾^(١).

٩- إن الصدق في الأقوال يكون بملازمة اللسان للأقوال، والصدق في الأعمال يكون بملازمة الأفعال للأمر والمتابعة، والصدق في الأحوال يكون بملازمة أعمال القلوب والجوارح للإخلاص.

١٠- إن من طبيعة البشر الوقوع في الخطأ، وإذا ظهر منهم قولٌ أو فعلٌ تكرهه، فينبغي حمله على أحسن المحامل، والتماس العذر له.

١١- إن من كمال العدل والإنصاف مع المسلم والداعية، أن يوازن بين حسنات المخطئ وسيئاته، لأن وقوع الخطأ وارد، ولا أحد معصوم بعد الرسل عليهم السلام.

١٢- إن إحسان الظن بالمسلمين فيه سلامة للنفس من الوقوع في ظن السوء والتجسس المنهي عنهما.

١٣- الإشاعة عبارة عن أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلقها البعض لأغراض خبيثة، ويتناقلها الناس بحسن النية، دون التثبت من صحتها، ودون التحقق من صدقها.

١٤- إن الشائعات خطر فتاك، تهدم أسوار الأمن في المجتمعات، فتحولها إلى خراب ودمار، وتهتك حجاب الفضيلة، فتحوله عرضة للطعن والقذف.

١٥- إن الالتزام بالمنهج الشرعي في التثبت والتبين منجاة للأمة، ووقاية لها من الأخطار والفتن.

١٦- إن النهي عن العجلة والتسرع في نشر الأخبار من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه، هو عين المصلحة.

١٧- إن الاستفادة من مناهج التثبت والتأني في حياة الأنبياء والمرسلين، والاقتداء بهم في ذلك واجب شرعي على كل مسلم، ويتأكد ذلك في حق الدعاة.

(١) سورة الشعراء، الآيات: (٢٢١ - ٢٢٣).

- ١٨- جعل الله سبحانه المثبت والمتأني لعواقب الأمور، موفقاً بتوفيقه، مهتدياً إلى الصواب، وأن المتسرع العجول، تأخذه نزغات الشيطان، وتوهمه ليقوعه في المهالك.
- ١٩- إن التثبيت والتأني، والنظر في العواقب من سمات أهل العلم والعقل، ولا يستغني عنها أحد مهما كان، ولا يكفي مجرد علم الإنسان، بل لا بد له مع العلم بهذه الأمور .
- ٢٠- على المسلم وخاصة الداعية، أن لا ينطق بكلمة إلا بعد أن تمر على القلب، فيتدبرها، وعلى العقل فينظر فيها، هل هناك فائدة من ذكرها وقولها فتقال، أم أن السكوت أولى.
- ٢١- التثبيت مما يقال، والنظر في جدوى نشره واجب دائماً، لاسيما في وقت الفتن والملمات، فيجب على المسلم أن يتحرى هذا الأدب؛ حتى يقرب من السلامة، ويناي عن العطب.
- ٢٢- ينبغي للمسلم أن لا يضع نفسه موضع الريبة، وإذا حصل ذلك واطلع عليه أحد، فليبادر بالبيان، لكي يسلم من ظن السوء.
- ٢٣- يجب الحث على الانقياد والمتابعة لشمائل وفضائل النبوة، والتي منها التأني في تناول الأمور، والتوسط بين سلوك الإفراط والتفريط.
- ٢٤- من هدي رسول ﷺ ومن حرصه على التثبيت، أنه كان يوصي الأمراء والقادة إذا أرسلهم في غزوة أو في تبليغ الدعوة إلى الأمصار، بالترث والتثبيت، وهذا ما يلزم أن يتحلى به مسلم، خاصة الداعية عند دعوته للناس.
- ٢٥- على الداعية بذل الجهد في البلاغ، والنصح والإرشاد، والإصلاح للمدعويين، وهذا ما كان عليه الأنبياء عند دعوتهم لأقوامهم.
- ٢٦- إن من تمام الإخلاص طلب الأجر من الله عز وجل، وذلك بعد تقديم النصح والإرشاد والنفع للآخرين، وهذا ما كان عليه منهج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.
- ٢٧- يجب على المسلم والداعية حمل العبارات المحتملة على الوجه الحسن، و بصدور سليم، مع سخاء في النفس، ورغبة في نصح الأمة، وبعيداً عن تأويل الألفاظ، وتتبع العثرات، وإساءة الظن بالآخرين.
- ٢٨- عند الحكم على الآخر، يجب الاعتماد على الظاهر، وترك السرائر إلى الله عز وجل، وهذا فيه سلامة للنفس من الوقوع في الظن، والتجسس المنهي عنهما.

- ٢٩- إنَّ حسن الاستماع والإنصات، هو طريقٌ للتدبر، وسبيلٌ للتفكير، وهو رمز النجاح والاستقامة في الحياة، ومفتاحٌ للوصول إلى ما في قلب الآخر.
- ٣٠- إن التزود بالعلم والمعرفة بضوابط ووسائل التحري والتثبت، يعين المرء على الوصول إلى الأمر الذي يريد أن يتثبت ويتحقق منه.
- ٣١- إن من الوسائل التي يُكتشف بها تزيف قول المخالف، ويرفع الغطاء عن زعمه الباطل، طلب الدليل منه في كل قضية ومسألة تحتاج إلى استدلال.
- ٣٢- مراعاة المصالح والمفاسد، عند اتخاذ القرار وعدم الاستعجال فيه، وتقديم المصلحة التي فيها نجاة، على المفسدة التي فيها هلاك للأنفس والأموال.
- ٣٣- إن من الوسائل المعينة للتثبت من مسألة ما، الرجوع إلى صاحب الشأن، والسؤال عن المسألة التي نقلت عنه.
- ٣٤- ومن وسائل التثبت من ناقل الخبر، التحقق من عدالته وسلامته من الفسق، والتأكد من ضبط حفظه وإتقانه، ومن حسن فهمه للخبر المنقول، واتصال سنده بالمخبر الذي نقل عنه.
- ٣٥- وأيضاً من وسائل التثبت والتحقق: مناقشة من جاء بالخبر أكثر من مرة، والاستماع إليه، وعلى فترات مختلفة، مع مقابلة ماقاله في المرة الأولى بما قاله في المرة الثانية.
- ٣٦- من الوسائل أيضاً، القسم على الأمر المراد تأكيده وإثباته، لمن كان متردداً في تصديق الأمر.
- ٣٧- من الوسائل أيضاً، استحلاف الطرف الآخر على الأمر المراد التثبت منه.
- ٣٨- ومن التثبت، التوقف عن الأمر المراد التثبت منه، لما طالما الأمر لم يتضح، وعجز طالب التثبت منه بطرق سليمة.
- ٣٩- إن الدعوة إلى الله تكون على بصيرة، وتكون بدعوة الناس إلى الخير، وحثهم عليه، وإرشادهم إلى طريق النور والهداية، وإلى دين الإسلام الحنيف، وتبصيرهم به على الوجه الصحيح.

- ٤٠- إن قول الداعية أحسنُ الأقوال في ميزان الله وحكمه، وأن منزلته بذلك تكون أحسن المنازل وأفضلها عند الله جل وعلا.
- ٤١- إن الله سبحانه وتعالى، أكرم الداعية، وجعله وارث الرسول ﷺ، لقيامه بمهمة الدعوة.
- ٤٢- إن مجاهدة النفس تكون بمحاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع.
- ٤٣- إن من مجاهدة النفس عند التثبت تحريُّ الصدق في النيّات، والأقوال والأعمال، وفي جميع الأحوال.
- ٤٤- إنَّ التثبت والتبين حصنٌ لنفس الداعية من اتباع الهوى، ومانع له من الوقوع في الظنون الكاذبة، التي لا دليل عليها ولا حجة فيها.
- ٤٥- إن الرفق ولين الجانب في القول والفعل، ووضع الأمور في مواضعها الصحيحة، سمة حميدة تدل على كمال حسن الخلق للمسلم.
- ٤٦- في التثبت ترويض للنفس، وتربية له على مبدأ العدل والإنصاف.
- ٤٧- من الأمور التي تعين على التثبت بين أفراد المجتمع، تفعيل مبدأ الثقة فيما بينهم، وإشاعة حسن الظن بالآخرين.
- ٤٨- إن مسلك التثبت والتأني خير معين لصيانة اللسان عن الثرثرة واللغو وإثارة الإشاعات والفتن، وحماية له من الخوض في الباطل والوقوع في أعراض الناس.
- ٤٩- إن العمل بالتثبت دافع للمسلم والداعية في الرجوع إلى العلماء، عند وقوع الأزمات والاختلاف.
- ٥٠- التثبت مظهر من مظاهر خُلق الصبر، ومن خلاله يظهر صفات من لهم القدرة على التَّحُمُّل.

ثانياً: التوصيات .

يرى الباحث وفق اجتهاده التوصيات التالية:

١- على جميع أفراد المجتمع المسلم أن يتمسكوا بالقيمة التربوية للتثبث، وأن يقوموا بدعوة من استطاعوا من حولهم إلى العمل بتلك القيم التربوية، إن كانوا يريدون الفوز في الحياة الدنيا والآخرة.

٢- غرس حب التثبث في قلوب الناشئة، والشباب والفتيات.

٣- على الدعاة الإحاطة بضوابط التثبث، ووسائله، وآثاره، ليسيروا على المنهج الصحيح، ويكونوا على بصيرة ونور من أمرهم، قال تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾^(١).

٤- العمل على إقامة الدورات العلمية والتأصيلية في التثبث، لطلبة العلم وعامة الناس.

٥- عقد المؤتمرات، والندوات عن التثبث، وأثره في الدعوة إلى الله، وكيفية الاستفادة منه في ميدان الدعوة.

٦- توجيه مراكز ومعاهد البحوث العلمية للعناية بهذا الموضوع، بجميع جوانبه ومجالاته، وإعطائه حقه من الدراسة والبحث، لأهميته وحاجة العصر الحاضر إليه.

٧- دعوة الدعاة للاستفادة من مناهج التثبث والتأني في حياة الأنبياء والمرسلين، والافتداء بهم في ذلك عند الدعوة إلى الله.

وفي الختام؛ أرجو الله العلي القدير، أن يتقبل مني هذا العمل قبولاً حسناً، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به، وينفع به طلبة العلم، والدعاة إلى الله،

(اللهم آمين) .

(١) سورة يوسف، آية: (١٠٨).

الفهارس

وفيها:

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار.
- ٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٤ - فهرس الكلمات الغريبة.
- ٥ - فهرس أبيات الشعر.
- ٦ - فهرس المصادر والمراجع.
- ٧ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة ورقمها	طرف الآية
٩٦	٤٣	سورة البقرة	{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ .. }
٩٩	٣٠٥	سورة البقرة	{ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ }
١٠٩	٢٨١	سورة البقرة	{ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ }
١١١	٢٢٣	سورة البقرة	{ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ }
١١١	٢٢٣	سورة البقرة	{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا }
١٢٠	٢٨١	سورة البقرة	{ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرِيُّ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ }
١٤٠	٢١٥	سورة البقرة	{ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ }
١٤٤	٢٣٨	سورة البقرة	{ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ }
١٨٩	٢٤٣	سورة البقرة	{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ }
٢١٧	١٦٦	سورة البقرة	{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ }
٢٢٩	٣١٣	سورة البقرة	{ أَلَطَّلِقَ مَرَّتَانٍ فَمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ }
٢٤٦	١٨٩	سورة البقرة	{ أَبَعَثَ لَنَا مَلَكَ أَنْ نَقْدِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }
٢٧٣	٣٥	سورة البقرة	{ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ }
٢٨٢	١٩٧	سورة البقرة	{ وَليَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ }
٢٨٢	٢٨٥	سورة البقرة	{ وَليُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ }
٢٨٢	٢٨٨	سورة البقرة	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِيَدَيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْتَبُوهُ }
٢٨٢	٢٩١	سورة البقرة	{ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ }
٢٨٢	٢٩١	سورة البقرة	{ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ }
٢٨٢	٣٠٦	سورة البقرة	{ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ }
٢٨٦	٢٤١، ٢٩٩	سورة البقرة	{ لَا يَكْفِي اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }
١٨	٢١٢، ٦٤	سورة آل عمران	{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ }

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة ورقمها	طرف الآية
٨	١٠٢	سورة آل عمران	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }
٣٤٠، ٣٤٧، ٣٤٣	١٠٤	سورة آل عمران	{ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }
٢٩٦، ٣٠٤، ٣٥٥، ٣٥٠	١١٠	سورة آل عمران	{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ .. }
٢٠٢	١١٢	سورة آل عمران	{ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ إِنَّ مَا كُفِرُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا .. }
٢٠٢	١١٣	سورة آل عمران	{ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَاتَانَهُ الَّتِي .. }
٦٧	١٣٣	سورة آل عمران	{ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ }
١٧٨	١٤٥	سورة آل عمران	{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنْبًا مُوَجَّلًا }
٣٠٣، ٣٥٢	١٥٩	سورة آل عمران	{ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ فِطْرًا غَلِيظًا لَأَلْقَى الْقَلْبَ لِأَنْفُسُوا مِنْ .. }
٣٦٠	٢٠٠	سورة آل عمران	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ }
٨	١	سورة النساء	{ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ .. }
٢٩٣	١٥	سورة النساء	{ وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً }
٣٠٨، ٣١١، ٣٠٩	١٩	سورة النساء	{ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا }
٣٠٩	٣٤	سورة النساء	{ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ بِعِظَتِكُمْ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ .. }
٣١١، ٣١٠	٣٥	سورة النساء	{ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا }
١٩٧	٥٨	سورة النساء	{ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }
٣٥٤	٥٩	سورة النساء	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي }
١٧١	٥٦	سورة النساء	{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ }
٣٢٢، ٧٤	٦٩	سورة النساء	{ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ .. }
٨٢، ٤٩، ١٦٣، ٢٧٣، ٢٧٨، ٣٥٥	٨٣	سورة النساء	{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ }
٧٥	٨٧	سورة النساء	{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا }

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة ورقمها	طرف الآية
٩٤، ١٢٠، ٣٧، ٥٤، ١٢٤، ٣٦٣	٩٤	سورة النساء	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ {
٥٨	١١٥	سورة النساء	{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ {
٧٥	١٢٢	سورة النساء	{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا {
٢٦٧	١٢٧	سورة النساء	{ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ {
٣١٢	١٣٠	سورة النساء	{ وَإِنْ يَنْفَرَا بِعَيْنِ اللَّهِ كَغُلًّا مِنْ سَعْتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا {
٣٤٣	١٦٥	سورة النساء	{ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ {
٢٦٧	١٧٦	سورة النساء	{ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ {
٣٤٧	٦٧	سورة المائدة	{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ {
٣٤٥	٨١-٧٨	سورة المائدة	{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى {
١٦٦	١٠١	سورة المائدة	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا أَحْيَاءَ إِنْ بُدِلَ لَكُمْ تَسْوِمٌ {
٣٠٢	٣٤	سورة الأنعام	{ وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا {
٢٠٨	٣٦	سورة الأنعام	{ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ {
٤٣	٤٠	سورة الأنعام	{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ {
٢٥	٥٥	سورة الأنعام	{ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَلْبَسِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ {
٩١	٩٠	سورة الأنعام	{ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آقَدَةٌ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ .. {
١٩٣	-١١٦ ١١٧	سورة الأنعام	{ وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا {
٢٢٤	١٤٨	سورة الأنعام	{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ {
١٩٧	١٥٢	سورة الأنعام	{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ {
٢٠١، ١٩٧	١٥٢	سورة الأنعام	{ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا {
٤٣	٥٥	سورة الأعراف	{ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً {
١٨٧	٦٢-٦١	سورة الأعراف	{ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ {

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة ورقمها	طرف الآية
٦٢	٢١٦	سورة الأعراف	{ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ }
٧٣	٢٢٠	سورة الأعراف	{ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ }
١٨١	٢٠١	سورة الأعراف	{ وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }
٦٠	٢٥٠	سورة الأنفال	{ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ }
٣	٢٧٥	سورة التوبة	{ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ }
٤٧	٨٠	سورة التوبة	{ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَلَكُمْ }
٧١	٢٩٦، ٣٤٣	سورة التوبة	{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ }
٨٤	١٤٣	سورة التوبة	{ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ }
١١٩	٧١، ٧٤	سورة التوبة	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }
١٢٢	٣٤٩	سورة التوبة	{ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ }
٥٣	١٧١	سورة يونس	{ وَيَسْتَدِينُونَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ }
٦٨	٢١٦	سورة يونس	{ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ }
٦٨	٢١٦	سورة يونس	{ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا }
٧٢	١٨٨	سورة يونس	{ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ }
١٨	٣٣٦	سورة هود	{ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ }
٢٩	١٨٨	سورة هود	{ وَيَنْقُورُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى }
٨٨	١٨٨	سورة هود	{ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ }
٨٨	٢١٧	سورة هود	{ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي }
١١٦	٣٤٥	سورة هود	{ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي }
١٨	٢٨٩	سورة يوسف	{ وَجَاءَهُ عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ }
١٨	٢٩٠	سورة يوسف	{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا }
٢٦-٢٧	٢٩٠	سورة يوسف	{ وَشَهِدَ شَٰهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ }
١٠٨	٨، ٢٩، ٤٤، ٤٤	سورة يوسف	{ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ }

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة ورقمها	طرف الآية
٢٢٠،٢٦٨ ٢٧٩،٣٤ ٧			
٣٣٩	١	سورة إبراهيم	{ الرَّكَّاتِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ }
٢٥٦	٦	سورة الحجر	{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }
١٦٤	٢٩-٢٨	سورة الحجر	{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلَافٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْتُونٍ }
١٧١	٩٣-٩٢	سورة الحجر	{ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }
٢٢٦،٢٩٠	١٦	سورة النحل	{ وَعَلَّمَتِ وَيَا لَتَجْمِمْ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ }
١٩٧	٩٠	سورة النحل	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ
٨	٣٦	سورة النحل	{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا .. }
٣٥٤	٤٣	سورة النحل	{ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }
٢٦٨	١١٦	سورة النحل	{ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ }
١٣٧،٣٤٧	١٢٥	سورة النحل	{ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ }
٣٢	١١	سورة الإسراء	{ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا }
٩٠،١٥ ١١٨	١١	سورة الإسراء	{ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا }
٢٣٧	٢٣	سورة الإسراء	{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ }
٥٣ ١٧٩،٢١٥ ٢٦٨،٢٧٨ ٣٢٧	٣٦	سورة الإسراء	{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ }
١٦٢	٥٧	سورة الإسراء	{ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ }
٥٣	٧٠	سورة الإسراء	{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ }
١٦٦	٨٥	سورة الإسراء	{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا }

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة ورقمها	طرف الآية
١٤	٤٤	سورة الكهف	{ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَ {
٥٢	٤٣	سورة الكهف	{ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ {
٦٣	٢٢٦	سورة الكهف	{ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا {
٦٤	٢٢٦	سورة الكهف	{ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا {
٦٦	٢١٣	سورة الكهف	{ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا {
١١٠	١٨٦	سورة الكهف	{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدُّهُ فَكَانَ رَجُلًا قَلْبًا رِيءٍ {
٤١	٦٩، ٧٥	سورة مريم	{ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا {
٤٥	٦٩	سورة مريم	{ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا {
٤٣	٢١٦	سورة مريم	يَتَأْتِبَنِي قَدْ جَاءَ فِي مِنَ الْعِلْمِ
٥٦	٧٥، ٦٩	سورة مريم	{ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا {
١٢-١٣	٢٠٨	سورة طه	{ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَالْحَمْدُ لِعَلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ {
٤٥	٣٤	سورة طه	{ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ {
٤٧	٢٢٠	سورة طه	{ فَأَنبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ {
٨١	٣٣٦	سورة طه	{ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ ﴿٨١﴾ {
٨٣	٣١	سورة طه	{ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ {
٨٤	٦٧	سورة طه	{ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ {
١١٤	٦٦	سورة طه	{ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي {
١١٤	٩٤	سورة طه	{ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَالُكَ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ {
١١٤	٢١٣	سورة طه	{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا {
١	٤٥، ٣٣	سورة الأنبياء	{ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ {
٧	١٦٥	سورة الأنبياء	{ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {
٣٧	١١٨	سورة الأنبياء	{ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ {
٦٧	٢٩٨	سورة الأنبياء	{ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ {
٩٠	٦٧	سورة الأنبياء	{ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَابًا وَرَهَبًا.. {

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة ورقمها	طرف الآية
٤١	٣٣٨، ٣٩٦	سورة الحج	{ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا }
٥٤-٥٢	٦٢	سورة الحج	{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي }
٧٥	٣٤٤	سورة الحج	{ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ }
٣١-٣٠	٧١	سورة الحج	وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرٌ مُشْرِكِينَ بِهِ
٧١	٢٣٠	سورة المؤمنون	{ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ }
٤	٢٩٣	سورة النور	{ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ }
٤	٣٠٧	سورة النور	{ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }
٤	٩، ٨٥، ١٧ ١٠، ٢٩١ ٢٩٣، ٢٩٥	سورة النور	{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا }
٧-٦	٢٩٣	سورة النور	{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعٌ }
١١	٨٧	سورة النور	{ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِإِلْفِكَ عَصَبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ }
١١	١٥١	سورة النور	{ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِإِلْفِكَ عَصَبَةٌ مِنْكُمْ }
١٢	٨٤، ٧٨ ١٥١، ١٩٥ ٣٢٩	سورة النور	{ تَوَلَّوْا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ }
١٣	١٧٧	سورة النور	{ تَوَلَّوْا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ }
١٥	٨٤، ٨١	سورة النور	{ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا }
١٧	٨٤، ٤٩	سورة النور	{ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }
١٩	٨٤، ٤٩ ٢٩١	سورة النور	{ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي }
٥٩	١٦٥	سورة الفرقان	{ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا }
٣٠	٢٢١	سورة الشعراء	{ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْ بِشَىءٍ مُبِينٍ }
٢١٤	٦٩	سورة الشعراء	{ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }
-٢٢١	٣٦٤، ٧١	سورة الشعراء	{ هَلْ أَتَيْتُمْكُمْ عَلَى مَنْ نَزَلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢١﴾ نَزَلَ عَلَى كُلِّ أَقَاكٍ أُثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يَلْقَوْنَ }

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة ورقمها	طرف الآية
٢٢٣			
٢٢	٢١٧	سورة النمل	{ أَحَطَّت بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ }
٢٤-٢٣	٢٣١	سورة النمل	{ إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ }
٢٨-٢٧	٩٢، ٢٢٤	سورة النمل	{ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا }
٣١-٣٠	٢٣١	سورة النمل	{ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُوْنِي }
٣٣	٢٣١	سورة النمل	{ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ }
٣٤	٢٣١	سورة النمل	{ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً }
٣٥	٢٣٢	سورة النمل	{ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ }
٣٧-٣٦	٢٣٢	سورة النمل	{ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا أَتَنِي ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أَتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ }
٤٣	٢١٣	سورة العنكبوت	{ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }
٦٩	٣٢١	سورة العنكبوت	{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }
٢١	٣٠٨	سورة الروم	{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ }
٥٦-٥٥	٦١	سورة الروم	{ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا }
٦٠	٣٦٠	سورة الروم	{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلَا يَسْتَخْفِنَا الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ }
١٧	٣٠٢	سورة لقمان	{ يَبْنِي أَقْفًا ذَلِيلًا وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِيرٌ عَلَيَّ مَا }
٢٠	٣٠٥	سورة السجدة	{ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَتُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا }
٢٣	٧٢	سورة الأحزاب	{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ }
٣٦	٦٧	سورة الأحزاب	{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ }
٧٢	١٩٩	سورة الأحزاب	{ وَجَاهِلَهَا إِلَّا نَسْنَأُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }
٢٨	٢١٣	سورة فاطر	{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }
٢٥-٢١	٨٩	سورة ص	{ وَهَلْ أَنْتَ نَبؤُا الْحَصَمِ إِذْ سُورُوا بِالْمِحْرَابِ ﴿١١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ }
٢٦	٩٠، ٢٣٠	سورة ص	{ يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ }
٢٦	٣٢٤	سورة ص	{ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }
٨٦	٢٦٧	سورة ص	{ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ }

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة ورقمها	طرف الآية
٩	٢١٢	سورة الزمر	{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }
١٨	٢٠٨	سورة الزمر	{ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ }
٣٣	٧٢	سورة الزمر	{ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }
٦٠	٤٤	سورة غافر	{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عَنِّي } { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَرَابٍ ثُمَّ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ }
٦٧	١٧٨	سورة غافر	{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ }
٣٣	٣٤٧، ٣٤١	سورة فصلت	{ أَمْ يَقُولُونَ افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يخترم على قلبك }
٢٤	٧٠	سورة الشورى	{ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }
٣٨	٨٧	سورة الشورى	{ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }
٤٠	٣٣٦	سورة الشورى	{ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ }
٥٦	١٣٤	سورة الزخرف	{ أَوْ أَتُورُونَ مِنْ عِلْمٍ }
٤	٤٠	سورة الأحقاف	{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا }
٢٩-٣٠	٢٠٩	سورة الأحقاف	{ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ }
٣١	٤١	سورة الأحقاف	{ فَصُصِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }
٦	٦٧	سورة الحجرات	{ فَتُبَيِّنُوا أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بِيَهْلَةَ فَصُصِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }
٦	٩٨	سورة الحجرات	{ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا }
٦	٩١، ١٢، ٣٧، ٤٩، ٩٥، ٩٦، ١٦٨، ١٩٣، ٢٧٧، ٣٣١، ٣٠٤، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٦٣	سورة الحجرات	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بِيَهْلَةَ }
١٢	١٨٠، ٧٧،	سورة الحجرات	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنتَهُ }

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة ورقمها	طرف الآية
١٩٢ ٣٢٩، ١٩٤			
٣٢٤	٢٣	سورة النجم	{ إِنْ يَبْتَغُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ }
١٩٢	٢٨	سورة النجم	{ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَبْتَغُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَىٰ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا }
٤٤	٨	سورة الحديد	{ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ }
٥٤	١١	سورة المجادلة	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ }
٣١٣	١١	سورة المجادلة	{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ }
٢٢٥	٧	سورة الحشر	{ وَمَا ءَانْتُمْ إِلَّا أَنْتُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }
١١١	١	سورة الممتحنة	{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ }
٢٥٠	١٠	سورة الممتحنة	{ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ }
٤٧	٤	سورة المنافقون	{ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ }
٢٢٩	٨	سورة المنافقون	{ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزِمُهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ }
١٧١	٧	سورة التغابن	{ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُرْيِ النَّبِيِّئِمَّا لَنْتُبَيِّنَنَّ لَهُمْ مَا عَمِلُوا وَعَلَى اللَّهِ }
٢٤٠ ٢٩٩، ٢٤١	١٦	سورة التغابن	{ فَانقُضُوا مَا اسْتَفْتَعْتُمْ }
٣١٣	١	سورة الطلاق	{ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ }
٣١٣	١	سورة الطلاق	{ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا }
٣١٢	١	سورة الطلاق	{ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ }
٢٩١	٢	سورة الطلاق	{ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ }
٣١٣	٢	سورة الطلاق	{ فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا }
١٤٨	٤	سورة التحريم	{ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحِ الْمُؤْمِنِينَ }
١٤٨	٥	سورة التحريم	{ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ }
٧٠	٤٤-٤٦	سورة الحاقة	{ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ }
١٦٥	١	سورة المعارج	{ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ }

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة ورقمها	طرف الآية
٥	٣٤٤	سورة نوح	{ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا }
١٠	٣٦٠	سورة المزمل	{ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا }
٧	٣٦٠	سورة المدثر	{ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ }
١٦-١٧	٩٠٦٦٠٩٤	سورة القيامة	{ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ }
٤	١٦٤	سورة التين	{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }
٥	١٨٥	سورة البينة	{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا }

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	طرف الحديث والآثر
١٧٣	أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ فَسَكَّنَا حَتَّى ظَنَّنَا
١٦٢	آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ
٣٣٦	اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢٠٤	أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت ممن أنت
١٧٣	اتننأ أنشءكم بالله الذي بأذنه تقوم السماء
١٣٦	أثبُتْ أَحَدُ فَايْمًا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ
٨٦	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ
٢٦٩	أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار
٢٤٣	أَحْضُوا هِلَالَ شَعْبَانَ لِرَمَضَانَ
٣١٩	أحق ما بلغني عنك
١١٦	إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ
٢٤١	إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ
٢٩٠	إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ
٢٣٩	إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الوُضُوءَ
٣٣٩	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ
٢٩٩	إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ
١٩٣	إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ
١٧٦	أرسل عليًا إلى اليمن قاضيًا
٢٠٩-١٧٢	أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، أَللَّهُ أَرْسَلَكَ
٣٠٩	اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ
١٦٧	أصاب رجلا جرح في عهد رسول الله
١٢٦	اعزؤوا باسم الله في سبيل الله
١٢٥	أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا

١٤٦	أقرأنيتها رسول الله، فساقه عمر
١١٩	أَلَا تَدْعُو اللَّهَ فَعَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌ وَجْهُهُ
٢٩٥	الْبَيْنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّ
١١٨، ١٠٢، ٦٥	التَّائِي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ
٦١، ١١٦	التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ
١٤٥	السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ
١٠٢، ١١٦	السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ، وَالْإِفْتِصَادُ
١٢٤	اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ
٢١٠٥	اللَّهُمَّ فَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ
٣١٩	الْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ
٢٦٣	أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ
٥٥	أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٢٥٣	أَنَّ أبا أيوب خرج إلى عقبة بن عامر وهو بمصر
٣٥٣	إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ
٤٩، ١٠٣	إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ فِيهَا
٣٣٥	إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ
٣٥٣	إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ
٣٤٢	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ
٢٠٠	إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ
١٧٦	أَنَّ النَّبِيَّ أُرْسِلَ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًّا
١٢٢	أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا
٣٤٥	إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
٢٥٢	أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ رَحَلَ
٣١٢	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ طَلَّقَ حَفْصَةَ ثُمَّ رَاجَعَهَا
٢٤٢	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ إِذَا سَافَرَ
٢١١	أَنَّ ضِمَامًا قَدِيمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شُؤْءَةَ

٢١٠	إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
١١٥، ١٠	إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُجِبُهُمَا اللَّهُ الْحِلْمَ وَالْأَنَانَةَ
١٤١	إِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي
٣٠٠	إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ
٢٩٤	أَنَّ هَلَالَ بْنَ أُمِيَةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ
٢٤٣	إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُوبُ وَلَا نَحْسُبُ
١٨٠	إِنَّا قَدْ تَهَيَّنَا عَنِ التَّجَسُّسِ
٢٥٧	إِنَّا كُنَّا نَحْدُثُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ
١٣٦	أَنْتَ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ
٣٢٦	أَنْحُنْ مُؤَاحِذُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَا نَقُولُ
١٢٤	انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ
١٨٦	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ
٣٢١	إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَّحَلُّمِ
١٠٦	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ
٢٢٦	أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ
١٧٣	أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا
١٥٠	أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْرُونَ
١٩١، ١٨٠، ١٠٧	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ
٢٩، ٦٤، ٧٠	آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ
٥٦	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةً فِيهَا الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ
٥٧	بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى إِضْمٍ
١٠٩	بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَالرُّبَيْرِيُّ، وَالْمِقْدَادُ
١٢٣، ٤٦	بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْحُرْقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ
٢٥٢	بَلَّغَنِي حَدِيثَ عَن رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
٣٤٠، ٣٤٨	بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً
٢٦٣	بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ

١٠٧	بِئْسَ مَطِيئَةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا
٢٠٩	بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ فِي الْمَسْجِدِ
٢٢٢	تحدثت أنا والقاسم عند عائشة حديثاً
٢٤٣، ٢٤٦	تَرَاءَى النَّاسُ الْهَيْلَالَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ
١٤٧	تَشِمَنَّ وَلَا تَسْتَوْشِمَنَّ
٣٥١	تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ
٢٤٦، ٢٤٥	جاء أعرابي إلى النبي، فقال
١٢٩	جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ
١٣٩	جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق
١٩٠	خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم
٢٧١	خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ في رأسه
١٣٥	خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
١٤٧	دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ
١٠٦، ٣٥٨	دَعَا رَسُولُ اللَّهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ
١٢٩	دَعَاهُ النَّبِيُّ فَقَالَ أَيْبُكَ جُنُونٌ قَالَ لَا
٢٢٩	دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا
٣٠٠	دَعُوهُ وَأَهْرَيْقُوا عَلَيَّ بَوْلِهِ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ
٣٥١	سمعت رسول الله يقول تقوم الساعة والرؤم أكثر الناس
٢٨٦	شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ
٦٩	صعد النبي على الصفا فجعل ينادي
٢٣٦، ٢٤٥	صُومُوا لِرُؤُوتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤُوتِهِ
٣١٤	طَلَّقْتُ لغير سنَّةٍ، وراجعت لغير سنَّةٍ
٣٣٩	عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ
٧٠، ٣٢٢	عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ
١٠٦	فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ
٢٤٧	فَإِنَّ شَهْدَ شَاهِدَانِ فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا

٢٤٠	فَلْيَسِّرِ الصَّوَابَ
١٣٠	فَهَلْ تَدْرِي مَا الرَّنَا، قَالَ نَعَمْ
١٦٩	قالت لي عائشة يا ابن أختي
١٨٩	قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء
١٢٧،٩٦	قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ
١٣٧	فُرَيْشٌ وَلَا هَذَا الْأَمْرُ
٢٤٢	كَانَ النَّبِيُّ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ
١٠٤	كَانَ النَّبِيُّ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أُرْوُهُ لَيْلًا
٢٨٦	كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي شَيْءٍ فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
٢٩٧	كان رسول الله إذا كره شيئًا قال
١٢٢	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُعْبِرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ
٣٣٣، ٣٢٨، ٨٢	كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ
٤٥	كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ
٣٠١	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ
٢٢١	كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى
٢٨	لَا تَدَابَرُوا
٢٤١	لَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِعَائِطٍ
٢٨١	لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَدِّبُوهُمْ
٢٤٥	لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهَيْلَالَ وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ
٢٩٠	لَا تُنْكِحُ الْبِكْرَ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ
٣٠٩	لَا يَفْرُقُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلْمًا
٢٢٥	لَعَنَ اللَّهُ الْوَائِثِمَاتِ وَالْمُسْتَوْثِمَاتِ الْمُتَنَمِّصَاتِ
١١٩	لَقَدْ قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ
٢٢١	لما توفي رسول الله وكان أبو بكر
٢٤٠	لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ الْبَيْتَ دَعَا فِي نَوَاحِيهِ
١٤٣	لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول

٢٨٦	لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى نَاسٌ
٣٤٨، ٣٥٠	لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى
٣٦٠	مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ
٢٤١، ٢٣٩	مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ
١٦٥	مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟
٣٤٦	مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا
٧٨، ١٩٥	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ
٣٤١	مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ
٥٥	مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
٢٢٦	مُرٌّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ يَبْهُودِي مُحَمَّدٍ
١٧٥	مُرُوا بِجَنَازَةٍ فَأَتَنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا
٢٦٩	مَنْ أَفْتَى بِفُتْيَا غَيْرِ ثَبَتَ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ
٢٨٧	مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ
٣٤٢	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ
٣٤٢	مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ
٣٥٠، ٢٩٧، ٣٤٠، ٣٤٨	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَأَلْيَعْبِرُهُ بِيَدِهِ
٢١٤، ٢٥٥	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا
٣٢٢	مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ
١٠٤، ٣٢٠	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
٢١٤	مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ
٣٢٨	مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ
٣٥١	اللَّهُ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ
١٧٠	نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا
٢٩٢	هَلْ تَرَى الشَّمْسَ؟ قَالَ نَعَمْ
١٧٢	وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ
١٧٢	وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ

٣٥٤	وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٨٨	وَشَاوِرْ عَلِيًّا وَأُسَامَةَ فِيمَا رَمَى بِهِ أَهْلُ الْإِفْكِ
٣٠٩	وَكَسْرُهَا طَلَّاقُهَا
٢٠٢	يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟
٣٥٩	يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا
٣٤٠	يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ
٢٣٣	يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ
١٢١	يُسْتَحَابُّ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلَنَّ

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	العلم المترجم له
٣٢٨	أبو بكر بن عياش ابن سالم
٢٦٣	أبو جهم بن حذيفة بن غانم
٨٢	أبو هريرة الدوسي
١٤٥	أبي بن كعب بن قيس
٢٦٨	أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن
٧٣	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
٢٦٥	أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني
٢٦٠	أحمد بن علي بن المثنى
٢١٣	أحمد بن علي بن محمد الكناني
٢٦٠	أحمد بن عمرو بن عبد الخالق
٩٠	أحمد بن محمد بن إسماعيل
١٣٤	أحمد بن محمد بن سلامة
١١٩	أحمد بن محمد بن علي
٩٥	أحمد محمد بن حنبل الشيباني
٤٦	أسامة بن زيد بن حارثة
٧٢	إسماعيل بن عمر بن كثير
٢٢٦	البراء بن عازب بن الحارث
٩٥	الحارث بن أبي ضرار
٢٢٦	الحر بن قيس بن حصن الفزاري
٧٤	الحسن بن يسار البصري
٣٢	الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني
١٠٨	الحسين بن مسعود بن محمد الفراء

١٠٩	الزبير بن العوام بن خويلد
٣٧	القاسم بن سلام بن عبد الله
٢٢٢	القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
٢٠٤	المستورد بن شداد بن عمرو
١٣٩	المغيرة بن شعبة بن أبي عامر
٥٦	المقداد بن عمرو بن ثعلبة
١٠	المنذر بن عائذ بن المنذر
١٥٥	الوليد بن عبد الملك بن مروان
٩٥	الوليد بن عقبة بن أبي معيط
١٥١	أم أيوب بنت قيس
١٦٧	أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة
٦٥	أنس بن مالك بن النضر
١٦٧	أيوب بن أبي تميمه كيسان السخيتاني
٢٦	أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي
١٢٦	بريدة بن الحصيب بن عبد الله
١٠٦	بريرة مولاة عائشة
٢٥٥	بسر بن عبيد الله الحضرمي
٢٦٣	بشير بن كعب العدوي
٢٣٠	بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل
٢٥٢	جابر بن عبد الله بن عمرو
٩١	جابر بن موسى بن عبد القادر
١٠٩	حاطب بن أبي بلتعة
٨٧	حسان بن ثابت بن المنذر
١٠٨	حمد بن محمد بن سليمان البستي
٣٨	حمزة بن حبيب ابن عمارة

٨٧	حمنة بنت جحش الأسدية
٩٩	خالد بن الوليد بن المغيرة
١٥٠	خالد بن زيد بن كليب
١١٨	خباب بن الأرت بن جندلة
١٤٧	رباح الأسود
٢٧٢	ربيعة بن فروخ المدني
٢٥٥	رفيع بن مهران الرياحي
٢٦٤	زيد بن ثابت بن الضحاك
٣٥٩	زينب بنت جحش
١٩٠	سعد بن مالك بن سنان
١١٤	سعيد بن المسيب
٢٠٦	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري
١٢٦	سليمان بن بريدة بن الحصيب
٢٦٠	سليمان بن داود بن الجارود
١٥٣	سليمان بن عبد الملك بن مروان
٢٥٨	سماك بن حرب بن أوس
٣٢٢	سهل بن عبد الله بن يونس التستري
٣٨	سهل بن محمد بن عثمان السجستاني
٨١	سيد قطب بن إبراهيم
٢٩٤	شريك ابن عبدة بن معتب
٢٥٧	شعبة بن الحجاج بن الورد
٢١٠	صدي بن عجلان بن الحارث
١٠٤	صفية بنت حبي بن أخطب
٢١١	ضماد بن ثعلبة الأزدي
١٧٢	ضمام بن ثعلبة السعدي

٥٧	عامر بن الأضبط الأشجعي
٢٠٠	عامر بن شراحيل
٨٧	عائشة بنت أبي بكر الصديق
٣٥٠	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن
١٦٩	عبد الرحمن بن أبي الزناد
١٩٦	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد
٢٥٧	عبد الرحمن بن القاسم بن محمد
٢٠٣	عبد الرحمن بن شماسة
٩٣	عبد الرحمن بن علي بن محمد
٢٥٩	عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم
٥٥	عبد الرحمن بن ناصر السعدي
٦٦	عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٢٢٨	عبد العزيز بن عبد السلام
٣٤١	عبد العزيز بن عبدالله بن باز
١٥٩	عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز
٢٢٨	عبد الله بن أبي بن مالك
٢٦٠	عبد الله بن الزبير الحميدي
٢٣٣	عبد الله بن الزبير بن العوام
٢٠٠	عبد الله بن المبارك
٢٥٢	عبد الله بن بريدة ابن الحصيب
١٦٩	عبد الله بن ذكوان القرشي
٧٨	عبد الله بن زيد بن عمرو
٥٧	عبد الله بن سلامة بن عمير بن هوزان الأسلمي
٦٩	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
١٤١	عبد الله بن عبيد الله بن زهير

١٣٦	عبد الله بن عثمان بن عامر
١٧٤	عبد الله بن عمرو بن العاص
١٤٥	عبد الله بن قيس بن سليم
٢٢٢	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
٢٢٥	عبد الله بن مسعود
١٧٦	عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي
٢٧٠	عبد الرحمن بن أبي ليلي
٢٦٩	عبيد الله بن أبي جعفر
١٥٦	عدي بن أرطاة الفزاري
١٧٤	عروة بن الزبير بن العوام
٢٠٧	عطاء بن أبي رباح
٢٥٣	عقبة بن عامر بن عبس
٨٨	علي بن أبي طالب بن عبد المطلب
٣٨	علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي
٣٠	علي بن محمد بن علي
١٩٢	علي بن محمد حبيب الماوردي
١٤٣	عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى
١٥٣	عمر بن عبد العزيز بن مروان
٣١٤	عمران بن حصين بن عبيد
١١٧	عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم
١١٧	عمير بن شبيب بن عمرو
٨٧	عوف بن أثانه
١٨٩	عويمر بن عامر بن مالك
١١٥	عياض بن موسى بن عياض
٢٦٢	فاطمة بنت قيس بن خالد

٢٥٢	فضالة بن عبيد بن ناقد
١٤٤	فيروز الفارسي
٣٢٧	قتادة بن دعامة بن قتادة
١٨٩	قيس بن كثير الشامي
١٢٩	ماعز بن مالك الأسلمي
٧٥	مالك بن أنس بن مالك الاصبحي
٧٢	مجاهد بن جبر المكي
٥٧	معلم بن جثامة
٣٠٧	محمد الأمين بن محمد المختار
١٨٧	محمد الطاهر بن محمد
٢١٥	محمد بن إبراهيم بن سعد الله
٧٣	محمد بن أبي بكر بن أيوب
١٥٢	محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي
٥٧	محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي
٤٨	محمد بن أحمد بن عثمان
٣٥٦	محمد بن إدريس بن العباس
٨٧	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
٣٩	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري
٨٢	محمد بن حبان بن أحمد
١٥٨	محمد بن سعد بن منيع الزهري
٢٥٧	محمد بن سيرين البصري
٢٦٣	محمد بن عبد الله بن حمدويه
٢٠٤	محمد بن عبد الله بن عثمان
١٧٩	محمد بن عبد الوهاب بن سليمان
٣٨	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني

٣٩	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي
٣٢٣	محمد بن محمد الغزالي
٩٧	محمد بن محمود الصواف
٢٦٤	محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
١٣٩	محمد بن مسلمة بن خالد
٢٢٧	محمد بن هارون الرشيد
٩٣	محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي
١٠٢	محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم
٣٢	محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي
١٧٤	محمود بن أحمد بن موسى
٥٩	محمود بن عمر بن محمد
١٠٩	مسلم بن الحجاج بن مسلم
٢٥٣	مسلمة بن مخلد بن الصامت
٧٥	مطرف بن عبد الله بن مطرف
٢٧٦	معاذ بن جبل بن عمرو
١١٧	معاوية بن صخر بن حرب
١٥٧	ميمون بن مهران
١٤٦	هشام بن حكيم بن حزام
٢٩٤	هلال بن أمية بن عامر
٢١٧	وكيع بن الجراح بن مريح الرواسي
٣٢٦	وهب بن منبه الصنعائي الذماري
١٠٣	يحيى بن شرف بن مري النووي
١٥٥	يحيى بن يحيى بن قيس
٢٥٨	يزيد بن زريع البصري
٢٦٤	يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

الصفحة	الكلمة
١٤٨	أتشبت
١٧٣	اتقدا
٢٤٤	استفاض
١٤٧	أسكفة المشربة
٢٢٢	أضب
٥٧	إضم
٢٨٥	الإثبات
٤٠	الأثر
٢٨٤	الاجتماع
١٨٥	الإخلاص
٢٥٦	الإسناد
٨٠	الإشاعة
٢٧٥	الإعلام
٨١	الإفك
١٠٢	الاقتصاد
٢٨٩	الأمارة
٦٥	الأناة
١٩٨	الإنصاف
٣٤٤	البصيرة
٢٩٢	البيئة
٣٠	التأمل

٢٧	التأني
٢٩	التبصر
٢٥	التبين
٢٣	التثبت
١٩١	التجسس
١٩١	التحسس
٢٨	التدبر
٢٦٢	التعديل
٤٣	التفريط
٣١	التفكير
٢٨٨	التوثيق
٢٦	التؤدة
٢٤٠	الجددي
٢٦٩	الجرأة
٢٦٢	الجرح
٣٥	الجهل
٥٦	الحُرقة
١٩١	الحسد
١٠٩	الداجن
٤١	الدعوة
٢١١	الريح
١٣٤	السلف
١٠٢	السمت الحسن
١٦٥	السؤال

٣١٨	الشك
٧١	الصدق
٢٣٨	الصلاة
١٨٢	الضابط
٣١١	الطلاق
٣١٢	الطلاق البدعي
٣٣	الطيش
١٠٩	الطعينة
٢٣٧	العبادة
٣١	العجلة
١٩٨	العدل
١١٠	العقاص
٢٨٩	العلامة
٢٥٠	العلم
٣٢	الغفلة
٢٦٧	الفتوى
٣٠٥	الفسق
٢٣٨	القبلة
٨٥	القذف
٢٤٠	القطب
٢٨٨	الكتابة
٢٥	المترادف
٢٢٥	المتفلجات
٢٢٥	المتنمصات

٢٢٦	المحرم
٢٦٩	المرسل
١٩٧	المساواة
١٤٧	المشربة
٢٢٩	المصلحة
٢٩٦	المعروف
٢٣٠	المفسدة
٣٤٠	المقير
٢٩٧	المنكر
١٦٢	الوسائل
٢١٧	الوشم
٣١٧	اليقين
٢٨٦	اليمين
١٢٤	حُمْرُ النَّعَمِ
٤٥	دواعي
١٤٧	عيبتك
١٤٦	فتصبرت
١٤٦	فلبيته
١٤٨	كشر
١٩١	لا تباغضوا
١٩١	لا تتدابروا
٢٢٢	لحانة
٢١١	ناعوس
١٤٧	ينكتون

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	قائله	الشعر
1٢١	_____	الرفقُ يُمنُّ والأناةُ سعادةٌ فأستأن في رفقٍ تُلاقِ نجاحًا
35١	منصور الكريزي	الرفقُ أيمُنُ شيءٌ أنت تتبعه وذو التثبت من حمدٍ إلى ظفرٍ والخُرقُ أشأمُ شيءٍ يُقدِّمُ الرِّجلا من يركبُ الرفقَ لا يستحقُّب الزللا
117	عمر القطامي	قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
١١7	_____	ومستعجلٍ والمكثُ أدنى لرشده ولم يدر ما يلقاه حين يُبادرُ
1٦7	أمية بن أبي الصلت	لا يذهبن بك التفريط منتظرًا ويستريح إلى الأخبار من يسئل فقد يزيد السؤال المرء تجربة
113	_____	وإذا الحبيبُ أتى بذنب واحدٍ جاءت محاسنه بألفِ شفيع
٩٣	ابن هانئ المغربي	وكلَّ أناة في المواطن سؤدد ومن يتبين أن للصفح موضعًا وما الرأي إلا بعد طول تثبت ولا كآناة من قدير محكم من السيف يصفح عن كثير ولا الحزم إلا بعد طول تلؤم

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- آفات على الطريق، السيد محمد نوح، الطبعة الثالثة، دار الوفاء، القاهرة: ١٩٨٩م.
- ٣- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة، عبد الله بن محمد بن بطة الحنبلي، تحقيق: رضا بن نعان معطي، الطبعة الثانية، الرياض: دار الراجية، ١٤١٥هـ.
- ٤- إحياء علوم الدين، محمد أبي حامد الغزالي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الخير، ١٤١١هـ.
- ٥- اختلاف الفقهاء، محمد بن جرير الطبري، اعتنى به: يوسف شاخت، بدون رقم وتايخ ومكان الطبعة.
- ٦- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الثالثة، دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٧- أخلاق النبي في القرآن والسنة، أحمد بن عبد العزيز الحداد، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.
- ٨- أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار الفكر، ١٣٧٥هـ.
- ٩- أدب المفتي والمستفتي، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق د. موفق عبد الله، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- ١٠- الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري للبخاري، تحقيق، علي عبد الباسط وعلي عبد المقصود، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ١١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد العمادي، دار الفكر، بيروت، دون رقم الطبعة وتاريخها.
- ١٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد بن ناصر الدين، إشراف محمد زهير الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ١٣- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، درا صادر، بيروت ١٣٨٥هـ.
- ١٤- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٩هـ.

- ١٥ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الجزري المعروف بـ ابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، وغيره من المحققين، القاهرة: دار الشعب.
- ١٦ - الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع، محمد بن دغيش القحطاني، الرياض، دار طويق، ١٤١٨هـ.
- ١٧ - الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد المعتصم البغدادي، الطبعة الخامسة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ١٨ - الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، الطبعة الأولى، بيروت دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ١٩ - أصول التخريج ودراسة الأسانيد، محمد الطحان، المطبعة العربية، حلب- سوريا، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- ٢٠ - أصول الحديث علمه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٢١ - أصول الحوار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، المطابع العالمية، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- ٢٢ - أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
- ٢٣ - الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبد الرحيم محمد المغذوي، دون ذكر رقم الطبعة ومكانها، ١٤٢١هـ.
- ٢٤ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.
- ٢٥ - إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الثالثة، الرياض: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٢٦ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تعليق وتقديم: مشهور بن حسن، الطبعة الأولى، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.
- ٢٧ - الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٢٨ - الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق رفعت فوزي، الطبعة الأولى، مصر - المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١هـ.

- ٢٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، سليمان بن عبد الرحمن الحقييل، الطبعة الرابعة-١٤١٧هـ.
- ٣٠- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، الطبعة الثالثة، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ.
- ٣١- الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، الطبعة الأولى، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة، ١٣٥٣هـ.
- ٣٢- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، الطبعة الثانية دار الفكر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- ٣٣- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الريان للتراث.
- ٣٤- بستان العارفين، للإمام يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد سعيد، مصر: إدارة الطباعة المنيرية، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- ٣٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، الطبعة الثالثة، مطبعة الأهرام التجارية، القاهرة، ١٤٢١هـ.
- ٣٦- بهجة المجالس وأنس المجالس، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، الطبعة الثاني، ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٣٧- البيان والتبيين، عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- ٣٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
- ٣٩- التثبت والتبين في المنهج الإسلامي، المؤلف أحمد محمد العليمي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ٤٠- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٤١- تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، راجعه وضبطه: عبد الرحمن عثمان، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة الفجالة الجديدة، ١٣٨٥هـ.
- ٤٢- التخطيط الإعلامي: المفاهيم والإطار العام، حميد الدليمي، دار الشروق، عمان- الاردن، ١٩٩٨م.

- ٤٣- التدرج في دعوة النبي إبراهيم، عبد الله المطلق، الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، مركز البحوث والدراسات.
- ٤٤- تذكرة الحفاظ، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الثالثة، حيد آباد- الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٥هـ.
- ٤٥- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، دار الكتب العلمية، بدون رقم ومكان الطبعة.
- ٤٦- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، الطبعة الأولى، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٥هـ.
- ٤٧- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، درا النفائس، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٤٨- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الريان للنشر، ١٤٢٥هـ.
- ٤٩- التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.
- ٥٠- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.
- ٥١- تفسير سورة النور، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، بدمشق، بدون تاريخ ورقم. اهتم به وعناها/ محمد عاصم الحداد.
- ٥٢- تفسير سورة النور، ل أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، بدمشق، بدون تاريخ ورقم الطبعة.
- ٥٣- تفسير غريب ما في الصحيحين، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد، الطبعة الأولى، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- ٥٤- تفسير غريب ما في الصحيحين، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد، الطبعة الأولى، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- ٥٥- تفسير في ظلال القرآن للسيد قطب، الطبعة الخامسة عشر دار الشروق، القاهرة: ، ١٤٠٨هـ.
- ٥٦- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ.
- ٥٧- تهذيب الاخلاق، أحمد بن محمد بن مسكويه، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

- ٥٨- تهذيب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عطا، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٥٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج المزي، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢.
- ٦٠- تهذيب اللغة، ل محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: يعقوب عبدالنبي، طبعة سجل العرب، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٦١- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ.
- ٦٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الخامسة، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.
- ٦٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، جدة: دار مدني للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ.
- ٦٤- الثبات، محمد بن حسن الشريف، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة - المملكة العربية السعودية.
- ٦٥- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مبارك بن محمد بن الأثير، تصحيح محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- ٦٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثانية، مصر: مكتبة مصطفى الباي الحلبي، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ٦٧- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ضبطه: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة، دمشق-بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٦٨- الجامع الصحيح في سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة - السعودية، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
- ٦٩- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، الدمام، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ.

- ٧٠- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، راجعه وضبطه: محمد إبراهيم الحفناوي، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٧١- الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى، بمومباي- الهند: الدار السلفية، ١٤٠٩هـ.
- ٧٢- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط ١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد، الهند.
- ٧٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الطبعة الأولى بيروت: دار الفكر.
- ٧٤- الحوار آدابه وضوابطه، يحيى زمزمي، الطبعة الأولى، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- ٧٥- حول تفسير سورة الحجرات، عبد الله سراج الدين، الطبعة الأولى: حلب، سوريا: مكتبة دار الفلاح.
- ٧٦- الخبر ومصادره في العصر الحديث، د. نعمات عثمان، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٦م.
- ٧٧- خطبة الحاجة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتبة الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ٧٨- خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل، د. حاتم بن عارف العوني، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ.
- ٧٩- الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى، دمشق، دار قتيبة للنشر.
- ٨٠- الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، عبد العزيز سيد الأهل، الطبعة الثالثة، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٦٩م.
- ٨١- دراسات في الجرح والتعديل، محمد ضياء الأعظمي، الطبعة الأولى، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- ٨٢- الدعوة إلى الله الرسالة الوسيلة الهدف، د. توفيق الواعي، الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٦هـ.
- ٨٣- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي الحبيب، الطبعة الأولى، جدة: دار الوفاء، ١٤٠٦هـ.
- ٨٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تحقيق: علي عمر، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ.

- ٨٥- ديوان ابن نباته المصري، جمال الدين بن نباته المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها
- ٨٦- ديوان المعاني، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، أبو هلال العسكري، مكتبة القدسي، مصر: القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٣٥٢هـ.
- ٨٧- ذيل تذكرة الحفاظ، محمد بن علي بن الحسيني، دار إحياء التراث العربي، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.
- ٨٨- الرحلة في طلب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، حققه نور الدين عتر، الطبعة ١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م. .
- ٨٩- الرد على المخالف، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المحجرة، السعودية.
- ٩٠- ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، سيد محمد الشنقيطي، دار عالم الكتب السعودية ١٩٩٨هـ.
- ٩١- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار، محمد بن القيم الجوزية، تحقيق أبو عبد الرحمن المكي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مكتبة نزار المصطفى الباز، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٩٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مكتبة مصطفى الباز، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٩٣- روضة الناظر وجنة المناظر، محمد بن عبد الله بن قدامة المقدسي، الرياض: ، دار المعارف، دون رقم الطبعة وتاريخها.
- ٩٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الرابعة عشر، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ.
- ٩٥- زبدة التفسير من فتح القدير، للشيخ محمد سليمان الأشقر، الطبعة الثانية، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤٠٨هـ.
- ٩٦- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون رقم الطبعة وتاريخها ومكانها.
- ٩٧- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن حجر الهيتمي، علق عليه: محمد خير طعمه، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- ٩٨ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الالباني، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة المعارف للنشر، ١٤٢٢هـ.
- ٩٩ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الريان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ١٠٠ - السنن الكبرى، للإمام أحمد بن حسين البيهقي، دار الفكر، بدون مكان وتاريخ الطباعة.
- ١٠١ - سننه ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، حققه خليل مأمون شيحا، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ١٠٢ - سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية، ناصر العمر، الطبعة الثانية، الرياض المملكة العربية السعودية: دار الوطن.
- ١٠٣ - سير أعلام النبلاء، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق بإشراف شعيب الأرنؤوط، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٠٤ - السيرة النبوية، ل عبد الملك بن هشام، تحقيق، سعيد محمد اللحام، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ.
- ١٠٥ - سيرة عمر بن عبد العزيز، عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، مطبعة الإمام، مصر، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.
- ١٠٦ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العسكري، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ.
- ١٠٧ - شرح أصول واعتقاد أهل السنة والجماعة، لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، الطبعة الرابعة، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ.
- ١٠٨ - شرح السنة، للإمام حسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان ط ٢-١٤٠٣هـ.
- ١٠٩ - شرح السنة، للإمام حسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ١١٠ - شرح السنة، للإمام حسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

- ١١١- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاکر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.
- ١١٢- الشرح المختصر على زاد المستقنع، لفضيلة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.
- ١١٣- الشرح الممتع على زاد المستقنع، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.
- ١١٤- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، الرياض- المملكة العربية السعودية: مدار الوطن للنشر، ١٤٢٥هـ.
- ١١٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ١١٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١١٧- صحيح سنن ابن ماجه ل محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ١١٨- صحيح سنن أبي داود، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ١٤١٩هـ.
- ١١٩- صحيح سنن الترمذي، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ١٤٢٠هـ.
- ١٢٠- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث الإسلامي بدون ذكر الطبعة وتاريخها ومكانها.
- ١٢١- صيد الخاطر، للإمام عبد الرحمن بن علي الجوزي، بيروت: دار الكتب العلمية بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- ١٢٢- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ل محمد بن ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- ١٢٣- ضعيف سنن أبي داود، محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ١٤٢١-٢٠٠٠م.
- ١٢٤- ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى مكتبة المعارف للنشر، الرياض، السعودية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ١٢٥- ضوابط الحوار، د. يحيى الزمزمي.
- ١٢٦- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبدالفتاح محمد، ومحمود الطناحي، الطبعة الأولى، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ.
- ١٢٧- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: إسماعيل غازي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد ١٤٢٩هـ.
- ١٢٨- العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.
- ١٢٩- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق مفيد محمد قميحه، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون طبعة.
- ١٣٠- علم الاجتماع الرياضي، إحسان محمد الحسن، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، ٢٠٠٥م.
- ١٣١- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للإمام محمود بن أحمد العيني، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، بدون رقم ومكان الطبعة.
- ١٣٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ.
- ١٣٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ.
- ١٣٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، محمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد القادر شيبه الحمد، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ.
- ١٣٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، مصر- المنصورة: دار الوفاء.

- ١٣٦- الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، ضبطه: خليل المنصور، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ١٣٧- فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د. وصي الله عباس، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.
- ١٣٨- فقه الدعوة والداعية، إبراهيم النعمة، الأردن: دار الفرقان.
- ١٣٩- فيض القدير بشرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق حمدي الدمرداش، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ١٤٠- قاعدة في الجرح والتعديل، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، القاهرة: ١٣٩٨هـ.
- ١٤١- قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق د. نزيه حماد ود. عثمان ضميريه، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ١٤٢- القواعد الفقهية للدكتور، د/ يعقوب الباحسين، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ.
- ١٤٣- القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، د. محمد عثمان شبير، الطبعة الثانية، عمان- الأردن: دار الفرقان، ١٤٢٠هـ.
- ١٤٤- الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز، عمر بن محمد الخضر، تحقيق: د. محمد صدقي أحمد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ١٤٥- كتاب الضعفاء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: فاروق حمادة، الطبعة الأولى، المغرب، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- ١٤٦- كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ.
- ١٤٧- كشاف اصطلاحات الفنون محمد علي التهانوي، استانبول- تركيا: دار قهرمان، ١٤١٤هـ-١٩٨٤م.
- ١٤٨- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، مراجعة: عبد الحلیم محمد و عبدالرحمن حسن محمود، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتب الحديثة.

- ١٤٩- الكليات، أيوب بن موسو الكفوي، إعداد: عدنان درويش و محمد المصري، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ.
- ١٥٠- لسان العرب، أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ.
- ١٥١- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، حلب، سوريا: دار الوعي، ١٣٩٦هـ.
- ١٥٢- مجموع الفتاوى، أحمد عبد الحلیم ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد، المدينة المنورة، طبعة مجمع الملك فهد للمصحف الشريف، عام ١٤١٦هـ.
- ١٥٣- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المحقق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، الرياض، ١٤١٣هـ.
- ١٥٤- المحاسن والمساوي، إبراهيم محمد البيهقي، بيروت - لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر، بدون رقم طبعة، ١٣٨٠هـ.
- ١٥٥- محاضرات في العقيدة والدعوة، صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى، القاهرة: دار أولي النهى للنشر، طبعة فجر للطباعة.
- ١٥٦- محاضرات في علوم الأحاديث، محمد إبراهيم عبدالرحمن، الطبعة الثانية، كنده للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ١٥٧- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٣٩١هـ-١٧٧١م.
- ١٥٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، الطبعة الأولى، الدوحة: ١٤٠٥هـ.
- ١٥٩- المحيط في اللغة، اسماعيل ابن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ.
- ١٦٠- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، رتبته: محمود خاطر بك، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ١٦١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العربي، ١٣٩٢هـ.

- ١٦٢- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.
- ١٦٣- المدخل للفقه الإسلامي، د/ عبد الله الدرمان، الطبعة الأولى، دار التوبة، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- ١٦٤- مرويات غزوة بني المصطلق، إبراهيم قريبي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
- ١٦٥- المستصفي من علم الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت- لبنان، دون رقم الطبعة وتاريخها.
- ١٦٦- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي التميمي الموصل، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٦هـ.
- ١٦٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ١٦٨- مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، الرياض: دار المغني، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٦٩- المسند، للإمام عبد الله بن زبير الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، حيد آباد - الهند: نشر لجنة العلوم الإسلامية، ١٣٨٢هـ.
- ١٧٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد محمد الفيومي، تصحيح مصطفى السقا، مطبعة مصطفى الباوي، مصر.
- ١٧١- المصنف لابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامه، الطبعة الأولى، دار قرطبة، بيروت، ١٤٢٧هـ.
- ١٧٢- المصنف، للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ.
- ١٧٣- المضامين التربوية للتثبت والتبين في التربية الإسلامية، عمر بن حسن الراشدي، جامعة أم القرى، ١٩٩٩م.
- ١٧٤- معالم التنزيل، للإمام محمد الحسين البغوي، تحقيق محمد النمر، ومجموعة من المحققين، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- ١٧٥- معالم السنن بشرح سنن أبي داود، حمد بن محمد الخطابي، ضبطه: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١-١٤١١هـ.
- ١٧٦- معالم المجتمع المسلم كما بينتها سورة الحجرات، عبد العظيم بدوي، الطبعة الأولى، جدة، دار الشروق.
- ١٧٧- المعجم الأوسط، للإمام سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد حسن الشافعي، الطبعة الأولى، عمان- الأردن: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
- ١٧٨- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ١٤٠٦هـ.
- ١٧٩- المعجم المختص بالمحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الطبعة الأولى، الطائف- المملكة العربية السعودية: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ.
- ١٨٠- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى، بيروت: مكتبة المثنى و دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ.
- ١٨١- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، أحمد عبد القادر، محمد نجار، إشراف عبد السلام هارون، تحقيق مجمع اللغة العربية مطبعة مصر، ١٣٨٠هـ.
- ١٨٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ١٨٣- معرفة علوم الحديث، محمد بن عبد الله النيسابوري، تصحيح وتعليق: معظم حسين، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٧م.
- ١٨٤- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ل عبد الله بن أحمد بن قدامة، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت: دار الفكر ١٤٠٤هـ.
- ١٨٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، للإمام محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق عبدالرحمن بن حسن، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.
- ١٨٦- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، إعداد وإشراف: محمد خلف الله، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- ١٨٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وأحمد السيد وغيره من المحققين، الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٧هـ.

- ١٨٨- المفيد في تععيد علوم الحديث، علي بن إبراهيم آل عجين، الطبعة الأولى، عمان - الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ١٨٩- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، صححه: أبو عبد الله السعيد المنذوره، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: المكتبة التجارية مصطفى الباز، ١٤١٤هـ.
- ١٩٠- الملخص الفقهي، د. صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
- ١٩١- مناهج الجدل، د. زاهر الأملعي، الطبعة الثالثة، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- ١٩٢- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، الرياض: طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- ١٩٣- منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، الطبعة الحادية عشرة، جدة - المملكة العربية السعودية: دار الشروق، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ١٩٤- المنهاج على شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، راجعه واعتنى به خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ٦-١٤٢٠هـ.
- ١٩٥- منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، محمد بن الأمين الأنصاري، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الأنصار، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٩٦- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي، تحقيق وتعليق: عبد الله دراز ومحمد عبد الله دراز، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٩٧- موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، الطبعة الأولى بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٧٩م.
- ١٩٨- الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى، دار الصفوة، مصر، ١٩٩٣م - ١٤١٤هـ.
- ١٩٩- موسوعة قضايا إسلامية معاصرة، محمد الزحيلي، الطبعة الأولى، دمشق: دار المكتبي، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٠٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة.
- ٢٠١- نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، أحمد عبد الرحمن الصويان، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار النشر الدولي، ١٤١٢هـ.
- ٢٠٢- نظرات في سورة الحجرات، محمد محمود الصواف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- ٢٠٣- نهاية الغريب في الحديث والأثر، مبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
- ٢٠٤- هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، دار الاعتصام.
- ٢٠٥- هذه أخلاقنا، محمد بن محمد الخزاندر، الطبعة الثانية، الرياض: دار طيبة، ١٤١٦هـ.
- ٢٠٦- الوابل الصيب من الكلم الطيب، للإمام محمد ابن قيم الجوزية، الطبعة الرابعة، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٨هـ.
- ٢٠٧- وإذا قلتم فاعدلوا، عبد العزيز بن ناصر الجليل، الطبعة الأولى، الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤١١هـ.
- ٢٠٨- الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.
- ٢٠٩- وسائل التحقق من الأخبار في ضوء الكتاب والسنة، اسماعيل، الطبعة الأولى، دار المجتمع للنشر، جدة- المملكة العربية السعودية.
- ٢١٠- وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، عبد الباقي زيدان، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- ٢١١- وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز بن ناصر الجليل، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر.

الدوريات:

- ١- الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة، عبد العزيز ابن باز، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٣، السنة ٨، ذو الحجة ١٣٩٥هـ.

المواقع الإلكترونية:

- ١- موقع ويكيبيديا ar.wikipedia.org
- ٢- موقع المنبر www.alminbar.net
- ٣- موقع مقالات الألوكة www.alukah.net

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة.
٥	شكر وعرفان.
٨	المقدمة .
	التمهيد:
٢٢	أ- التعريف بمصطلحات الدراسة
٢٣	أولاً: التثبيت
٤٠	ثانياً: الأثر
٤١	ثالثاً: الدعوة
٤٥	ب- دواعي التثبيت .
	الفصل الأول: منهج التثبيت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وتطبيق السلف الصالح لمنهج التثبيت .
٥٢	المبحث الأول: منهج التثبيت في القرآن الكريم.
٥٤	المطلب الأول: الأسلوب القرآني في الدعوة إلى التثبيت والتبيين في الأمور.
٥٩	المطلب الثاني: الأسلوب القرآني في بيان أن التثبيت يكون بالتعلم .
٦٥	المطلب الثالث: الأسلوب القرآني في بيان وسطية التثبيت بين العجلة والتباطؤ.
٦٩	المطلب الرابع: الأسلوب القرآني في الثناء على صفة الصدق وأهلها الصادقين.
٧٧	المطلب الخامس: الأسلوب القرآني في الحث على حُسن الظن بالمؤمنين.
٨٠	المطلب السادس: الأسلوب القرآني في التحذير من الشائعات والحد منها.
٨٥	المطلب السابع: الأسلوب القرآني في تحريم القذف وعقوبة فاعله.
٨٩	المطلب الثامن: نماذج من الأسلوب القرآني في توجيه الله لأنبيائه وترتيبهم على التثبيت .
١٠١	المبحث الثاني : منهج التثبيت في السنة النبوية.

١٠٢	المطلب الأول: الأسلوب النبوي في الترغيب على صفة التأني ، والتحذير من ضدها .
١٠٦	المطلب الثاني: الأسلوب النبوي في إبراز صفة التثبيت في حياة النبي ﷺ .
١٠٩	المطلب الثالث: الأسلوب النبوي في التحقق من قصة حاطب بن أبي بلتعة .
١١٥	المطلب الرابع: الأسلوب النبوي في الترغيب على صفة التؤدة والأناة .
١١٨	المطلب الخامس: الأسلوب النبوي في توضيح كيفية تعامل النبي مع عجلة الخباب .
١٢٢	المطلب السادس: الأسلوب النبوي في تربية أصحاب النبي ﷺ على التثبيت والتبين.
١٢٩	المطلب السابع: الأسلوب النبوي في التثبيت عند إقامة الحدود.
١٣٣	المبحث الثالث: تطبيق السلف الصالح لمنهج التثبيت
١٣٤	المطلب الأول: التعريف بالسلف الصالح.
١٣٦	المطلب الثاني: التثبيت في حياة الخليفة أبي بكر الصديق.
١٤٣	المطلب الثالث: التثبيت في حياة أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب.
١٥٠	المطلب الرابع: تثبيت الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري ، من حادثة الإفك.
١٥٣	المطلب الخامس: التثبيت في حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز.
الفصل الثاني: وسائل التثبيت وضوابطه ومجالاته .	
١٦١	المبحث الأول وسائل التثبيت .
١٦٢	المطلب الأول: تعريف الوسائل.
١٦٣	المطلب الثاني: الوسائل المشروعة للتثبيت.
١٦٣	الوسيلة الأولى: الرد إلى الله وإلى رسوله وإلى أولى الأمر.
164	الوسيلة الثانية: سؤال صاحب الشأن.
16٨	الوسيلة الثالثة: النظر في حال من جاء بالخبر .
١٧٣	الوسيلة الرابعة: الحلف والقسم على الأمر المقصود بيانه وتأكيدده والتحقق منه.
١٧٣	الوسيلة الخامسة: تكرار الكلام حتى يفهم.
١٧٤	الوسيلة السادسة: السماع من المخبر أكثر من مرة وفي فترات متفاوتة.
١٧٥	الوسيلة السابعة: مقارنة الخبر بسيرة من نُسب إليه.
١٧٦	الوسيلة الثامنة: المواجهة بين الأطراف المعنية.

١٧٧	الوسيلة التاسعة: الرجوع إلى شهادة الشهود.
١٧٨	الوسيلة العاشرة: عرض الأخبار على السنن الإلهية في الحياة.
١٧٩	الوسيلة الحادية عشرة: التوقف عن الأمر ، حتى يستبين ويظهر.
١٨٠	المطلب الثالث: وسائل غير مشروعة للتثبيت.
١٨٠	وسيلة التحسس على الأمر المراد التثبيت عنه.
١٨١	المبحث الثاني: ضوابط التثبيت
١٨٢	المطلب الأول: تعريف الضابط في اللغة والاصطلاح، والمقصود بضوابط التثبيت.
١٨٥	المطلب الثاني: الإخلاص وحسن القصد عند التثبيت والتبين.
١٩١	المطلب الثالث: إحسان الظن بالمؤمنين واجتناب سوء الظن بهم.
١٩٧	المطلب الرابع: تحري العدل والإنصاف عند التثبيت والتبين.
٢٠٦	المطلب الخامس: حسن الإنصات والاستماع.
٢١٢	المطلب السادس: التزود بالعلم والمعرفة.
٢١٩	المطلب السابع: إظهار الدليل الموصل إلى الشاهد على الأمر.
٢٢٨	المطلب الثامن: مراعاة المصالح والمفاسد، عند التثبيت والتبين ، وعند اتخاذ القرار.
٢٣٥	المبحث الثالث: مجالات التثبيت .
٢٣٦	المطلب الأول: مجال العبادات.
٢٣٧	المسألة الأولى: تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح.
٢٣٨	المسألة الثانية: التثبيت من استقبال القبلة في الصلاة .
٢٤٣	المسألة الثالثة: التثبيت في رؤية هلال رمضان للقيام، وهلال شوال للفطر.
٢٤٩	المطلب الثاني: المجال العلمي.
٢٥٠	المسألة الأولى: تعريف العلم في اللغة والاصطلاح.
٢٥٢	المسألة الثانية: الرحلة في طلب العلم من أجل التثبيت.
٢٥٦	المسألة الثالثة: التثبيت من سند الرواية.
٢٦٢	المسألة الرابعة: علم الجرح والتعديل، وارتباطه بالتثبيت.
٢٦٧	المسألة الخامسة: الإفتاء بغير علم والتسرّع فيه.
٢٧٣	المطلب الثالث: المجال الإعلامي في نشر الأخبار .

٢٧٥	المسألة الأولى: تعريف الإعلام في اللغة والاصطلاح.
٢٧٧	المسألة الثانية: الدعوة إلى تحري الصدق والتثبت في نشر الأخبار.
٢٨٠	المسألة الثالثة: في كيفية التثبت والتعامل مع الأخبار.
٢٨٣	المطلب الرابع: المجال الاجتماعي.
٢٨٤	المسألة الأولى: مفهوم المجال الاجتماعي.
٢٨٥	المسألة الثانية: الوسائل المستخدمة للإثبات في مجال القضاء.
٢٩١	المسألة الثالثة: إثبات الأحكام بالشهادة والبيئة .
٢٩٦	المسألة الرابعة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراحل تغيير المنكر.
٣٠٤	المسألة الخامسة: التثبت من خبر من اتصف بالفسق .
٣٠٨	المسألة السادسة: التأني في أمر الطلاق.
الفصل الثالث أثر التثبت، وفوائده في الدعوة إلى الله .	
٣١٦	المبحث الأول: الآثار الإيجابية للتثبت .
٣١٧	المطلب الأول: التثبت فيه تحقيق وإعمال لقاعدة اليقين لا يزول بالشك .
٣٢١	المطلب الثاني: في التثبت ترويض للنفس على تتبع الحق.
٣٢٤	المطلب الثالث: في التثبت مجانبة للنفس عن الوقوع في اتباع الهوى.
٣٢٦	المطلب الرابع: في التثبت تطهيرٌ للسان من الآفات.
٣٢٩	المطلب الخامس: إشاعة الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع.
٣٣٠	المبحث الثاني الآثار السلبية لعدم التثبت .
٣٣١	المطلب الأول: عدم التثبت يجلب الندامة.
٣٣٣	المطلب الثاني: انتشار الإشاعات بين الناس.
٣٣٤	المطلب الثالث: عدم التثبت دافع للنفس لإتباع هواها.
٣٣٥	المطلب الرابع: النفور والكراهية من الآخرين.
٣٣٦	المطلب الخامس: تعريض النفس للوقوع في الجور والظلم.
٣٣٧	المبحث الثالث فوائد التثبت في الدعوة إلى الله .
٣٣٨	المطلب الأول: أهمية وفضل الدعوة إلى الله، وحكم تبليغها.
٣٣٨	المسألة الأولى: أهمية وفضل الدعوة إلى الله.
٣٤٧	المسألة الثانية: حكم تبليغ الدعوة .

٣٥١	المطلب الثاني: فوائد التثبت في الدعوة إلى الله.
٣٥١	الفائدة الأولى: التثبت يغرس في نفس الداعية خلق الرفق والحلم.
٣٥٤	الفائدة الثانية: في التثبت رجوع إلى العلماء عند وقوع الأزمات والاختلاف.
٣٥٨	الفائدة الثالثة: في التثبت ترويض للنفس الداعية، وتربية له على مبدأ العدل والإنصاف.
٣٦٠	الفائدة الرابعة: التثبت فيه إبراز لخلق الصبر.
الخاتمة	
٣٦٣	أولاً: نتائج البحث وثمراته.
٣٤٠	ثانياً: التوصيات .
الفهارس	
٣٧٠	فهرس الآيات القرآنية
٣٨١	فهرس الأحاديث والآثار
٣٨٨	فهرس الأعلام المترجم لهم
٤٩٥	فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة
٤٩٩	فهرس الأبيات الشعرية
٤٠٠	فهرس المصادر والمراجع
4١٦	فهرس الموضوعات

والحمد لله رب العالمين .